جامعة اليرموك

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم أصول الدين

أطروحة دكتوراه في الحديث النبوي الشريف بعنوان :

كتاب "حياة محمد" للدكتور محمد حسين هيكل

(دراسة نقدية من منظور كتابات المحدثين للسيرة)

Book the life of Mohammad to Mohammad Hussein heikal

critical study of the writings modern perspective of walking

إعداد

أحمد إسماعيل عبده السليمان

2010260004

إشراف الدكتور

محمد عبدالرحمن الطوالبة

2014 م

أطروحة دكتوراه في الحديث النبوي الشريف بعنوان :

كتاب "حياة محمد" للأستاذ محمد حسين هيكل
(دراسة نقدية من منظور كتابات المحدثين للسيرة)

إعداد

أحمد إسماعيل عبده السليمان

بكالوريوس، أصول الدين، جامعة اليرموك، ٢٠٠٨ م

ماجستير، أصول الدين، جامعة اليرموك، ٢٠١١ م

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلب الحصول على درجة دكتوراه فلسفة الحديث الشريف وعلومه، جامعة اليرموك- اربد، الأردن

وافق عليها

الدكتور محمد عبدالرحمن الطوالبة.............................. رئيساً

أستاذ مشارك في الحديث الشريف ، جامعة اليرموك

الأستاذ الدكتور : محمد العمري .... عضواً .

أستاذ في الحديث الشريف ، جامعة اليرموك

الأستاذ الدكتور : عبد الله السوالمة .... عضواً .

أستاذ في الحديث الشريف ، جامعة اليرموك

الدكتور يوسف الزيوت ....عضوا .

أستاذ مشارك في العقيدة ، جامعة اليرموك

الدكتور شاكر فياض الخوالدة ....عضوا .

أستاذ مشارك في الحديث الشريف ، جامعة الحسين

الإهداء

إلى والدي العزيز الذي رباني وأدبني وأحسن تأديبي.

وإلى والدتي الكريمة.

إلى إخواني وأخواتي جميعاً.

إلى مشايخي الفضلاء وأساتذتي النجباء.

إلى حفظة كتاب الله عز وجل – أهل الله وخاصته –.

إلى روح شيخي وأُستاذي المرحوم بإذن الله الدكتور عبدالله الجيوسي.

إلى زوجتي وأبنائي.

أهدي إليهم هذا الجهد المتواضع.

الشكر والتقدير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أتقدم بخالص شكري وعظيم عرفاني إلى المربي والمعلم فضيلة الأُستاذ الدكتور محمد عبدالرحمن الطوالبة (حفظه الله) المشرف على هذه الأطروحة، والذي أمدني بتوجيهاته وملحوظاته، فجزاه الله عني كل خير.

كما أتقدم بخالص شكري للأُستاذ الكبير الدكتور محمد العمري والذي كان له دور بارز وبصمة واضحة في عنوان هذه الرسالة ومفرداتها، وكذلك الدكتور عبدالرزاق أبو البصل، وكذلك الدكتور سعيد بواعنة.

كما أتقدم بخالص شكري وأحر تحياتي إلى العلماء الأجلاء والأساتذة الفضلاء الذين سيوجهون هذه الدراسة حتى تكون بأحسن وصف، وأتم حال.

ولا يغيب عن بالي أن أشكر عميد كلية الشريعة شيخي الأُستاذ الدكتور عبدالرؤوف الخرابشة (حفظه الله) والذي كان دائم السؤال عن هذه الرسالة، ولا أنسى رئيس قسم أُصول الدين الدكتور يحيى الشطناوي(حفظه الله)، كما أشكر الموظفين في الكلية من إداريين وغيرهم.

وأثني بالشكر الجميل لوالدي الذي كان يوجهني ويصحح لي، ويشير إلي ببعض المراجع والمصادر.

ولا أنسى أخي الشيخ المعتصم بالله والذي دقق فصلها الأول ونسقه، وأمدني ببعض المراجع والمصادر.

كما أشكر الأستاذ عمر شقيرات الذي دققها لغوياً ونحوياً فجزاه الله كل خير.

كما أشكر كل من أرشدني لمعلومة أو ملحوظة أو فكرة أفادت هذا البحث

فهرس المحتويات

الملخص

السليمان، أحمد إسماعيل عبده، كتاب "حياة محمد" للدكتور محمد حسين هيكل دراسة نقدية من منظور كتابات المحدثين للسيرة النبوية،أطروحة العالمية (دكتوراه)، جامعة اليرموك،2014م، (المشرف د محمد عبدالرحمن الطوالبة).

جاءت هذه الدراسة لتكشف عن منهج الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه "حياة محمد"، ولتبين حجم الأخطاء العلمية من خلال دراسته لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك الوقوف على المدرسة التي ينتمي إليها هيكل في كتابته للسيرة النبوية، و بيان موقف المحدثين من الأخطاء في كتاب "حياة محمد".

وقد استخدم الباحث في دراسته هذه المنهج التحليلي لاستقراء تام لكتاب "حياة محمد" للوقوف على المحاسن والسلبيات العلمية والمنهجية والفكرية في هذا الكتاب، ولتوضيح المصادر التي استقى هيكل منها أفكاره، كما استعان الباحث بالمنهج النقدي لعقد موازنة بين منهج هيكل في كتابته للسيرة النبوية ومنهج المحدثين في كتابة السيرة النبوية.

وقد أتت هذه الدراسة مركزة على حياة محمد حسين هيكل العلمية والمراحل الفكرية التي مر بها، والمدرسة الذاتية التي ينتمي لها في كتابته للسيرة النبوية، والوقوف على حقيقة هذه المدرسة في كتابة السيرة النبوية، وأهم مبادئها ونتائجها في دراسة السيرة، كما عرضت هذه الدراسة لأهم مصادر هيكل في كتابه "حياة محمد"، وبينت كذلك موقف المحدثين من الأخطاء التي أوردها هيكل في كتابه.

وكشفت هذه الدراسة عن عناية المحدثين بالسيرة النبوية قديماً وحديثاً في مجال الرواية والدراية، وكشفت عن اهتمام المستشرقين والعقلانيين ومن تبعهم بالسيرة النبوية.

وقد ظهر للباحث جليا أثر المدرسة الذاتية وإسقاطاتها على السيرة النبوية، وحجم الافتراءات والأخطاء التي كتبها هيكل في كتابه "حياة محمد"، كما تجلت عناية المحدثين قديما وحديثا بالسيرة النبوية جرحاً وتعديلاً، وتصحيحاً وتضعيفاً، ورداً على من أنكر وافترى على سيرة رسول الله ﷺ.

(الكلمات المفتاحية: السيرة النبوية، حياة محمد، المستشرقون، المنهج الذاتي،المحدثون).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، خالق الإنسان، مبدع الأكوان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، والذين تبعوهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن رسول الله ﷺ مناط الإتباع، والسير على هداه هدف كل من انتسب إلى الشرع الشريف في كل عصر من العصور ،ومن اجل ذلك انبرى علماء الأمة لتدوين كل صغيرة وكبيرة وردت عنه ﷺمن قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية، حتى لا يفوت شيء منهاعلى من أراد أن يقتدي برسول الله ﷺ.

ولقد تباينت واختلفت جهود العلماء في التصنيف والتأليف في سيرة رسول الله ﷺ ،فمنهم من جمع الحديث والسيرة، ومنهم من شرحها، ومنهم من ميز الصحيح من السقيم، ومنهم من استنبط أحكام الفقه والأصول.

وَوُجد من اندس بين العلماء بغية التحريف في سيرة رسول الله ﷺ، فكان علماء الأمة لتحريفهم ودسهم بالمرصاد فبينوا أغراضهم وأهواءهم.

ولقد كثر التحريف والزيادة في سيرة رسول الله ﷺ في هذا العصر، وكذلك التفسيرات المغلوطة لكثير من وقائع السيرة بقصد وبغير قصد، لكن الله كتب لدينه الحفظ والرعاية وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته المتعلقة بالدين جزء من هذا الدين.

وكان كتاب "حياة محمد" للدكتور محمد حسين هيكل واحداً من الكتب التي صُنفت في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيتضح من خلال البحث إن شاء الله عن منهج صاحب الكتاب والايجابيات والسلبيات فيه .

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الموضوع في ما يأتي:

1- المشاركة في الدفاع عن سيرة رسول الله ﷺ من تحريف المحرفين وشبهات المغرضين وطعن الطاعنين.

2- الوقوف على نموذج من الذين قدموا السيرة النبوية بمنهج ذاتي متأثرين بالمستشرقين.

3- بيان مفهوم المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية.

4- الكشف عن مدى اعتناء المستشرقين ومن تبعهم ممن ينتسبون إلى الإسلام بالسيرة النبوية، ومقاصدهم في ذلك.

5- بيان موقف صاحب كتاب حياة محمد من المعجزات والغيبيات والوحي وغيرها من أحداث السيرة العطرة.

مشكلة الدراسة

تبرز مشكلة الدراسة من خلال الإجابة عن السؤالين الرئيسين الآتيين:

1- ما تأثير المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية ؟

2- ما منهج محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد ﷺ؟

ويتفرع عن هذين السؤالين الأسئلة الآتية:

1- ما مفهوم المنهج الذاتي ؟ ومن ابرز أعلام هذا المنهج؟

2- ما الأسباب الحاملة لكتابة السيرة النبوية بهذا المنهج ؟

3- ما خطورة هذا المنهج ؟

4- من محمد حسين هيكل ؟ وما منهج محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد؟

5- ومامدى تأثر محمد حسين هيكل بالمستشرقين ؟

6- وما المواقف والقضايا التي أخذت عليه في كتابة لسيرة رسول الله ﷺ؟

أهداف الدراسة

تركز هذه الدراسة على بيان حقيقة مفهوم المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية، وأثرها في بيان حقائق ومسلمات السيرة النبوية، والوقوف على أبرز من تأثر بهم محمد حسين هيكل من المستشرقين، والكشف عن الأسباب الحاملة لهذه المدرسة على تحريف بعض أحداث السيرة النبوية ، وفهمها على غير حقيقتها ، وكذلك التطبيقات العملية التي تعد تحريفا صريحا في مجريات السيرة النبوية، وبيان نشأة هذه المدرسة وأبرز أعلامها ومدى تأثيرها في العالم الإسلامي.

حدود الدراسة

1- تركز هذه الدراسة على الكشف عن حقيقة المدرسة الذاتية في كتابة السيرة النبوية .

2- جعل كتاب "حياة محمد" محمد حسين هيكل أنموذجا لهذه المدرسة.

3-بيان الموارد التي أخذ منها هيكل في كتاب حياة محمد.

الدراسات السابقة

اطلـع الباحـث علـى كتـاب "حيـاة محمـد " لمحمـد حسـين هيكـل، ووقـف علـى جملـة مـن الانحرافات الفكرية والأفكار المغلوطة لوقائع السيرة النبوية في هذا الكتاب، وعلى جملة من المزايا في الكتاب، إلا إنني لم أجد من قام بالإشارة، أو الرد بشكل شمولي على هذه الأفكار والانحرافات، وبيان الموقف الصحيح الموافق للشرع من هذه الأخطاء.

ومن الذين أشاروا إلى ذلك:

1- الدكتور فاروق حمادة في كتابه(مصادر السيرة النبوية وتقويمها)، والذي عرض فيه لأهم مصادر السيرة النبوية في مختلف العصور حتى وصل إلى العصر الحالي، واختار مجموعة من الكتب من بينها كتاب حياة محمد لمحمد حسين هيكل، وقال الدكتور فاروق(إن كل سطر قابل للنقض) ومن أول الكتاب إلى نصفه كان منهجه كأي مستشرق إلى غير ذلك مما عرض له بإيجاز بحدود سبع صفحات .

2- الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي-رحمه الله- في كتابه (فقه السيرة) فقد تحدث بإيجاز عن كتابة السيرة النبوية من خلال المنهج الذاتي وبين خطورة هذا المنهج وتحدث عن أعلامه وخصوصا محمد حسين هيكل وكتابه (حياة محمد) وبين بعض ما فيه من أخطاء.

3- الشيخ عبدالله القصيمي في كُتيب صغير بحدود ستين صفحة، بعنوان "نقد كتاب حياة محمد " وكان هذا الكتاب مجموعة من المقالات، نُشرت في جريدة الكوكب، ثم جمعها في كتاب مستقل، وقد أتى فيه على جملة من الأفكار والانحرافات الواضحة ،ورد عليها بالأدلة القرآنية والعقلية، وذكر عددا من الانحرافات التي لا توجد في الكتاب المطبوع الذي وقفت عليه.

منهجية الدراسة

لكل دراسة منهج خاص يتوافق مع طبيعته ومقاصده وأهدافه وما يرجى منه، وان طبيعة هذا البحث ومقاصده وأهدافه تحتم علي استخدام منهج علمي هو:

المنهج التحليلي: ويقوم باستقراء تام لكتاب حياة محمد للوقوف على المنهج الدقيق لصاحب هذا الكتاب ومنهجية المدرسة الذاتية وبيان حجم الانحراف في الفهم لكثير من أحداث السيرة النبوية مع بيان الأصول التي أخذها واستفاد منها وعقد جملة من الردود على الانحرافات والفهم الخاطئ في كتاب حياة محمد لأحداث السيرة النبوية .

مخطط الدراسة

لقد اقتضت الدراسة بطبيعتها أن تقسم إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

أما المقدمة فقد احتوت على أهمية الدراسة ومشكلتها وحدود الدراسة وأهدافها ومصطلحاتها والدراسات السابقة والمنهج والمخطط.

الفصل الأول: وهو بعنوان التعريف بالأستاذ محمد حسين هيكل وكتابه حياة محمد، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالأستاذ محمد حسين هيكل وفيه مطلبان:

المطلب الأول: محمد حسين هيكل ولادته، تعليمه، مناصبه، كتبه.

المطلب الثاني: حياة محمد حسين هيكل العلمية والبيئة التي تأثر بها.

المبحث الثاني : التعريف بكتاب حياة محمد ، وفيه مطلب واحد:

المطلب الأول: التعريف بالكتاب من حيث طريقة التأليف فيه والمنهج الذي اعتمده في كتابه.

الفصل الثاني: العوامل التي أسهمت في نشوء المنهج الذاتي العوامل التي أسهمت في نشوء المنهج الذاتي ،، والآثار المترتبة على ذلك ، وفيه ثلاثة مباحث.

تمهيد : التعريف بالمنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية .

المبحث الثالث: الإسراء والمعراج في كتاب حياة محمد، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: موقف هيكل من حادثة الإسراء والمعراج والمعاني المستخلصة من هذه الحادثة.

المطلب الثاني: الإسراء والمعراج عند المحدثين والمحققين من العلماء.

المبحث الرابع: موقف هيكل من الشؤون الاجتماعية في سيرة رسول الله ﷺ، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: موقفه من زواج النبي من زينب بنت جحش.

المطلب الثاني موقف هيكل من الاشتراكية والفهم الصحيح لها.

المبحث الخامس: الأخطاء في تفسير بعض القضايا في كتاب حياة محمد، والتفسيرات الغريبة التي نسبت إليه، وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: موقف هيكل من النصرانية.

المطلب الثاني: ادعاء هيكل أن النبي ﷺ كان ينسى نفسه.

المطلب الثالث: ادعاء هيكل أن النبي ﷺتعلم من الرهبان في الشام النصرانية.

المطلب الرابع: نقد عبدالله القصيمي لكتاب "حياة محمد" والتفسيرات الغريبة التي نسبها لهذا الكتاب.

الفصل الأول

التعريف بالأستاذ محمد حسين هيكل وكتابه حياة محمد، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالأستاذ محمد حسين هيكل وفيه مطلبان:

المطلب الأول: محمد حسين هيكل ولادته، تعليمه، مناصبه، كتبه.

المطلب الثاني: حياة محمد حسين هيكل العلمية والبيئة التي تأثر بها.

المبحث الثاني : التعريف بكتاب حياة محمد ، وفيه مطلب واحد:

المطلب الأول: التعريف بالكتاب من حيث طريقة التأليف فيه والمنهج الذي اعتمده في كتابه.

المطلب الأول: محمد حسين هيكل ولادته، تعليمه، مناصبه، كتبه.

محمد حسين هيكل شاعر وأديب وسياسي كبير مصري ، أبرز الصحفيين العرب والمصريين في القرن العشرين ، ومن أهم الشخصيات التي شاركت في صناعة السياسة العربية عموماً ، ومصر خصوصاً.

فهو محمد بن حسين بن سالم هيكل ولد في 20 أغسطس1888 م الموافق 12 ذو الحجة 1305هـ في قرية كفر غنام في مدينة المنصورة، محافظة الدقهلية، مصر.

نشأ في أسرة على جانب من الجاه والثراء، والتحق بكُتَّاب القرية، حيث حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ولما بلغ السابعة التحق بمدرسة الجمالية الابتدائية بالقاهرة، وظلَّ بها حتى أتم دراسته ، وحصل على شهادتها الابتدائية سنة (1319هـ = 1901م)، ثم انتقل إلى المدرسة الخديوية، وأتم دراسته بها سنة (1323هـ = 1905م)، ثم التحق بمدرسة الحقوق الخديوية، وفي أثناء هذه الفترة توثقت صلته بأحمد لطفي السيد وتأثر بأفكاره، والتزم بتوجيهاته، فأكبَّ على قراءة الأدب العربي القديم، في أمهاته المعروفة كالأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والبيان والتبيين للجاحظ، وطالع عيون كتب الأدب الإنجليزي.[1]

وبعد تخرجه في مدرسة الحقوق سنة (1327هـ = 1909م) سافر على نفقته الخاصة إلى باريس؛ ليتم دراسته في الحقوق، ويحصل على إجازة الدكتوراه.

واغتنم هيكل فرصة وجوده في فرنسا، فالتحق بمدرسة العلوم الاجتماعية العالية، وحصل فيها على دراسات مختلفة، وواظب على الاستماع لمحاضرات عديدة في الأدب الفرنسي، وأقبل على قراءة الأدب الفرنسي بعد أن أتقن الفرنسية وأصبح عسيرها ميسوراً له، هذا إلى جانب اهتمامه

[1] الزركلي الأعلام 107/6 عمر رضا كحالة معجم المؤلفين 262/9 والموسوعة الحرة ويكيبيديا محمد حسين هيكل،

بزيارة المعارض، والمتاحف، والآثار. وظلَّ هيكل في باريس ثلاث سنوات حصل في نهايتها على درجة الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريس سنة (1331هـ = 1912م) وكان عنوان رسالته (دين مصر العام)[1]، فقرأ كل ما أُتيح له عن تاريخ مصر الحديث.[2]

ولما عاد هيكل من باريس اشتغل بالمحاماة في مدينة المنصورة مدة قصيرة، ثم تركها بعد اختياره للتدريس في الجامعة سنة (1336هـ = 1917م)، ولم ينقطع طوال عمله عن ممارسة العمل الصحفي، وكتابة المقالات السياسية والفصول الأدبية في جريدة الأهرام، و"الجريدة" صحيفة حزب الأمة– التي كان يرأسها أحمد لطفي السيد، ثم تخلص هيكل من قيد الوظيفة واستقال من الجامعة سنة (1341هـ = 1922م) وتفرَّغ للعمل السياسي، وترأس تحرير جريدة "السياسة"[3]، وكان هيكل أحد أعضاء مجلس إدارته ومن نجومه اللامعين.

ولما أنشأ الحزب جريدة أسبوعية باسم "السياسة الأسبوعية" تولَّى هيكل رئاسة تحريرها سنة (1345هـ = 1926م)، وكانت ميداناً لنشر البحوث الأدبية والتاريخية والسياسة، وتولَّى تحريرها والكتابة فيها نفر من كبار الكتاب وأئمة الأدب، مثل: طه حسين، وتوفيق دياب، ومحمود عزمي، ومحمد عبد الله عنان، وعبد العزيز البشري، وشهدت صفحاتها معارك فكرية حامية، مثل معركة

[1] وهو رسالة للدكتوراه قدمها د.محمد حسين هيكل لجامعة السوربون بفرنسا في عام 1912، ويتناول مراحل تطور الدين العام المصري منذ نشأته في منتصف القرن التاسع عشر، ويتضمن عرض للمبالغ المالية المُقترضة وكيفية سددها متضمناً الأساليب التي كان يلجاء إليها الحكام للتغطية على هذا العجز الشديد بالميزانية بطرق تبدو حميدة في ظاهرها فقط، والشئ المميز في الكتاب أن كل ما يرد بين طياته ، وهو كتاب مترجم من الفرنسية إلى العربية ترجمه أحمد محمد حسين هيكل ومطبوع في دار المجلس الاعلى للثقافة

[2] علام محمد مهدي، المجمعيون في ثلاثين عاما 2 ص168

3 لسان حزب الأحرار الدستوريين الذي تكوَّن في هذه السنة

الشعر الجاهلي التي فجَّرها طه حسين، وعلى صفحاتها نشر هيكل فصولاً من كتابه "حياة محمد".(1)

ثم وقع عليه الاختيار ليعمل وزيراً للمعارف في الوزارة التي شكلَّها محمد محمود سنة (1357هـ = 1938م)، لكن حياتها كانت قصيرة فاستقالت في السنة التالية، ثم عاد وزيراً للمعارف للمرة الثانية سنة (1359هـ = 1940م) في وزارة حسين سري، وظلَّ بها حتى سنة (1361هـ = 1942م)، ثم عاد وتولى هذا المنصب مرة أخرى في سنة (1364هـ = 1944م)، وأضيفت إليه وزارة الشؤون الاجتماعية سنة (1365هـ = 1945م).[2]

كما اختير سنة (1360هـ = 1941م) نائبًا لرئيس حزب "الأحرار الدستوريين"، ثم تولى رئاسة الحزب سنة (1362هـ = 1943م)، وظلَّ رئيسًا له حتى ألغيت الأحزاب بعد قيام ثورة 23 يوليو 1952م، وفيما بين ذلك تولى رئاسة مجلس الشيوخ سنة (1365هـ= 1945م) وظل يمارس رئاسة هذا المجلس التشريعي أكثر من خمس سنوات أرسى خلالها تقاليد دستورية أصيلة بمعاونة بعض أعضاء المجلس.[3]

وتولَّى هيكل تمثيل مصر في التوقيع على ميثاق جامعة الدول العربية سنة (1365هـ = 1945م)، كما تولى تمثيلها في كثير من المحافل الدولية، فمثلها رئيساً لوفد مصر في الأمم المتحدة أكثر من مرة سنة (1366هـ = 1946م) وما بعدها، وكانت له مواقف محمودة في قضيتي مصر وفلسطين..(4)

1علام محمد مهدي، المجمعيون في ثلاثين عاما 2 ص169.

[2] سامح كريم قمم وافكار اسلامية ص71، فهمي جدعان أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث ص 329

[3] انور الجندي تطور الصحافة العربية في مصر ص351

([4]) ، ،عمر الدسوقي في الأدب الحديث ص207،محمد الدسوقي طه حسين يتحدث عن اعلام عصره ص82،

وعلى الرغم من اشتغال هيكل بالحياة السياسية وانغماسه فيها بالعمل الصحفي مرة، أو باعتباره واحدًا من نجومها الذين خاضوا أعباء الوزارة، ومارسوا الزعامة الحزبية، فإن نشاطه الأدبي ظلَّ حاضراً، وتوالت كتبه ومؤلفاته تضرب في ميادين مختلفة شملت القصة، والتاريخ، والسير، والنقد الأدبي، وأدب الرحلة، ولذلك انتقل من دائرة الدعوة إلى الحضارة الغربية تارة، وإلى الحضارة الفرعونية تارة أخرى، واستقر في ميدان الفكر الإسلامي.[1]

وانضم هيكل إلى كثير من الهيئات العلمية فكان عضواً في الجمعية المصرية للقانون الدولي والجمعية المصرية للدراسات التاريخية، واختير عضواً في مجمع اللغة العربية سنة (1359هـ = 1940م) فكان من الرعيل الأول لأعضاء المجمع، ويذكر له اقتراحه على المجمع بوضع "معجم خاص لألفاظ القرآن الكريم"، فوافق المجمع على اقتراحه، وكان من أعضاء اللجنة التي تألفت لوضع منهجه.[2]

مؤلفاته

تنوعت كتب محمد حسين هيكل في مختلف المجالات العلمية والأدبية والفلسفية والقومية والدينية وغيرها، فيعد رجلاً موسوعيا ألف في كثير من المجالات ولقد بين الأستاذ أحمد تمام كيف كان يكتب هيكل فقال:

(ينفرد الدكتور محمد حسين هيكل بين أبناء جيله . وكلهم هامات سامقة في عالم الأدب والفكر . بأشياء حاز بها السبق والريادة، فسبق غيره في تأليف أول رواية عربية بقصته المعروفة "زينب"، وفتح لأصحاب القلم والبيان كتابة التاريخ الإسلامي على نحو جديد يجمع إلى جانب

---

(1) ينظر البيومي محمد رجب النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ج1 ص491 وما بعدها.

[2] أنيس المقدسي الفنون الأدبية وأعلامها ص 337، خليل احمد خليل موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين ص 1180

العمق والتحليل العرض الجميل، والأسلوب الشائق، والربط المحكم بين أحداث التاريخ. وكتب أيضًا أدب الرحلة، وسجَّل خواطره وما يجول في نفسه في كتابه الرائع "في منزل الوحي"، ودوَّن مذكراته السياسية، وما شاهده وشارك فيه من أحداث في كتابه "مذكرات في السياسة المصرية)[1].

وفي هذا الكلام السابق ذكره مقال ، إذ أن بعض أبناء جيل هيكل جاء بما جاء به ،وربماً أفضل ، ولم تكن كتبه في التاريخ الإسلامي بهذه الصورة ، فمنها ما هو مسبوق به بطريقة العرض والتحليل ، والأسلوب الشائق ، والربط المحكم بين الأحداث.

ومن المجالات التي ألف فيها هيكل :

المجال القصصي وهي الرواية على هيئة القصة ومن أعماله فيها:

وقد كانت أول قصة ألفها بعنوان "زينب" وتعد أول رواية عربية، وكانت القصة أول ميدان يرتاده الدكتور هيكل، فكتب قصته "زينب" وهي أشهر أعمال هيكل الثقافية، وقد تختلف الأقوال حول قيمتها الفنية وجوانبها المختلفة، لكنها تتفق في كونها أول رواية عربية تلتزم بقواعد القصة الفنية، وأنها كانت بداية الانطلاق لأعمال روائية لكبار الكتاب من أمثال العقاد، وطه حسين، والمازني، وتوفيق الحكيم، حتى بلغت النضج وقاربت الكمال على يد نجيب محفوظ الذي أخلص لعمله القصصي فلم ينشغل بما سواه، على النقيض من هؤلاء الرواد، الذين كانت لهم اهتمامات مختلفة، وإسهامات متنوعة في ميادين الأدب والفكر.[2]

([1]) أحمد تمام مذكره في حياة محمد حسين هيكل ص2.

[2] المرجع السابق ص3

وكما بدأ هيكل حياته كاتب قصة ضمنها أيضًا بقصته "هكذا خلقت"، وفيما بين هذين العملين "زينب وهكذا خلقت " كتب فصولاً قصصية نشرها في بعض الصحف، وضمتها بعض كتبه، مثل: ثورة الأدب، وفي أوقات الفراغ.(1)

في ميدان التاريخ الإسلامي

تأثّر الدكتور هيكل بالحضارة الغربية ومنجزاتها، فجاش قلمه وهو في فرنسا بمقالات تمجد الحضارة الحديثة، وتتخذ من أدباء فرنسا ومفكريهم موضعًا لتحليله الأدبي، وخصّ جان جاك روسو بمقالات تحليلية، جمعها بعد ذلك في كتاب بعد عودته إلى مصر، ثم تزعزعت ثقته بالحضارة الغربية بعد الحرب العالمية الأولى، وشاهد دعاة الحضارة والإنسانية يتحولون إلى وحوش كاسرة لا تراعي حقًّا للشعوب ولا تحترم عهدًا، ولا تقيم وزناً لحقوق الإنسان، ثم ولّى وجهه شطر الحضارة الفرعونية القديمة، فانخدع هيكل بدعاتها، وكانت أنفسهم تنطوي على فكرة خبيثة تستهدف بالحديث عن عظمة الحضارة الفرعونية توهين رابطة مصر بالإسلام، وإثارة النزعة الوطنية.[2]

ثم قطع ذلك كله حملة التنصير المسيحي التي اجتاحت مصر سنة (1352هـ = 1933م) ورأى نفراً من أصحاب الأقلام يهوّنون من شأنها، فاندفع هيكل وكان قد استبان له الطريق يهاجم في ضراوة حملات المنصرين، ويوجه نقدًا صارخًا للحكومة على صمتها المهين على ما يحدث في أرض الكنانة، وبدلاً من أن تواجه الحكومة هذه الحملات التي نشط بعضها في أنحاء مصر استدعت هيكل للتحقيق معه، وحكم عليه بغرامة مالية بتهمة الوقيعة بين الأديان، بعد أن جاهر بأن إدارة الأمن الإنجليزي في وزارة الداخلية المصرية هي التي تتحمل تبعة هذه الجرائم.[3]

---

[1] المرجع السابق ص4.

[2] البيومي محمد رجب، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ج1 ص502.

[3] البيومي محمد رجب، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ج1 ص502.

كانت هذه الحملة نقطة تحول في حياة الدكتور هيكل بعد ما تكشفت له وسائل الغرب في خداع الشرق، ومحاولة الازدراء بماضيه الثقافي والحضاري، فاتجه إلى التراث الإسلامي باحثاً ومنقباً، وكان التاريخ الإسلامي هو ميدان بحثه، فانكبَّ على مطولاته وحولياته قارئاً دون ملل، لا يعيقه اتساع القول وتضارب الروايات عن الاستمرار في الدرس والفهم، وكان ثمرة ذلك كله عددًا من عيون كتب التاريخ تجمع إلى عمق التناول، جمال العرض، وبراعة الأسلوب، وإحكام الفصول،ويعبِّر هو عن ذلك بقوله: "وكان من أثر هذه الحركة (التنصيرية) وموقفي منها أن دفعني للتفكير في مقاومتها بالطريقة المثلى التي يجب أن تقاوم بها، ورأيت أن هذه الطريقة المثلى توجب عليَّ أن أبحث حياة صاحب الرسالة الإسلامية ومبادئه بحثًا علميًّا، وأن أعرضه على الناس عرضًا يشترك في تقديره المسلم وغير المسلم".[1]

حياة محمد

وهذا الكتاب الذي افتتن به بعض الكتاب في وقت صدوره واعتبروه فتحاً جديداً في مجال إعادة كتابة السيرة النبوية بصورة عصرية ومن الذي وصفوه وافتتنوا به محمد رجب البيومي الذي يقول:

(وكان كتابه الكبير "حياة محمد" هو باكورة أعماله الإسلامية، تناول فيه بأسلوب شيق حياة النبي – ﷺ–، وردّ على آراء المتجنّين من كتاب الغرب على سيرة الرسول – ﷺ– في منطق وبراعة، وختم كتابه بمبحثين عن الحضارة الإسلامية كما صوَّرها القرآن الكريم ومقارنتها بالحضارة الغربية، وخصَّص المبحث الآخر للرد على مزاعم بعض المستشرقين حول بعض المواقف الإسلامية، وأحدث ظهور الكتاب دويًّا هائلاً، وأقبل الناس على قراءته على نحو غير مسبوق، وتناوله المفكرون والكتاب فأنصفه بعضهم، وغض من قيمته آخرون، لكن على أية حال كان

([1]) المرجع السابق نفس الصفحة وما بعدها .

الكتاب فتحًا جديدًا في كتابة السيرة النبوية على هذا النحو الشائق الذي جعل فضيلة الإمام الأكبر محمد مصطفى المراغي يكتب مقدمة للكتاب، جاء فيها: "وقد وُفِّق الدكتور هيكل في تنميق الحوادث، وربط بعضها ببعض، فجاء كتابه عقدًا منضداً وسلسلة متينة محكمة الحلقات، يجعل القارئ مطمئن النفس رضي القلب ليستمتع بما يقرأ")[1].

وهذا الوصف للكتاب لا يُسلم به جميعاَ، إذ أن وصفه هذا يجعل من الكتاب لا مثيل له بين كتب السيرة النبوية وهذا غير مقبول ، فكثير من الكتب التي صنفت في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه ، وأدق في التحليل، وأعمق في الفهم، وأكثر إحصاء لاحداث السيرة .

وأما وصف الإمام الأكبر المراغي ففيه مبالغة لا داعي لها، إذ انه أراد أن يعطي الكتاب صفة عدم الخطأ فيه، وهذا لا يسلم له به، ففي هذا الكتاب تفسيرات وفهم لا يطمئن القارئ لها ، ولا يستمتع بتفسيرها .

ثم أتبع كتابه "حياة محمد" بكتاب عن رحلته في أرض الحجاز بعنوان "في منزل الوحي"، كتبه بأسلوب أدبي ، ووقف على الأماكن التي وقف فيها النبي – ﷺ– يتلمس سيرة النبي – ﷺ–، ويستخلص العبرة والمثل، والكتاب يجمع بين المشاهدة العيانية، والبحث التاريخي، والرؤية العاطفية[2] على طريقة الغربيين في البحث .[3]

ثم استكمل الكتابة بعد تناول سيرة النبي – ﷺ– بالحديث عن خلفائه، فأخرج كتابيه "الصديق أبو بكر"، و"الفاروق عمر".

---

[1] المرجع السابق ج1ص505

[2] ينظر البيومي محمد رجب، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ج1 ص505

[3] ينظر المرجع السابق 506/1

ولم يسلم الكتابان من نقد وجِّه إليهما، بعضه كان مغاليًا مسرفاً في النقد، غير أن معظمه جاء ليقوِّم الكتاب لا ليهدمه، ويبين جوانب تميزه لا ليغمطه حقه.[1]

المجال السياسي المصري

وإلى جانب هذه الأعمال الفكرية ،كتب الدكتور هيكل كتابه "مذكرات في السياسة المصرية" ،خرج جزءان منها في حياته، وصدر الجزء الثالث بعد وفاته، وهذا الكتاب من أهم أعمال هيكل، وتبدأ المذكرات بنشأة صاحبها السياسية عام (1331هـ = 1912م)، وينتهي الجزء الأول منها بتوقيع معاهدة 1936م، ويبدأ الجزء الثاني منها وينتهي بقيام ثورة 1952م.[2]

وهذه المذكرات مرجع هام في التاريخ السياسي المصري، وإن كان الحياد فيها عسيرًا؛ لأن لصاحبها موقفًا ورأيًا، وعلى الرغم من أهميتها فلا يمكن الاعتماد عليها وحدها دون الرجوع إلى المصادر الأخرى.[3]

ومن كتبه كذلك الآتي:

تراجم مصرية وغربية–الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة– مذكرات الشباب–ولدي – شرق وغرب – الإيمان والمعرفة والفلسفة – في أوقات الفراغ:مجموعة رسائل أدبية تاريخية أخلاقية فلسفية – ثورة الأدب – التدوينات المُؤلَّفة – ذكريات شامية –هل يغلب الدنيا أحد؟ – لا أتهم أحدًا – ذكريات وعبر– هؤلاء الثلاثة عرفتهم – حيوية الشعوب وأثر الظروف فيها – رأيت الشعب الألماني في أسوان – السياسة والعلم – في الهواء أيضًا – الخير والشر– هما معروف الجماعة ومنكرها – عادات وعقائد – قرية ظالمة – مصر لمن: للمصريين أم للأجانب؟! – اللغة والعلوم – أدب القصة – مقارنات – حقيقة الحياة – الموت والحياة – في الجامعة المصرية –

---

[1] المرجع السابق نفس الصفحة.

[2] المرجع السابق 507/1

[3] المرجع السابق نفس الصفحة

الصحافة والجمهور – لورد ستانسجيت – الشيخ سلامة حجازي – سبيل السلام ومكان الإنسانية منه – التجديد في الأدب وكيف أفهمه – عصر ترجمة أم عصر تأليف – التفكير الصحيح – حضارة البر والرحمة – نار القش – العمل للوطن عبادة – زرعوا فأكلنا... ونزرع فيأكلون –.

وإن كتبه لتربوا على المئتي كتاب ومقال، جمعها الكاتب احمد تمام في مذكرات عن محمد حسين هيكل.[1]

شخصية هيكل

يجمع كثير من المعاصرين للدكتور محمد حسين هيكل على أنه كان وديع النفس، جم الأدب، يميل إلى الدعابة في مجالسه، حاضر البديهة والمنطق الأدبي السليم، مثالاً للتواضع، لم تغير المناصب شيئًا من أخلاقه.[2]

وبعد حياة طويلة حافلة بجلائل الأعمال توفِّي الدكتور هيكل في (5 من جمادى الأولى = 8 من ديسمبر سنة 1956م).

[1] أحمد تمام محمد حسين هيكل ص6

[2] البيومي محمد رجب ، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين 509/1

المطلب الثاني: حياة محمد حسين هيكل العلمية والبيئة التي تأثر بها.

مر التطور الفكري لهيكل بمراحل عدة وذلك على النحو الآتي:

1- مرحلة الفكر الابتدائي والتي تعلم بها في الكتاب وحفظ القران وتعلم القراءة والكتابة، وانتقل بعدها إلى التعليم الابتدائي والإعدادي، وتخصص بالقانون، وتعرف في هذه الفترة على احد رؤوس دعاة التحرر والمساواة وهو احمد لطفي السيد[1] ،والذي وجهه إلى قراءة الأدب العربي القديم نحو كتاب الأغاني للأصفهاني والبيان والتبيين للجاحظ، وطالع عيون كتب الأدب الإنجليزي، ومن خلال قراءته لكتب الأدب الانجليزي انبهر بحضارتهم وقيمهم وأفكارهم فتشكل عنده ملامح المرحلة الثانية.[2]

2- مرحلة الانبهار بالفكر والقيم والحضارة والأدب والمنطلقات الغربية والتي دعته إلى السفر على نفقته الخاصة لإكمال دراسته في فرنسا، وقد دون ما دار في خاطره بمقالات تمجد الحضارة الحديثة، وتتخذ من أدباء فرنسا ومفكريهم موضعًا لتحليله الأدبي، وخصّ جان جاك روسو بمقالات تحليلية، ثم جمعها بكتاب خاص بعد عودته لكن هذه المرحلة الفكرية التي كان يؤمن بها ويعظمها ويقدسها، وهي ثقافة الغرب وقيمها وسلوكياتها، والتي لم يستطع أن يتخلص منها

([1]) أحمد لطفي بن السيد أبي علي(15 يناير 1872 - 1963): رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة. وينعت بأستاذ الجيل.ولد في قرية برقين بمصر، وتخرج بمدرسة الحقوق في القاهرة (1889) وعمل في المحاماة. وشارك في تأليف حزب (الأمة) سنة 1908 فكان أمينه، وحرر صحيفته (الجريدة) يومية إلى سنة 1914 وكان من أعضاء الحزب الوطني القدماء، ومن أعضاء (الوفد المصري) وتحول إلى (الأحرار الدستوريين) وعين مديرا لدار الكتب المصرية فمديرا للجامعة عدة مرات، ثم وزيرا للمعارف، والداخلية والخارجية (1946) فعضوا بمجلس الشيوخ (1949) وكان تعيينه رئيسا لمجمع اللغة العربية سنة 1945 واستمر فيه إلى أن توفي، بالقاهرة. وهو أول من سهل للفتيات دخول الجامعة في بدء إنشائها الزركلي الأعلام 200/1.

[2] ينظر محمد حسين هيكل في منزل الوحي ص24 ، ومحمد رجب البيومي النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين1 /502 .

في مرحلته الفكرية الرابعة التي كانت مرحلة النقد لقيم الثقافة الإسلامية وحتى لقيم الثقافة الغربية.[1]

وقد رجع بعد ذلك حاصلا على درجة الدكتوراه في القانون مؤمنا كل الإيمان أن حضارة الغرب هي المنقذة للشعوب، ولكن هذا لم يطل وما هي إلا فترة وجيزة من رجوعه إلى مصر إلا وقد بدت ملامح التغيير عنده قد بانت من نظرته لحضارة الغرب وقيمهم ويعود هذا التغير في النظرة إليهم لعدة عوامل:

أولاً: قيام الحرب العالمية الأولى والثانية.

بعد الحرب العالمية الأولى انهارت دعائم حضارة الغرب وثقافتها لتنبئ عن فسادها وحقيقة طلائها الظاهري الخادع الذي ابهر الناس بعد ان كانت تدعي أنها قائدة للمجتمعات وللإنسانية،فلهيب حربها وشرره امتدت لأطباق الأرض جميعا فحصدت الأرواح ودمرت الحضارات والدول وخلفت ملايين القتلى والأرامل والمشوهين.[2]

وهذا كان له الدور الأبرز في فكر هيكل وتحوله إلى وجهة جديدة من الفكر.

ثانياً : حركة التبشير التي كانت تقوم بها مجموعة من المبشرين مدعومين بالمال من حكوماتهم الغربية

3- مرحلة الافتتان بحضارة الفراعنة.

وكان السبب في هذا التحول أن جمعاً من كتاب الغرب يكتبون عن حضارة الفراعنة وقيمها معجبين بها، ليس إيماناً ولا حباً بحضارتها، ولكن ليوهنوا دعائم ورابطة الإسلام ببعث النعرات الإقليمية في كل قطر من أقطار المسلمين، هذا ليس فقط في مصر وإنما كتبوا عن غيرها من

---

[1] ينظر محمد حسين هيكل في منزل الوحي ص24 ، ومحمد رجب البيومي النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين1 /502 .

[2] محمد رجب البيومي النهضة الإسلامية في سير أعلامها /503

بربرية وفينيقية وأشورية، فخدع الأستاذ هيكل بهذا البهرج فيمن خدع، فولى وجهه نحو الحضارة الفرعونية حيناً من الدهر، يرى أن ماضيها موضع اعتزاز يمكن أن يكون حاضراً يرقى بالمجتمع إلى القمة فكتب فصولاً عن مينا وخوفو وتحتمس ورمسيس وتوت عنخ آمون.وأخذ يوالي زيارته لآثار الفراعنة في مصر، متحدثاً عن أمجادهم، ويستلهم قيمهم ويرى بهم الخروج من عنق الزجاجة التي بها الأمة إلى الفضاء الواسع الرحب وما هي إلا حين من الزمن حتى أدرك أن مثل هذا لا يكون مخلصاً منقذاً ملهما للمجتمعات. .[1]

4- مرحلة البحث في التاريخ الإسلامي

الرجوع إلى دراسة التاريخ الإسلامي، وخصوصاً سيرة رسول الله ﷺوسيرة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وتعرض كذلك لجمع من أصحاب رسول الله ﷺ ،ورضي الله عنهم أمثال أبي عبيدة وخالد وسعد بن أبي وقاص والمثنى بن الحارثة ،وغيرهم من أبطال الفتوحات رضي الله عنهم.

فوجد في هذا التاريخ بغيته، وأنه موضع اعتزاز، ومصدر رفعة وعلو ومنقذ للأمة مما هي فيه من تخلف وتراجع، وأكمل هذا الطريق بزيارة للحجاز ،وقام بحجة وزيارة لمسجد رسول الله ﷺ، وكل موضع نزل فيه رسول الله ﷺليستلهم منه معنى النهضة والتخطيط للرقي، وقد دون ذلك في كتاب(في منزل الوحي) ذلك الكتاب الذي يدل على عمق رجوعه بقوة إلى المنهج الصحيح الواجب إتباعه من كل مسلم.[2]

([1]) ينظر البيومي محمد رجب النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ج1 ص496.

[2] المرجع السابق نفس الصفحة

ولقد سطر الدكتور محمد رجب البيومي هذه المراحل في كتابه القيم "النهضة الإسلامية في سيَر أعلامها المعاصرين" مستنتجاً هذه المراحل من خلال ما كتبه من كُتب وما صرح به هيكل في كتابه في منزل الوحي إذ قال:

(لقد حاولت أن أنقل لأبناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية، وحياته الروحية، لنتخذها جميعا هدىً ونبراساً ،لكنني أدركت بعد أني أضع البذر في غير منبته، فإذا الأرض لا تتمخض عنه ولا تبعث الحياة فيه، وانتقلت ألتمس في تاريخنا البعيد، في عهد الفراعين موئلاً لوحي هذا العصر ينشئ فيه نشأة جديدة، فإذا الزمن وإذا الركود العقلي قد قطعا ما بيننا وبين ذلك العهد من سبب قد يصلح بذراً لنهضةٍ جديدة ،ورويت فرأيت أن تاريخنا الإسلامي هو وحده البذر الذي ينموا ويثمر ففيه حياة تحرك النفوس، وتجعلها تهتز وتربو، ولأبناء هذا الجيل في الشرق نفوس قوية خصبة تنموا فيها الفكرة الصالحة لتؤتي ثمرها بعد حين)[1]

والمتأمل في كتبه التي كانت في سيرة رسول الله ﷺوسيرة أبي بكر وعمر وعثمان، ليجد أنه ينأى بنفسه أن يأخذ بطريقة أهل الحديث، أو أهل السيرة في كتاباته، وإنما يتبع طريقة الغرب، والتي يقول عنها أنها الطريقة العلمية في نقد أحداث سيرة رسول الله ﷺوسيرة أبي بكر وعمر وعثمان.[2]

وهذه الطريقة العلمية التي يتحدث عنها تجيز له التحريف والتبديل، ولي أعناق النصوص على نحو قريب من طريقة المستشرقين، و إن كان في غير موضع يرد عليهم وعلى أسلوبهم في التعامل مع أحداث السيرة النبوية، وسنأتي عليه في موضعه إن شاء الله تعالى.

([1]) هيكل محمد حسين في منزل الوحي ص24.

([2]) هيكل محمد حسين حياة محمد ص74.

المبحث الثاني : التعريف بكتاب حياة محمد ، وفيه مطلب واحد:

المطلب الأول: التعريف بالكتاب من حيث طريقة التأليف فيه والمنهج الذي اعتمده في كتابه.

منهجه في تأليف الكتاب

إن الطريقة التي ألف فيها محمد حسين هيكل كتابه "حياة محمد" جاءت على نحو جديد خارج عن مألوف طريقة أهل السير أو أهل الحديث في كتابة سيرة رسول الله ﷺ.

وجعل منهجه في تأليف هذا الكتاب على الأُسلوب العلمي الحديث المستمد من الغرب في البحث العلمي، وهو يريد بذلك أن يخرج عن المألوف والجمود في البحث في سيرة رسول الله ﷺ الذي انتهجه المؤرخون وأصحاب السير على مر العصور، وكذلك تنقية السيرة النبوية مما علق بها من خرافات آمن بها كثير من العلماء والناس حسب رأيه.(1)

ولقد بين طريقته في تأليف هذا الكتاب فقال:

(وقد تأخذ القارئ الدهشة إذا ذكر ما بين دعوة محمد و الطريقة العلمية الحديثة من شبه قويّ؛ فهذه الطريقة العلمية تقتضيك إذا أردت بحثاً أن تمحو من نفسك كل رأي و كل عقيدة سابقة لك في هذا البحث، و أن تبدأ بالملاحظة والتجربة، ثم بالموازنة والترتيب ثم بالاستنباط القائم على المقدّمات العلمية. فإذا وصلت إلى نتيجة من ذلك كانت نتيجةً علميةً خاضعة بطبيعة الحال للبحث والتمحيص، و لكنها تظل علمية ما لم يثبت البحث العلمي تسرّب الخطأ إلى ناحية من نواحيها. وهذه الطريقة العلمية هي أسمى ما وصلت إليه الإنسانية في سبيل تحرير الفكر، وها هي ذي مع ذلك طريقة محمد و أساس دعوته، فكيف أقتنع الذين اتبعوه بدعوته وآمنوا بها ؟ نزعوا من نفوسهم كل عقيدة سابقة و بدؤا يفكرون فيما أمامهم.)(2)

---

(1) ينظر كتاب حياة محمد ص35

(2) الكتاب السابق ص21

إذن طريقته في تأليف هذا الكتاب قامت على عدة أسس أهمها:

1- أن تبدأ أولاً بتجريد نفسك من كل ما تعتقده وتزيل كل رأي كان عندك في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تصل إلى عقيدة ورأي صحيح ليس فيه شك أو شبهه.

2- المرحلة الثانية الملاحظة والتجربة لأحداث السيرة.

3- المرحلة الثالثة الموازنة والترتيب وهذا معتبر في سيرة رسول الله ﷺ فتُوَازن الأحداث وتُرتَّب ترتيباً علمياً دقيقاً ليس عشوائياً.

4- المرحلة الرابعة الاستنباط القائم على المقدمات العلمية.

ويقول:(إن هذه الطريقة العلمية هي أسمى ما وصلت إليه البشرية من تحرير الفكر، وهي طريقة رسول الله ﷺفي دعوته وهذا ما اقنع به الناس)[1].

ولكن هل هذه الطريقة التي نفى بها أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأوائل الوحي والمعجزات ومن جاء بعدهم؟ وهل قاموا بتحريف واستنباط أمور خاطئة في سيرة رسول الله ﷺ؟.

وإن الذي دعاه إلى اعتماد هذه الطريقة العلمية الحديثة؛ الاختلاف الواقع بأحداث السيرة النبوية بين نقلتها على حسب رأيه.

ومن ذلك الاختلاف الذي ذكره في قصة غزوة تبوك فقال: (و قد وقع مثل هذا الاختلاف على ما حدث أثناء مسيرة جيش العسرة إلى تبوك؛ فقد روى مسلم في "صحيحه" عن معاذ بن جبل أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن سار معه إلى تبوك: إنكم ستأتون إن شاء اللّه غداً عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار: فمن جاءها منكم فلا يمسّ من مائها شيئاً حتى آتى. فجئناها و قد سبقنا إليها رجلان والعين مثل الشراك تبضّ بشيء من ماء. قال: فسألهما رسول اللّه ﷺ: هل مسستما من مائها شيئا! قالا: نعم. فسبّهما النبي ﷺ و قال لهما ما شاء اللّه أن يقول. قال: ثم

---

[1] المرجع السابق ص21

غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء. قال: و غسل رسول اللّه ﷺ فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر – أو قال غزير، شك أبو عليّ[1] أيهما قال– حتى استقى الناس. ثم قال: يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا ملي ء جناناً»[(2)]

فأما كتب السيرة فتروي قصة تبوك على صورة أخرى لا يرد فيها ذكر المعجزة، و إنما تجري فيها الرواية على نحو غير ما ورد في صحيح مسلم. من ذلك ما رواه عنها ابن هشام إذ قال: «قال ابن إسحاق: فلما أصبح الناس و لا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول اللّه ﷺ فدعا رسول اللّه ﷺ، فأرسل اللّه سحابةً فأمطرت حتى أرتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء. قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد عن رجال من بني عبد الأشهل، قال: قلت لمحمود: هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال: نعم! و اللّه إن كان الرجل ليعرفه من أخيه و من أبيه و من عمه و في عشيرته ثم يلبس بعضهم بعضا على ذلك. ثم قال محمود: لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم حيث سار؛ فلما كان من أمر الماء بالحجر ما كان و دعا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم حين دعا فأرسل اللّه السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا أقبلنا عليه نقول: ويحك! هل بعد هذا شيء؟ قال سحابة مارّة».[(3)]

وهذا الاختلاف في الوقائع يجعل تأكيدها والقطع بها أمرا غير ميسور في نظر العلم، و يقتضي الذين يمحصونها ألّا يقفوا عند القول بالراجح و المرجوح قولاً لا يثبت إحدى الروايتين ولا

---

[1] أحد رجال الإسناد قال الإمام مسلم في سند حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِىُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَلِىٍّ الْحَنَفِىُّ حَدَّثَنَا مَالِكٌ – وَهُوَ ابْنُ أَنَسٍ – عَنْ أَبِى الزُّبَيْرِ الْمَكِّىِّ أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ...(صحيح مسلم ج7 ص60 رقم 6086)

([2]) صحيح مسلم ج7 ص60 رقم 6086

([3]) ابن هشام السيرة النبوية ج5 ص202

ينفي الأخرى؛ وأقلّ ما يجب عليهم إذا لم تثبت الرواية عندهم أن يغافلوها؛ فإذا عثر غيرهم من بعد على الأدلة اليقينية عليها فذاك، وإلا بقيت غير ثابتة ثبوتاً علمياً.[1]

وتحدث كذلك عن أن المعجزات هي مدار نقد في سندها وكذلك حادثة شق صدر النبي ﷺ.

والمتأمل في كلامه يدرك من القراءة الأولى أنه يريد أن يقارن بين روايتين يثبت علة واحدة وينفي العلة عن الأخرى ،ولكنه ما لبث أن نفى كلتا الروايتين، وإن كانت إحداهما في صحيح مسلم، مع العلم أن ما في صحيح مسلم مقدم على ما عند ابن إسحاق، ولكن أدوات الكشف والمقارنة بين الروايتين من علم نقد الأسانيد غير موجودة عنده، وإلا لما خرج بهذه النتيجة وأسقط الرواية التي في صحيح مسلم على أقل تقدير.

ثم هل لو كانت إحدى هاتين الروايتين وحدها دون الأخرى هي الثابتة هل سيتعرض لها بالنقد؟ ولا أظنه يفعل، إنمّا لمّا وجد الخلاف خرج بهذه النتيجة ،وهي تساقط الروايتين أو التوقف ، و حكم دون إمعان نظر أن ما في الصحيح هو المعتمد وأن الذي عند ابن إسحاق محط نقد إسنادي فإن صح أو ارتقى إلى رتبة ما في صحيح مسلم فحينها يحكم بالتوقف أو التساقط.

ولكن لما أراد أن يجعل المنهج العلمي الجديد هو الأساس الذي يسير عليه في كتابته لسيرة رسول الله ﷺ دون الالتفات إلى قواعد نقد المتن والإسناد والجرح والتعديل كان لابد من إسقاط كثير من الأحداث والروايات.

ويرى الباحث في هذه المسألة أن ما جاء في صحيح مسلم حادثة من أحداث غزوة تبوك، والذي ذكره ابن إسحاق حادثة أخرى، لأن فترة غزوة تبوك طويلة من حيث الزمن وقد وقع كثير من أحداث انقطاع الماء والطعام في هذه الغزوة.

([1]) هيكل محمد حسين: حياة محمد ص90و 91

ولم يكن تأليف كتاب حياة محمد ﷺ للأستاذ هيكل بغرض ديني بحت ، أي بقصد التعبد ، إنما لتعريف البشرية بطريق النبي صلى الله عليه وسلم التي سلكها حتى وصل إلى الكمال، ليتسنى للبشرية الاقتداء به ، وكذلك تعريف البشرية بهذا الدين يقول الأستاذ هيكل:

(من أجل ذلك كان خليقا من يتصدّى للبحث في مثل هذا الموضوع أن يتوجّه به إلى الإنسانية كلها لا إلى المسلمين وحدهم. فليست الغاية الصحيحة منه دينية محضة كما قد يظن بعضهم، بل الغاية الصحيحة منه أن تعرف الإنسانية كيف تسلك سبيلها إلى الكمال الذي دلّها محمد على طريقه. وإدراك هذه الغاية غير ميسور إذا لم يهتد الإنسان إلى هذه السبيل بمنطق عقله ونور قلبه، راضي النفس بهذا المنطق، منشرح الصدر إلى هذا النور؛ لأن مصدرهما المعرفة الصحيحة والعلم الصحيح).[1]

([1]) هيكل محمد حسين حياة محمد ص556

الفصل الثاني

العوامل التي أسهمت في نشوء المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية، والآثار المترتبة على ذلك، وفيه تمهيد و ثلاثة مباحث.

التمهيد : تعريف المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية.

- **المبحث الأول: العوامل التي أسهمت في نشوء المناهج الذاتية.**
- **المبحث الثاني: أثار المنهج الذاتي في كتابة السيرة.**
- **المبحث الثالث : ايجابيات كتاب حياة محمد والمآخذ التي أخذت عليه .**

تمهيد: تعريف المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية

لم يكن المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية مصطلحاً معروفاً عند العلماء قديماً إلاّ في فترة ليست بالبعيدة، ولعل من أوائل من أشار إليه الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي –رحمه الله- في كتابه "فقه السيرة"، وأطلقه على الذين يكتبون السيرة النبوية دون اعتبار نقد الأسانيد وأهميتها، وإعمال قواعد المحدثين وشروطهم.

ووصفه الدكتور البوطي في كتابه فقال: (ولا يرى أقطاب هذا المذهب من ضير في أن يقحم المؤرخ نزعته الذاتية أو اتجاهه الفكري والديني أو السياسي. في تفسير الأحداث وتعليلها والحكم على إبطالها. بل إنهم يرون أن هذا هو واجب المؤرخ. لا مجرد رصف الأخبار وتجميع الوقائع العارية)[1].

وتحدث عنه الأستاذ أنور الجندي فقال: (فطه حسين تابع لمذهب العلوم الاجتماعي، والعقاد تابع لمذهب العلوم النفسية، وهيكل تابع لمذهب تين وبرونتير.. الخ، وهذا الأسلوب الذاتي خطيرٌ جداً لأنه لا يقوم على قواعد أساسية علمية وإنما يقوم على أساس (الظن وما تهوى الأنفس) هذا الأسلوب يتيح لأصحابه أن يقبلوا وقائعَ وأحداثاً، وأن يغضوا عن غيرها ما يختلف مع وجهتهم المسبقة، من هنا كان خطورة هذا المذهب في استبعاد ما يخالف المألوف مما يدخل في باب المعجزات والغيبات في سيرة النبي ﷺ)[2]

فيشير الأستاذ أنور إلى أنّ كتابة السيرة النبوية على طريقة الأسلوب الذاتي التابع لمناهج الغرب التي لا تقوم على أسس علمية، وإنما تقوم على أساس الظن وهوى النفس وتستبعد المعجزات والغيبيات من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ،وهذا خطر على سيرة رسول الله ﷺ.

---

[1] محمد سعيد رمضان البوطي فقه السيرة ص24

[2] أنور الجندي تقديم ما قدمه الرواد ص3

ويشير كذلك إلى نقطة في غاية الأهمية وهي اعتبار الكتابة على هذه الطريقة مذهباً مستقلاً وهو ما أسماه المذهب الذاتي.

واستنتج سعدون الساموك من وصف البوطي تعريفاً للمنهج الذاتي فقال:

وهو المنهج الذي يقحم المؤرخ فيه نزعته الذاتية أو اتجاهه الفكري والديني، في تفسير الأحداث وتعليلها والحكم على إبطالها.[1]

ولكن هذا التعريف عام يفتقر إلى أهم العناصر وهو ذكر السيرة النبوية وان كان قد أشار إليها بقوله (الأحداث) لكنها عامةٌ تحتاج إلى تخصيص.

ومن خلال إطلاعي على كتب هذه المدرسة وأقوال بعض أهل العلم، يمكنني أن أستنتج تعريفاً للمنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية فأقول هو:

كتابة سيرة رسول الله ﷺ بالاستنتاج والرغبة الشخصية، والرضا النفسي، والميول إلى التوسم بالخبر.[2]

---

[1] سعدون محمود الساموك السيرة النبوية ص27

[2] ينظر البوطي فقه السيرة ص27

المبحث الأول

العوامل التي أسهمت في نشوء المنهج الذاتي، وفيه ثلاثة مطالب.

- **المطلب الأول: ضعف البناء الديني في شخصية كُتّاب السيرة على المنهج الذاتي.**
- **المطلب الثاني: أثر ظهور وانتشار العلمانية والشيوعية في نشوء المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية.**
- **المطلب الثالث: دور الإستشراق والمستشرقون في نشوء المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية.**

المطلب الأول: ضعف البناء الديني في شخصية كُتّاب السيرة على المنهج الذاتي.

إنّ الاختصاص في علوم الشريعة في كافة مجالاتها العلمية سواء في الفقه أو علومها أو العقيدة أو التفسير أو علومه أو الحديث أو علومه أو السيرة النبوية تجعل من الشخص الذي اختص بها ملما بالأصول الأولية لعلوم الشريعة، فهناك قواسم مشتركة في هذا العلم من إخلاص النية لله سبحانه وتعالى ،والأمانة العلمية، وإجلال هذا العلم ،والمحافظة على أصوله.

فقد امتاز علماء الأمة سابقاً بالموسوعية والتخصص في كل علم من علوم الشريعة، فتجد أحدهم مفسراً وفقيهاً ومحدثاً وأصولياً ونحوياً وغيرها من أنواع العلوم، التي تجعل منه أنموذجا في هذه العلوم .

فمثلا الإمام ابن كثير مصنف السيرة النبوية الذي أجاد في تصنيفها وحقق ودقق في جزئيتها وسار فيها على طريقة المحدثين في قبول الأخبار مما زاد في الثقة من الخبر المسرود عن أصحاب السير، هذا الإمام كان موسوعياً عالماً بكل أصول وفروع الشرع الشريف، والسبب في ذلك قوة البناء العلمي الذي حصله وهو في سن مبكرة فبعد أن توفي والده وهو في سن الرابعة رباه أحد المشايخ في دمشق ،وأخذ ينهل من علوم الفقه والحديث والتفسير، وتتلمذ على أيدي كبار العلماء في زمانه مثل ابن عساكر (499هـ - 571 هـ) والمزي {654 هـ- 742) وابن تيمية (661 هـ-726) والذهبي (673 هـ - 748 هـ)، وغيرهم من علماء زمانه ثم تولى مشيخة أم صالح بعد شمس الدين الذهبي. [21]

---

[1] ترجمته في شذرات الذهب 6 / 231. والدرر الكامنة 1 / 374 وذيل تذكرة الحفاظ للحسيني 58.

[2] ينظرالسيوطي ذيل طبقات الحافظ الذهبي 238/1

إذن البناء العلمي الذي تلقاه في صغره وتربى عليه من تعظيم الشريعة وكل ما ورد عن رسول الله ﷺ جعل تصنيفه في السيرة النبوية أنموذجا لكل من أراد أن يصنف في سيرة رسول الله- ﷺ- فلم ينكر معجزة وردت بحديث صحيح ولم يفسر تفسيرا غريبا لأي حدث من أحداث السيرة النبوية.

وحين تأتي إلى كتاب السيرة النبوية الذين كتبوا على طريقة المنهج الذاتي تجد أنّ البناء العلمي الشرعي عندهم ضعيف جداً لا بل لا تجد إلاّ ما ندر أن احدهم متخصص بعلم شرعي يؤهله أن يكتب في سيرة رسول الله ﷺ.

فالدكتور محمد حسين هيكل متخصص بالقانون والمحاماة ،وحين أراد أن يكتب في سيرة رسول الله ﷺ جمع عدداً من الكتب الشرعية لكي يؤلف في السيرة النبوية، منها ما استعاره من بعض أصحابه مثل صحيح مسلم وتاريخ مكة، ووقف على كثير من كتب المستشرقين لتكون من مصادره التي يعتمد عليها.

يقول الدكتور هيكل :

(بدأت أراجع تاريخ محمد، وأعيد النظر في سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد و مغازي الواقدي، وعدت إلى كتاب سيد أمير على (روح الإسلام)، ثم حرصت على أن أقرأ ما كتب بعض المستشرقين، فقرأت كتاب درمنجم وكتاب واشنطن إرفنج، ثم انتهزت فرصة وجودي بالأقصر في شتاء سنة 1932 وبدأت أكتب. ولقد تردّدت يومئذ في أن أجعل البحث الذي أطالع قرّائي به من وضعي أتى خيفة ما قد يقوم به أنصار الجمود، والمؤمنون بالخرافات من ضجة تفسد عليّ ما أريد، لكن ما لقيت من إقبال وتشجيع من طائفة شيوخ المعاهد، و ما أبدى لي بعضهم من ملاحظات تدلّ على العناية بالبحث الذي أقوم به، جعلني أفكر تفكيرا جدّيا في إنفاذ ما اعتزمت

من كتابة حياة محمد على الطريقة العلمية الصحيحة كتابة مفصّلة، و دعاني إلى التفكير في أمثل الوسائل لتمحيص السيرة تمحيصا علميّا جهد ما أستطيع).[1]

إذن هذه هي حصيلة الدكتور هيكل في سيرة رسول الله ﷺ وعلوم الشريعة، فلم يدرس علوم الشريعة على يد أهل الاختصاص وإنما كانت مطالعاته لعلم السيرة النبوية سطحية ارتجالية.

وهذا هو الغالب على كُتَّاب السيرة النبوية على طريقة المنهج الذاتي، فطه حسين مثلا متخصص بالآداب وكذلك محمد فريد وجدي وعباس العقاد.

إذن كان الاهتمام بالجوانب الشرعية عند كتاب السيرة النبوية الذين كتبوا على طريقة المنهج الذاتي سطحية وغيرَ عميقة وغير ممنهجة، وإنما كانت ارتجالية ذاتية شخصية لا تنبع من أُسس متينة وبناء في الصغر، كما كان عند علماء الأمة المصنفين في سيرة النبي ﷺ.

ويرجع ذلك إلى عدم اهتمام الدولة بعلوم الشريعة واستبدال المناهج العلمية الإسلامية بالمناهج الغربية منذ زمن محمد علي باشا، وعدم اهتمام الدولة بعلماء الشريعة الذين تخرجوا من الأزهر وتقليل أجور المدرسين منهم ورفع أجور المدرسين من غير علماء الأزهر[2]

يقول الأستاذ أنور الجندي عن العقاد وهيكل وطه حسين: (وكان الكتاب الثلاثة من المعروفين في مجال الدراسات الأدبية والسياسية بأنهم عصريون ليبراليون علمانيون، قليلو الاهتمام بالدراسات الإسلامية).[3]

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص37

[2] ينظر كتاب واقعنا المعاصر، محمد قطب 232/1.

[3] ينظر أنور الجندي تقويم ما تقدمه الرواد ص2.

المطلب الثاني: العلمانية والشيوعية ودورهما في تكوين المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية.

كانت العلمانية والشيوعية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قد امتدت إلى مصر وبغداد وبعض البلاد الإسلامية عن طريق الاستعمار والبعثات الخارجية إلى الشرق والغرب، وقد دخلت العلمانية والشيوعية في الحياة العامة والخاصة في المجتمع الإسلامي.

واخطر ما وصلت إليه العلمانية والشيوعية الفكر الإسلامي، فبعد أن كان الفكر الإسلامي ينهل من معين الوحي الإلهي كتاب الله عزّ وجل، وسنة رسول الله ﷺ تلوث بفكر العلمانية وفكر الشيوعية التي جاءت ضد الفكر الإسلامي والوحي الرباني.

ومن خلال المناهج العلمانية التي دخلت في مناهج التعليم في مصر أدخلت الأفكار العلمانية وأثرت في الدارسين وفي طريقة تفكيرهم وكان من أولويات الفكر العلماني ومناهجه ما يلي:

1- أن يقطع الصلة بين الأزهر وبين الأمة، بحيث لا يبقى له هيبة ولا سلطان على الأمة.

2- فصل السياسة عن الدين بحيث ينظر إلى الدين كشيء والسياسية شيء آخر.

3- فصل الأمة عن مقوماتها الرئيسية كالوحي والمعجزات والغيبيات بحيث ينظر إلى الدين على أنه علم جاف.

4- قتل روح الجهاد ضد الصليبيين، وقمع كل فكر يدعو إلى المقاومة.

5- تعظيم الفكر الغربي والدعوة إلى اتباعه واعتباره المنقذ للأمم.

6- تشويه التاريخ والسيرة النبوية وإشاعة الدعوى التي مفادها أنّ الإسلام انتشر بالسيف.[1]

وقد استمرت علمنة المجتمع الإسلامي ما يقرب من قرن و بدأت بالدعوة إلى ترك الحجاب والسفور. يقول محمد قطب وهو يتحدث عن مراحل العلمنة للمجتمع الإسلامي: (لقد استغرقت عملية الانتقال التدريجي ما يقرب من قرن من الزمان، ولكنها كانت عملية مستمرة،

[1] ينظر كتاب واقعنا المعاصر محمد قطب 230/1 وما بعدها

لا تتوقف، بل تتوسع على الدوام، على النحو الذي سنتحدث عنه في الفقرات التالية، متتبعين مراحل الانتقال في مجالات الحياة المختلفة، الاجتماعية والأخلاقية والفكرية والسياسية والاقتصادية.. وبالذات في قضية " تحرير المرأة)[1].

ولقد حققت العلمانية بقوة السلاح وعمالة بعض المسلمين ورغبتهم في التغيير أهدافها وما تريد ففصلت بين الأزهر والأمة وفصلت بين السياسة والدين وفصلت عند بعض المبهورين بالعلمانية بين الدين ومقوماته الرئيسية من وحي ومعجزات وغيبيات وشوه التاريخ الإسلامي وبدأت محاولات للطعن بالسيرة النبوية وتفسير أحداثها على طريق العلمانيين.

فوجدنا عند كثير من الكتاب المسلمين انبهاراً بمناهج الغرب في تفسير الأحداث ومناقشتها وخاصة في السيرة النبوية وأحاديث رسول الله ﷺ ومحاولة إيجاد أيّ ثغرة يدخلون من خلالها 'إلى شرع الله عزّ وجل.

فتجد مثلا العقاد متأثرا ببعض المدارس الأوروبية التي تعظم الفرد والفردية وتفسير مختلف حوادث التاريخ على هذين الأساسين، وقد أورد العقاد ذكرا لإحدى هذه المدارس التي تحدد صفات العبقري انطلاقا من تكوينه الجسدي وهي مدرسة (لومبروزو).[2]

وعلى هذا الأساس ألف كتابه عبقرية محمد ﷺ ليؤكد صحة أفكاره في أولية الفرد في التاريخ وأحقيته كمحرك له وليطعن ويشوه الإيمان بالجانب الجماعي في الإسلام ويشكك في دور العقائد والتربية في توجيه الأشخاص، فالعظيم عظيم بفطرته والعبقري عبقري منذ نشأته، كذلك فقد ركز العقاد على العوامل الوراثية والتكوين الجسماني والعصبي، ووضع هذه الأسباب في المرتبة الأولى

---

[1] المرجع السابق ص235

[2] ينظر أنور الجندي بحث حول كتابة السيرة في العصر الحديث وهو بمقدمة كتاب سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد 33/1

في توجيه الشخصية بحيث تأتي العقيدة الإسلامية والتربية في المرتبة الثانية إن كان هناك دور للعقيدة أو التربية في نظره.[1]

وهو في هذا قد حجب الجانب الرباني المعجز، وحجب الغيبيات في كل انتصارات النبي ﷺ وركز على عبقرية وطبيعته وحنكته العسكرية.

قال الأستاذ أنور الجندي:

(الأستاذ العقاد حارب مذهب التفسير المادي للتاريخ الذي قدمه ماركس والشيوعية حربا لا هوادة لها خضع مع الأسف للمذهب النفسي المادي الذي لا يعترف بالآثار المعنوية المترتبة على الإيمان والعقيدة في بناء الشخصية كما تجاهل جانب الغيبيات ولم يفهم النبوة فهما صحيحا، لذلك فإن الجانب الروحي القادر على العطاء في بناء الشخصيات والذي صنع شخصية رسول الإسلام تراه باهتا غائما عنده، وذلك لأنه اعتمد في دراسة الشخصيات والبطولات على مذاهب غربية تتجاهل النبوة والوحي والغيبيات والمعجزات، ولا تجعل هذه العوامل الروحية والمعنوية أي وزن وأي اعتبار وإنما قامت على جوانب الحس وتركيب الإنسان المادي والوراثيات وغيرها).[2]

وأما طه حسين فقد استقى فكرة كتابه على هامش السيرة من الكاتب الغربي الفرنسي "جيل لومتير" الذي ألف كتاباً على هامش الكتب القديمة يقول طه حسين: (ويتحتم أن نعترف بأن كتابين فرنسيين كانا بمثابة الشرارتين اللتين أشعلتا موقدين مختلفين، أحد الكتابين لجيل لومتير وعنوانه "على هامش الكتب القديمة"، والثاني "حياة محمد" لإميل درمنجم".)[3]

---

[1]ينظر المرجع السابق نفس الصفحة

[2] أنور الجندي بحث حول كتابة السيرة في العصر الحديث وهو بمقدمة كتاب سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد 33/1

[3] صلاح عطيه الإسلام والغرب مقالات لطه حسين ص20

ويتحدث الأستاذ غازي التوبة عن كتاب طه حسين "على هامش السيرة" وأنه إنما قام بتأليفها على أساس إيجاد أسطورة للعرب كما لغيرهم أساطير حيث يقول:

(إن طه حسين ينصب نفسه إمامًا للأساطير اليونانية ويضع السيرة في مصاف الإلياذة ويطلب من المؤلفين والكتاب أن يفتتنوا في الحديث عنها افتتان أوروبا بأساطير اليونان، كي يرضوا ميول الناس إلى السذاجة، ويمتعوا عواطفهم وأخيلتهم. ولكن هل يتساوى الأثران في المجتمعين: " الإلياذة" في المجتمع اليوناني، والسيرة في المجتمع الإسلامي، وهل كانت السيرة يومًا ما في التاريخ موضوعًا لتسلية قصصية أو مباراة لفظية)[1]

لقد آثرت العلمانية في كتابة التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية تأثيراً خطيراً على أكمل وجه على نحو ما أراد الساسة لها، وذلك من خلال من ينتمون إلى الإسلام، فشُوِّه التاريخ وغيرت بعض حقائق السيرة النبوية، واقتنع جمع لا بأس بهم بأفكار هولاء الكُتَّاب منذ التأليف على هذه الطريقة إلى وقتنا الحاضر.

وما كانت الشيوعية بأقل تأثيراً من العلمانية في الفكر الإسلامي إذ أنها على مستوى العلمانية أو أكثر، فقد اقتنع كثير من أصحاب الفكر والرأي من المسلمين بأفكار الشيوعية ومبادئها لا بل ودعوا إلى الاقتناع بها ودافعوا عنها دفاع المستميت.

فمثلا الدكتور محمد حسين هيكل يدَّعي أنّ في الإسلام اشتراكية موجودة في القرآن الكريم ولكن لم يتسنَّ لأحد أن يبحث عنها ويكشف عن حقيقتها [2] ثم يطرح رأيه في هذا الموضوع ويكون من الذين ادعوا أن في القرآن اشتراكية وفي الإسلام كذلك ليلغي المصطلحات الإسلامية ويشوه نقاء تلك المصطلحات بهذه اللفظة وسأبين هذا الأمر في الفصل الرابع إن شاء الله.

---

[1] غازي التوبة محاكمة فكر طه حسين ص189

[2] ينظر محمد حسين هيكل حياة محمد 541 وما بعدها

أما في مجال تشبيه النبي ﷺ بالشخصيات الشيوعية والاشتراكية فكان واضحاً عند الأستاذ عبدالرحمن الشرقاوي[1]، الذي كان حقوقيا وأديباً صاحبَ فكر اشتراكي أو يساري مؤمن كل الإيمان أن الشيوعية هي المنقذة للشعوب، فحاول تطبيق هذه النظرة الاشتراكية على التاريخ والسيرة النبوية فألف كتاب (محمد رسول الحرية) فقد كان الشرقاوي يعشق فكر ماركس[2] محاولاً تشبيه النبي به.

حاول الشرقاوي أن يعزل الوحي عن شخصية رسول الله ﷺ و أنه بشر وأنّ كل إنجازات النبي ﷺ بشرية وقد أعلن في بداية كتابه تحت العنوان الرئيسي للكتاب قول الله تعالى: (إنما أنا بشر مثلكم) فصلت:5 وبذلك أراد أن يعزل شخصية النبي ﷺ عن الوحي ونرى النص الذي اختاره شعاراً لكتابه مقطوعاً عما قبله وما بعده، فما قبله هو قوله تعالى مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم بقوله "قل" وهو يصرح بخطاب الله تعالى للنبي ﷺ، وما بعده هو قوله تعالى "يوحى إليّ"، قد أبعده ولم يأت به لأنه لا يتفق مع غرضه الذي يهدف إليه لأنه يريد نفي الوحي عن الحياة المحمدية.[3]

وادعى أنّ جبريل عليه السلام جاء النبي ﷺ وهو في المنام ليس في اليقظة فيقول: (ولكن في تلك الليلة من رمضان، أغفى قليلاً ثم نام، فرأى من يعرض عليه كتاباً ويطلب منه أن يقرأ، فقال ما أنا بقارئ، ولكنه ألح عليه أن يقرأ، فسأله ماذا أقرأ فقال له: (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم): وعندما

---

[1] (شاعر، روائي، كاتب مسرحي، مفكر ولد في قرية الدلاتون في دلتا مصر عام 1339هـ1920 وأتم دراسته للحقوق في جامعة فؤاد الأول. وتولى بعد قيام ثورة يوليو عدداً من المناصب والمراكز القيادية في مجالات الثقافة والنشر.توفي 1987) سليمان بن صالح الخراشي نظرات شرعية في فكر منحرف 5 ص2

[2] فيلسوف ألماني، واقتصادي، وعالم اجتماع، ومؤرخ، وصحفي واشتراكي ثوري (5 مايو 1818م – 14 مارس 1883م). لعبت أفكاره دور هام في تأسيس علم الاجتماع وفي تطوير الحركات الاشتراكية. واعتبر كارل أحد أعظم الاقتصاديين في التاريخ.[4][5][6][7] نشر العديد من الكتب خلال حياته، أهمُها بيان الحزب الشيوعي (1848)، و رأس المال (1867–1894).ويبكيديا الموسوعة الحرة

[3] ينظر سليمان بن صالح الخراشي نظرات شرعية في فكر منحرف ص11

استيقظ من نومه يحفظ ما سمعه من النوم ويستوضح حلمه فيما بينه وبين نفسه، فإذا به وهو بين اليقظة والنوم كأنه يسمع صوتاً بعيداً يقول له: أنت رسول الله وأنا جبريل؟)[1]

وهو يشير إلى أنّ النبي ﷺهو الذي قال لأبي لهب تبت يداك وكذلك قال لزوجة أبي لهب في جيدها حبل من مسد ولا يذكر أنّ النبي عليه الصلاة والسلام نقل ذلك عن الله عزّ وجل وحين ذكر، قصة الفداء في بدر أشار إلى أنّ النبي – ﷺ– هو نفسه أدرك أنه أخطأ في الفداء يقول الشرقاوي :

(إن النبي ﷺ بعد تأمل وتدبر قرر خطأ الفداء، وهذا نص كلامه فقد أطلق كثيراً من الأسرى ولم يعد –أي لم يبق– غير القليل، فانقطع يفكر وخرج على أصحابه يقول: إنه أخطأ هو وأبو بكر حين لم يسمعا لنصيحة عمر، فما كان له أن يترك لقريش أسراها لتستعين بهم على حربه مرة أخرى)[2]

إذا يجعل كل أمر جاء من عند الله عزّ وجل بفعل شيء أو الامتناع عنه موجها لرسول الله من فكر رسول الله لا تدخلاً للإرادة الالهية و لا تدخل للقرآن به، وهو ما صرح به في قصة التبني وغيرها مما يحتاج إلى بسط في بحث خاص.

وأخطر ما كتبه أنّ النبي ﷺ هو الذي وضع القرآن الكريم يقول(لقد ذكر أن النبي ﷺ أذن لبعض الناس بالعودة من حيث خرجوا، وكان ذلك في بعض الغزوات، ثم يقول: فأذن لمن يريد أن يعود إلى بيته أن يعود، فهذا خير من أن يبقى في الصفوف ليشيع الانهزام، ويثبت في الصفوف من يجد في نفسه القدرة على مواجهة الخطر، والرغبة الصادقة في الاستشهاد دفاعاً عما يؤمن به، وهمهم لنفسه وهو يتقدم الصفوف: (عفا الله عنك لم أذنت لهم) ولكنه عاد فرأى الخير في تخليص

---

[1] عبدالرحمن الشرقاوي محمد رسول الحرية ص64 دار الشروق ط2

[2] المرجع السابق ص181

صفوفه من العناصر الخائرة ثم أخذ يتلو عليهم: (وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا، ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً... قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً)[1]، ولفق الكثير من الأحداث التي لم تكن موجودة في سيرة رسول الله – ﷺ– مثل ادعائه أن النبي ﷺ سافر إلى اليمن وأنه كان كثير الرحلة إلى فارس والروم وكان على اتصال بينه وبين كبار الروم والفرس وغيرها الكثير الكثير.

أراد الأستاذ الشرقاوي أن يفرض ايمانه بالشيوعية أو ما يسمى باليسارية ويطبقها على سيرة النبي ﷺ ويجعله كماركس في إنجازاته وفكره ويجعله واضعا للإسلام في كل جوانبه وينفي توجيهات الله عزوجل لنبيه ليصل إلى أنّ النبي– ﷺ– حرر العرب مما كانوا فيه وهذا معنى عنوان كتابه محمد رسول الحرية.

[1] المرجع السابق 240

المطلب الثالث: دور الاستشراق والمستشرقين في نشوء المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية.

اهتم المستشرقون بالشريعة الإسلامية بكل جوانبها من قرآن وسنة وبكل ما يتصل بهما من علوم، وذلك ليتوصوا إلى أي مدخل ليطعنوا بهذا الدين ويشوهوا محاسنه ويطمسوا حقائقه، وكذلك كان اهتمامهم بالسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي لتغيير الصحيح من أحداثه وتفسيرها برؤية استشراقية.[1]

وقد تعددت المدارس الاستشراقية منذ بدايتها فبدأت بالمدرسة النصرانية بشقيها الكاثوليكية والبروتستانتية وكلاهما يلتقيان بالأعمال والأهداف وإن اختلفتا ببعض الجزئيات، ومدرسة الاستشراق اليهودي التي لا تريد إلاّ خدمة اليهودية العالمية وقد كانت وما زالت تظهر بأسماء وأقنعة بحسب الموقف.[2]

كانت أكثر المدارس الاستشراقية دراسة للسيرة النبوية المدرسة النصرانية وذلك أنها كانت حاقدة على الإسلام ونبي الإسلام ﷺ مدفوعة بدافع الانتصار للنصرانية، والرغبة بتنصير المسلمين الذين اكتسحوا إمبراطوريتهم واستطاع دينهم الحق أن يغلب النصرانية المحرفة في نفوس أتباعها.

ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر، بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة النصرانية عند الغربيين، وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين ، فلم يجدوا وسيلة أجدى من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة محرفة، وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى، ثم

---

[1] ينظر عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني أجْنِحَةُ المَكْرِ الثَّلَاثةْ وَخوافيهَا . التبشير – الاستِشراق – الاستِعمار ص108وما بعدها

[2] المرجع السابق ص 108

الفتوحات الإسلامية العثمانية في أوروبا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف شديد من قوة الإسلام، ومن كره لأهله، فاستغلوا هذا الجو النفسي، وازدادوا نشاطاً في الدراسات الإسلامية.[1]

ومدارس الاستشراق يندر أن تجد بها منصفا يتحلى بالموضوعية في الطرح فقد يكون منصفا في جزئية دون أخرى أما الموضوعية الكاملة فتخلوا المدارس الاستشراقية منها، وأما الذين تعرضوا لشخص النبي – ﷺ– وسيرته العطرة من المستشرقين فكانوا كثراً يصعب حصرهم وعرض أفكارهم، وسأذكر ما كان لهم من تأثير في كتابة السيرة النبوية على طريقة المنهج الذاتي،فان واضعي هذا المنهج هم من المستشرقين واستفاد الكتاب العرب من منهجهم في كتابة السيرة النبوية.

وكتاب العرب الذين كتبوا السيرة النبوية على طريقة المنهج الذاتي لم يتأثروا بالمستشرقين الذين طعنوا بالنبي – ﷺ– وشتموه مباشرة وإنما تأثروا بالمستشرقين الذين عرضوا لسيرة رسول الله– ﷺ– بشيء من الإنصاف في بعض جوانب دراستهم لسيرته العطرة.

وقد تبين للباحثين أن هناك فرقاً بين المستشرقين في العصور الوسطى الذين كتبوا في سيرة رسول الله– ﷺ– وبين المستشرقين في العصر الحديث إذ أنّ الاستشراق في العصور الوسطى كان يتميز بالقدح المباشر بشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام وتشويهه في نفوس القراء، أما الاستشراق في العصر الحديث فتميز بالطعن غير المباشر بشخصية رسول الله مثل محاولة إنكار نبوته وإنكار الوحي ونعت النبي صلى الله عليع وسلم بالعبقري والبطل ليتجرأ الناس على شخصه.[2]

فتجد أنّ محمد حسين هيكل افتتن بمنهج درمنجم الانصافي حسب وجهة نظر هيكل في دراسة سيرة رسول الله – ﷺ– وذكر هيكل المواضع التي كان منجم منصفا ولم يتعرض إلى ما لم

[1] المرجع السابق ص 110 وينظر عبدالله محمد الأمين النعيم الاستشراق في السيرة النبوية 32

[2] ينظر عبدالمتعال الجبري السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ص9

يكن فيه منصفا وإنما تبنى بعض أفكاره التي طعن فيها وحرف وبدل في سيرة رسول الله – ﷺ– دون الإشارة إلى اسمه وهذا ما سنعرضه في الفصل الثالث إن شاء الله.[1]

وعلى طريقة إميل درمنجم والسير وليم موير[2] في عنونة اسم كتابهما "حياة محمد" ألف محمد حسين هيكل كتابه حياة محمد ليكون على شاكلتهما في الطرح والموضوعات ، وقد صرح أنه يريد أن يؤلف هذا الكتاب على الطريقة العلمية الحديثة الغربية التي هي منهج درمنجم والسير موير.

وتأثر هيكل بالمستشرق البلجيكي الأب لامنس [3] الذي كان متحاملا على الإسلام ونبيه – ﷺ– في كتبه حول السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي،فتحامل لامنس على السيرة النبوية واضحا ويتمثل ذلك في زعمه أن القرآن وحده هو المصدر الذي يعتمد عليه في بيان سيرة النبي، وأن كتب الحديث كلها موضوعة ولا يوثق بها ولا يعتمد عليها في نقل سيرة النبي صلوات الله وسلامه عليه منها.[4]

وهذا ما صرح به واعتمده الدكتور هيكل أنّ القرآن الكريم أصدق مرجع في سيرة رسول الله– ﷺ–،[5] وأنّ الأحاديث النبوية فيها اختلاف شديد وتناقض لأحداث السيرة النبوية مما يجعلها موضع شك في أحداث السيرة النبوية[6].

---

[1] ينظر محمد حسين هيكل حياة محمد ص30

[2] 1819 – نيبال 11 يوليو 1905) مستشرق اسكتلندي ولد في جلاسجو، قام بعمل دراسات حول حياة النبي عليه الصلاة والسلام الأعلام124/8

[3] هنري لامنس اليسوعي: H Lammens مستشرق، بلجيكي المولد، فرنسي الجنسية، من علماء الرهبان اليسوعيين.1862 – 1937 الزركلي الأعلام 99/8

[4] ينظرصباح علي البياتي الصحوة ص324

[5] ينظر محمد حسين هيكل حياة محمد ص37

[6] المرجع السابق ص79

وأما القصة التي أوردها ابن هشام بخصوص أنّ النبي- ﷺ- نزل عليه الوحي وهو نائم [1] فقد اعتمد عليها المستشرق كزيميرسكي وجعلها أساس الوحي كله [2] ليتوصل إلى أنّ الوحي إنما هو منامات تبدت للنبي ﷺفأولها وزاد عليها بحسب الوقائع والحاجات فاستغلها ليضع هذا الدين ،ولم يكن الوحي ظاهرة حقيقة تأتي إلى النبي عليه الصلاة والسلام في اليقظة تخبره بأوامر الله ونواهيه وشرعه.

وقد اعتمد الدكتور محمد حسين هيكل[3] على هذه الرواية المنقطعة السند وتأثر بالمستشرقين في اعتماد هذه الرواية مع أن البخاري رحمه الله تعالى اخرج رواية نزول الوحي على النبي –عليه الصلاة والسلام – في اليقظة وقد أشرت إلى هذا الموضوع في الفصل الأول.

لقد مدح كثير من المستشرقين النبي ﷺومع مدحهم له كانوا يضعون السم في الدسم وينسبون هذا الدين له ومن أعماله وأفكاره يقول المستشرق الفرنسي إميل درمنجم(إن محمداً قد أباح الرق، ولكنه نظمه، وضيق حدوده، وجعل العتق عملاً خيراً، بل كفارة عن بعض المعاصي)[4].

جعل هذا المستشرق الذي أثنى على رسول الله – ﷺ- في أكثر من موضع من كتابه" حياة محمد" موضوع إباحة الرق من فعل رسول الله – ﷺ- ومن تنظيمه وفكره وقيده.

وقال أيضا :(إن الغنائم الحربية كانت في ذلك العهد، النتيجة العادية لكل جهاد، بل يمكن أن يقال: إنها كانت مع التجارة وتربية الحيوان هي الصناعة الوطنية العربية، فأعلن محمد رسول

[1] سبق بيانها وتخريجها في الفصل الأول والرد على الدكتور هيكل

[2] ينظر عبدالمتعال الجبري السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ص79

[3] ينظر محمد حسين هيكل حياة محمد ص174

[4] محمد حسام الدين الخطيب هل كان محمد رحيما ص105

الإسلام إباحتها لأتباعه استجابة لضعفهم، ولكنه حددها بقواعد دقيقة، فخصص الجزء الأكبر منها للصدقات ولحاجات الجيش كما أنه قد حظر في قسم الأسرى إبعاد الأطفال عن أمهاتهم)[1].

وهنا تحدث عن الغنائم وأنّ الذي أباحها هو النبي-عليه الصلاة والسلام- وهو الذي حددها وجعل لها القواعد الدقيقة وقسمها تقسيما دقيقا، ولم يتحدث عن القرآن الكريم ولا عن أنّ هذا هو كلام الله عزّ وجل وهذا تنظيمه وحكمه سبحانه وتعالى وإنما هو من فكر رسول الله- ﷺ-.

وهذا الأسلوب تأثر به أصحاب المنهج الذاتي مثل عبدالرحمن الشرقاوي صاحب كتاب" محمد رسول الحرية " ذلك أنه أقصى عنصر الوحي من حياة النبي - ﷺ- وجعله يتصرف من عنده كما يتصرف سائر البشر، وليس نبيا أوحى إليه.

يقول أنور الجندي بشأن صاحب كتاب" محمد رسول الحرية "(ويرى الكاتب أن القرآن من كلام محمد ولم يذكر قط على وجه التصريح أن الله تبارك وتعالى هو منزل القرآن وباعث محمد بالرسالة بل إن ذكر الله تبارك وتعالى يندر في الكتاب بل لا تجد له ذكرا قط ولم يذكر القرآن إلا نادرا بل لا تكاد تجد)[2]

فهذه آثار التأثر بالمستشرقين وفكرهم وهو إنكار أن يكون القران من كلام الله عزّ وجل عند بعض أصحاب هذه المدرسة مثل العقاد والشرقاوي، وأنّ القرآن الكريم هو من صنع رسول الله- ﷺ- وهو الذي ادعى أنه رسول من عند الله وذلك يرجع إلى عبقريته وخبرته وقوة شخصيته . ومثل هذا أو قريبا منه فعل الأستاذ العقاد حين أشار إلى عبقرية رسول الله - ﷺ- في الانتصار في بدر وما قدمه من حنكة عسكرية [3] بعيدا عن وحي الله وإمداده له بالملائكة وغيرها.

---

[1] اميل درمنجم حياة محمد ص320

[2] أنور الجندي بحث قدم في مؤتمر السيرة النبوية وهو بهامش كتاب سبل الهدى والرشاد بسيرة خير العباد ج1 ص34

[3] ينظر عباس محمود العقاد عبقرية محمد ﷺص 50 وما قبلها وما بعدها

ويمكن إجمال شبهات المستشرقين التي أثاروها حول السيرة النبوية وشخصية النبي صلى الله عليه وسلم فيما يأتي:

1- اعتماد رواية أن الوحي نزل على رسول الله ﷺفي غار حراء وهو نائم.

2- إنكار المعجزات والغيبيات وتفريغ السيرة النبوية من وجودها وذلك لأن الأحاديث الواردة موضوعة أو مختلفة .

3- إثبات أن النبي – ﷺ– كان يتصرف بمعزل عن الوحي في إدارة الدولة والمعارك وغيرها وذلك ليتوصلوا إلى أنه واضع القرآن.

4- اختلاق القصص الكاذبة والأساطير في السيرة النبوية لإقناع المجتمع الغربي بضعف قواعد الإسلام.

5- التركيز على القضايا التي في ظاهرها انتهاك حرية الإنسان من زواج الفتيات في سن مبكرة أو قتل أو تعدد الزوجات.

6- الاهتمام بالروايات التي تدل على أنّ مصادر الإسلام من الدين المسيحي أو النصراني أو غيرها.

7- التركيز على جعل القرآن هو المرجع الصادق الوحيد في سيرة رسول الله – ﷺ –، وأنّ الأحاديث الواردة بسيرته عليه الصلاة والسلام موضوعة أو ضعيفة أو مختلفة ليتوصلوا إلى إنكار السنة النبوية.

المبحث الثاني

أثار المنهج الذاتي في كتابة السيرة، وفيه أربعة مطالب.

- **المطلب الأول: تفريغ السيرة النبوية من المعجزات والغيبيات.**
- **المطلب الثاني: إنكار الوحي.**
- **المطلب الثالث: الفهم الخاطئ لأحداث السيرة النبوية**
- **المطلب الرابع: إخراج سيرة الرسول – ﷺ– من دائرة النبوة إلى العبقرية.**

المطلب الأول: تفريغ السيرة النبوية من المعجزات والغيبيات.

شكلت المعجزات والغيبيات في السيرة النبوية نسبة كبيرة، وأخذت مساحة مهمة في سيرة رسول الله – ﷺ–، واعتُبرت عاملاً مهما في الدلالة على صدق رسالة النبي – ﷺ–، ووردت كثير من المعجزات والغيبيات في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ففي القرآن ورد ذكر شق القمر وإمداد الله عزوجل نبيه بالملائكة يوم بدر والإسراء والمعراج وغيرها، وأما في الحديث الشريف فجاء ذكر تكثر الطعام ونبع الماء من بين يديه الشريفتين ونطق الجمادات بحضرته وغيرها مما ورد بالأسانيد الصحيحة التي لا يتطرق الشك إليها عند علماء الحديث.

وكان اهتمام علماء الأمة كبيراً بمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم المادية الواردة بسيرته العطرة ، فصنفوا فيها المصنفات فكان في هذه المصنفات الصحيح والحسن والضعيف والموضوع، وبذل علماء الأمة جهودا عظيمة لبيان الضعيف والموضوع منها.

والاسم الأشهر الذي عنون به العلماء هذه المؤلفات (دلائل النبوة) كما فعل الرازي وأبو نعيم والبيهقي وغيرهم ممن صنف في هذا الفن،وبعضهم سماها (آيات النبي ﷺ) كالمدائني، وبعضهم (أعلام النبوة) كما فعل أبو داود السجستاني وابن قتيبة والماوردي، أو (أمارات النبوة) كالجوزجاني، أو (معجزات النبي– ﷺ–) كعبد الحق الاشبيلي، وهي كلها أسامي تفيد معنى واحدا، هو تلك الدلائل والأمارات والبراهين الدالة على صدق رسالة ونبوة سيدنا محمد ﷺ، وقد عد الدكتور محمد أحمد فكير نحوا من ثمانين مصنفا في الدلائل والمعجزات النبوية. [1]

---

[1] ينظر أحمد بن محمد فكير بحث بعنوان" من مصادر السيرة النبوية: كتب دلائل النبوة" ص5

ومن العلماء المحققين الذين صنفوا في معجزات النبي –صلوات الله عليه وسلامه– السيوطي في كتابه الخصائص الكبرى، وكان جهده عظيماً في هذا الباب إذ أنه بين جهده في هذا الكتاب من التحقق من ثبوت المعجزات والخصائص النبوية فقال:

(كتاب فاق الكتب في نوعه جمعا واتقانا يشرح صدور المهتدين إيقانا ويزداد به الذين آمنوا إيمانا ديوان مستوف لما تناسخته السفرة الكرام البررة مستوعب لما تناقلته أئمة الحديث بأسانيدها المعتبرة مشتمل على ما اختص به سيد المرسلين من المعجزات الباهرة والخصائص التي أشرقت إشراق البدور السافرة ،وأوردت فيه كل ما ورد ،ونزهته عن الأخبار الموضوعة، وما يرد وتتبعت الطرق والشواهد لما ضعف من حيث السند ورتبته أقساما متناسقة وأبوابا متلاحقة)[1]

وقد رويت المعجزات والغيبيات جيلاً عن جيل إلى زمن المصنفين وما زالت تروى شفهيا إلى زمننا الحاضر، وهذا ما يتحدث عنه الإمام ابن حجر العسقلاني إذ قال:

(وَأَمَّا مَا عَدَا الْقُرْآنَ مِنْ نَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَنُطْقِ الْجَمَادِ فَمِنْهُ مَا وَقَعَ التَّحَدِّي بِهِ وَمِنْهُ مَا وَقَعَ دَالًّا عَلَى صِدْقِهِ مِنْ غَيْرِ سَبْقِ تَحَدٍّ وَمَجْمُوعُ ذَلِكَ يُفِيدُ الْقَطْعَ بِأَنَّهُ ظَهَرَ عَلَى يَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، كَمَا يُقْطَعُ بِوُجُودِ جُودِ حَاتِمٍ وَشَجَاعَةِ عَلِيٍّ وَإِنْ كَانَتْ أَفْرَادُ ذَلِكَ ظَنِّيَّةً وَرَدَتْ مَوْرِدَ الْآحَادِ مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُعْجِزَاتِ النَّبَوِيَّةِ قَدِ اشْتَهَرَ وَانْتَشَرَ، وَرَوَاهُ الْعَدَدُ الْكَثِيرُ وَالْجَمُّ الْغَفِيرُ وَأَفَادَ الْكَثِيرُ مِنْهُ الْقَطْعَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْآثَارِ وَالْعِنَايَةِ بِالسِّيَرِ وَالْأَخْبَارِ وَإِنْ لَمْ يَصِلْ عِنْدَ غَيْرِهِمْ إِلَى هَذِهِ الرُّتْبَةِ لِعَدَمِ عِنَايَتِهِمْ بِذَلِكَ بَلْ لَوِ ادَّعَى مُدَّعٍ أَنَّ غَالِبَ هَذِهِ الْوَقَائِعِ مُفِيدَةٌ لِلْقَطْعِ بِطَرِيقٍ نَظَرِيٍّ لِمَا كَانَ مُسْتَبْعَدًا وَهُوَ أنه لا مرية أَنَّ رُوَاةَ الْأَخْبَارِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ قَدْ حَدَّثُوا بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ فِي الْجُمْلَةِ)[2]

---

[1] السيوطي الخصائص الكبرى 4/1 دار الكتب العلمية بيروت

[2] ابن حجر العسقلاني فتح الباري 532/6

وهذا النص يفيد أن معجزات النبي – ﷺ– اشتهرت وانتشرت ورواها العدد الكثير والجم الغفير، وقد أفادت بمجموعها القطع عند أهل العلم وكل طبقة من الرواة نقلوا هذه المعجزات إلى الطبقة التي تليها، إلى أن جاء العصر الحديث والأمة في تلقي المعجزات والغيبيات بالقبول لا يدخل إلى قلوبهم شك بها، ولا يخرجونها عن فهمها الصحيح، ولكن في العصر الحديث ظهر جمع من الكتاب والمؤلفين ينكرون الغيبيات والمعجزات ويفسرونها تفسيراً لا يعتمد على لغة ولا إلى رأي ضعيف قاله سلف يعتمد عليه وكل اعتمادهم تبع لمستشرق أو حداثي أو عقلي. والسبب في إنكار الغيبيات والمعجزات عند أصحاب المنهج الذاتي ادعاؤهم أنّ الأحاديث التي وردت بذكر المعجزات أحاديث مختلفة ومتعارضة، وهذه المعجزات إن لم تكن مختلفة فهي مما يعارضه العقل.

يقول الأستاذ عباس العقاد (إنما نجحت دعوة محمد لأنها دعوة طلبتها الدنيا ومهدت لها الحوادث، وقام بها داعية تهيأت له بعناية ربه وموافقة أحواله وصفاته، فلا حاجة بها إلى خارقة ينكرها العقل أو إلى علة عوجاء يلتوي بها ذوو الأهواء، فهي أوضح شيء لمن أحب أن يفهم وهي أقوم شيء سبيلا لمن استقام)[1].

فإذا لا حاجة لدعوة سيدنا محمد ﷺ لخوارق العادات والغيبيات التي ينكرها العقل أو يشوبها علة بسندها يلوي أصحاب الأهواء بهذه العلة ويجعلونها علة غير قادحة على حد زعم العقاد.

ومن الذين أنكروا هذه المعجزات عبد المنعم ماجد[2] في كتابه التاريخ السياسي للدولة العربية اذ يقول :(لكن محمدا لم يرض أن ينسب إليه معجزة غير معجزة نزول الوحي عليه من قبل الله فكان يرد عليهم بقوله: (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا) ومع ذلك لم يحل رفض النبي الإتيان بالمعجزات من أن ينسب إليه صفات خارقة،فبعضهم يؤكد أنه حين ولادته خرج نور أضاء

---

[1] عباس محمود العقاد عبقرية محمد ص43

[2] هو عبد المنعم ماجد محمدود عبيدو ولد في الاسكندرية المصرية عام 921م وتدرج في المراتب العلمية حتى حصل على الدكتوراه وتوفي عام 1999مك

الشام وأنه وهو صغير شقت الملائكة بطنه وغسلوا قلبه بالثلج..وأيضا فسروا سورة الإسراء بأن الله رفعه إلى السماء، وأنه قطع رحلة سماوية في بضع ساعات من الليل)[1]، وهذا ما قال معناه الدكتور محمد حسين هيكل في كتاب "حياة محمد " وقد أسلفت ذكره في الفصل الأول.

وأشار الأستاذ محمد جميل بيهم في كتابه "تاريخ فلسفة محمد": إلى أن ذكر المعجزات والغيبيات في سيرة رسول الله ﷺإنما كانت مشابهة لفعل الأعاجم في كتابة تاريخهم التي كانوا يسطرون بها خوارق العادات للخارقين من رجالهم ، وما المعجزات التي وردت في سيرة مولد النبي- ﷺ- إلا مشابهة للمعجزات التي وردت بقصة مولد زرادشت[2] الذي يعتبرونه نبياً إذ يقول: (الواقع أن ثقات العلماء من المسلمين كابن رشد في كتابه (مناهج الأدلة) أجمعوا على أن محمدا كان في دعوته إنما يعتمد على الإقناع والإيمان، وكان كما وصفه حسين هيكل في كتابه حياة محمد حريصا على أن يقدر المسلمون أنه بشر مثلهم يوحى إليه حتى كان لا يرضى أن تنسب إليه معجزة غير القرآن !وأنكر هؤلاء الثقات على أمثال البيهقي وأبي نعيم والقاضي عياض تكديسهم المعجزات فيما وضعوه من أسفار..وكان استناد هؤلاء الثقات يقتصر على القرآن الذي بين أيدينا وعلى الحديث الصحيح وهما وحدهما المرجع في هذا الشأن والحكم)[3]

فأي زيغ هذا وأي ضلال في الفكر وأي افتراء على سيرة رسول الله- ﷺ- أن معجزاته كانت مفتراة ومأخوذة من العجم ليس لها دليل ولا سند يعتمد عليه وكأنه أراد أن يجعل الذين افتروا هذا هم علماء السيرة ودلائل النبوة مثل البيهقي وأبي نعيم والقاضي عياض والسيوطي وغيرهم ، وقد أنكر عليهم من العلماء المحققين مثل ابن رشد وهيكل على حسب قوله.

---

[1] عبدالمنعم ماجد التاريخ السياسي للدولة العربية ج1 ص101

[2] هو مؤسس الديانة الزردشتية، وقد عاش في مناطق أذربيجان وكردستان وإيران الحالية، وظلت تعاليمه وديانته هي المنتشرة في مناطق واسعة من وسط آسيا إلى موطنه الأصلي إيران الى ظهور الإسلام. ابن النديم الفهرست ص19

[3] محمد جميل بيهم تاريخ فلسفة محمد ص229

وممن أنكر المعجزات النبوية محمد دروزة في كتابه "سيرة الرسول: صور مقتبسة من القرآن الكريم" حين أشار إلى أنّ الناس لما سمعوا بدعوته ﷺوكان يدور في خلدهم أنّ النبي لابد أن تكون معه الخوارق والمعجزات والمشاهد ويعلم الغيب ، ثم لما جاء وليس معه كذلك وهو مثلهم يأكل ويشرب أنكروا دعوته وكذبوا بدينه.[1]

ويقول أيضاً:(سكوت القرآن عنها مع فترة تحدي الكفار، واقتصار الأجوبة القرآنية على السلب،هذا إلى أن الروايات غير متواترة ولا وثيقة، وكثير منها إن لم نقل أكثرها لم ترد في المدونات القديمة إلى ما فيها من تخالف كبير في الوقت نفسه!)[2].

وسألخص المعجزات التي أنكرتها مدرسة المنهج الذاتي أو أولتها تأويلا غير مقبول على النحو التالي:

1- قصة طير أبابيل وهي التي نص القرآن الكريم على ثبوتها قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ {أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ {2} وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ {3} تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ {4} فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ } سورة الفيل.

قال محمد فريد وجدي: (و لا يبعد أن تكون تلك الطيور ميكروبات الطاعون إذ لا مانع من تسميتها طيورا)[3].

يقول الدكتور هيكل(كان وباء الجدري قد تفشى بالجيش وبدأ يفتك به، وكان فتكه ذريعا لم يعهد من قبل قط،ولعل جراثيم الوباء جاءت مع الريح من ناحية البحر وأصابت العدوى أبرهة نفسه...)[4].

---

[1] محمد دروزة سيرة الرسول: صور مقتبسة من القرآن الكريم 185/1

[2] المرجع السابق الصفحات التي بعدها

[3] محمد فريد وجدي المصحف المفسر ص811

[4] محمد حسين هيكل حياة محمد ص119

وممن اعتقد هذا الرأي الدكتور جواد علي حيث قال (وقد بلغ أبرهة مكة، غير أنه لم يتمكن من دكها ومن هدمها، وخاب ظنه؛ إذ تفشى المرضى بجيشه وفتك الوباء به، فهلك أكثره، واضطر إلى الإسراع في العودة، وكان عسكره يتساقطون موتى على الطريق، وهم في عودتهم إلى اليمن. وذكرت بعض الروايات أن أبرهة نفسه أصيب هذا المرض. ولم يبلغ صنعاء إلا بعد جهد جهيد. فلما بلغها، مات إثر وصوله إليها)[1].

فهذا جمع من أقوال أصحاب المنهج الذاتي في تأويل الصريح من القرآن في خصوص أصحاب الفيل وإرسال حجارة من سجيل عليهم فكانوا كالحصيد المحصود، فلماذا لم يذكر ذلك القرآن صراحة ولماذا هذا التأويل الفاسد.

2-قصة شق صدر النبي - ﷺ-

هذه القصة واردة بأصح الطرق حيث أخرجها الإمام أحمد و مسلم إذ قال (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺأَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺوَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ "، قَالَ أَنَسٌ: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ)[2].

ومن الذين أنكروا هذه المعجزة طه حسين حيث يقول : (وأي بأس على المسلمين في أن يسمعوا أن نفرا من الملائكة أقبلوا إلى النبي وهو يلعب فأضجعوه وشقوا عن قلبه وغسلوه حتى طهروه ثم

[1] جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام 206/6

[2] صحيح مسلم 147/1 بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺإِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ ومسند احمد 489/19 مسند انس بن مالك

ردوه كما كان،وأقاموه كأنه لم يصبه مكروه؟لم يصح الحديث بهذا ! ولكن المسلمين يتحدثون به ويستمعون له منذ أكثر من اثني عشر قرنا لم يفسد لذلك ذوقهم ولم يضعف إيمانهم)[1]

وأنكرها الدكتور هيكل وقد أشرت إليه في الفصل الأول.

وأنكروا كذلك تسليم الحجر على رسول الله – ﷺ– ومعجزات الإسراء والمعراج والمعجزات الهجرة النبوية وغيرها.

---

[1] أحمد بن محمد فكير الكتابة العربية المعاصرة في السيرة النبوية ، قضايا وملاحظات 57/1 ولم اجدها في كتاب على هامش السيرة

المطلب الثاني: إنكار الوحي.

كان رسول الله– ﷺ– يسير بعد البعثة بتوجيهات الله عزّ وجل عن طريق الوحي فلا يعمل من عمل بخصوص الدعوة ومتعلقاتها إلاّ بوحي من الله عزّ وجل، يقول الله تعالى {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }النجم4، وفي التنزيل:{ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ }الأحقاف9،

وفي التنزيل: { وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يِوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }الأعراف203،

وفي التنزيل:{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }يونس 15

(قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ }الأنعام50

وكان رسول الله ﷺمُراقباً من الوحي لما يصدر عنه ﷺ قال تعالى (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47) الحاقة.

وهذا ما اعتقدته الأمة الإسلامية بعلمائها وعامتها وما تناقله جيل عن جيل، لأنه مفهوم كلام الله عزوجل لا يحتاج إلى تفسير غامض ولا لياً لأعناق النصوص، فرسول الله يؤمر من الله سبحانه وتعالى أن يقول للناس إني لا أعلم الغيب من تلقاء نفسي ولا يفيض علي أي شيء آخر نحو الإلهام والنفث في الروع إن هو إلا وحي الله سبحانه وتعالى إلي.

وكان كتاب السيرة النبوية على مدار العصور لا يفصلون السيرة النبوية عن الوحي فأي حادثة من الحوادث تحتاج إلى إشارة الصلة بالوحي كانوا يذكرونها ويفصلون القول فيها.

ومثل هذا ما ذكره البخاري واحمد وأبو داود ابن حبان في هجرة رسول الله – ﷺ- أنه ما هاجر إلا بأمر من الله عزوجل فبعد أن ساق السند إلى أم المؤمنين عائشة تقول (فبينا نحن جلوس يوما في بيتنا في نحر الظهيرة فقال قائل لأبي: هذا رسول الله- ﷺ- مقبل متقنعا، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، قال أبو بكر: فداه أبي وأمي! إن جاء به في هذه الساعة [إلا] لأمر قالت: فجاء رسول الله ﷺفاستأذن، فأذن له فدخل، فقال رسول الله ﷺلأبي بكر: «أخرج من عندك»، قال أبو بكر: إنما هو أهلك بأبي أنت » يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «فإنه قد أذن لي بالخروج»، فقال أبو بكر: فالصحبة بأبي أنت يا رسول الله؟...)[1]

ففي هذا الحديث أن النبي – ﷺ- ما هاجر إلى المدينة المنورة إلاّ أن أُذن له عن طريق الوحي وليس من تلقاء نفسه، ولم يقم بعمل عشوائي لأن هذا من مهمات الدعوة التي تقتضي توجيه الوحي له صلوات الله وسلامه عليه.

يقول ابن حبان: (لما أمر الله جل وعلا رسوله ﷺبالهجرة استأجر رسول الله ﷺرجلا من بني الديل وهو من بني عدي هاديا خريتا- والخريت: الماهر بالهداية)[2]

وهنا ما تحرك رسول الله ﷺفي الهجرة إلاّ بعد أن جاءه الأمر من الله عز وجل، وهذا يؤكد منهج كتاب السيرة النبوية أنهم ما كانوا يعزلون الوحي عن سيرة المصطفى -ﷺ-.

---

[1] البخاري الصحيح 75/5 باب هِجْرَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ،احمد المسند 198/6 رقم 25667 حديث ام المؤمنين عائشة ،ابو داود السنن 98/4باب فِى التَّقَنُّعِ ، ابن حبان السيرة النبوية واخبار الخلفاء 128/1

[2] ابن حبان السيرة النبوية واخبار الخلفاء 129/1

ومثل هذا ذكره الحلب فقال : (وفي الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله- ﷺ-«إن الله أوحى إليّ: أي هؤلاء الثلاثة نزلت هي دار هجرتك المدينة، أو البحرين، أو قنسرين» قال الترمذي، هذا حديث غريب، وزاد الحاكم «فاختار المدينة».[1]-[2]

وهذا يؤكد ما ذكرت من طريقة كتابتهم لسيرة النبي ﷺومنهجهم في عدم الفصل بين شخصية الرسول- ﷺ- والوحي،فهو يأتمر بأمر الله سبحانه وتعالى عن طريق الوحي في كل عمل يقوم به- ﷺ-.

حتى جاء العصر الحديث وظهر من أنكر كتاب الله سبحانه وتعالى، أو ادعى أنّ القرآن الكريم من وضع محمد – ﷺ- ، أو فَصَلَ محمداً – ﷺ- عن القرآن وعن الوحي الذي يأتي من الله عزّ وجل.

ولم يكن أصحاب المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية بمعزل عن التعرض للوحي أو شرحه أو تفسيره تفسيرا يتفق مع منهجهم في كتابة السيرة النبوية أو إغفاله،وتباينت نظرتهم للوحي فمنهم من أغفله قطعيا عن شخصية رسول الله – ﷺ- مثل عباس محمود العقاد وعبدالرحمن الشرقاوي، ومنهم من فسر الوحي تفسيرا غريبا يتفق مع منهجهم معتمدا على روايات ضعيفة مثل هيكل وطه حسين

فالقسم الأول من أصحاب هذا المنهج أغفل الوحي عن سيرة رسول الله- ﷺ- وجعل النبي – عليه الصلاة والسلام- يتصرف بمحض إرادته لا يتلقى أي شيء عن طريق الوحي وقد اتبع هذه الطريقة الأستاذ العقاد في كتابه عبقرية محمد – ﷺ- فإنه يعزو كل ما فعله النبي – ﷺ- إلى عبقريته وحنكته لا من وحي الله إليه وفي معرض حديثه عن صلح الحديبية يقول (ففي عهد

[1] علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون 27/2

[2] سنن الترمذي 721/5 باب فضل المدينة وأخرجه الحاكم في المستدرك 3/3 وقال الذهبي صحيح

الحديبية تجلى تدبير محمد في سياسية خصومه وسياسة أتباعه، في الاعتماد على السلم والعهد حيث يصلحان ويحسنان، والاعتماد على الحرب والقوة لا تحسن المسالمة ولا تصلح العهود)[1]

ثم يقارن بين فعل النبي – ﷺ– وفعل غاندي [2] في استخدام المقاومة السلبية التي تعتمد على الحجة والبيان لا مقاومة السلاح والحرب والعنف، ثم يشرح باستفاضة في فصل عبقرية النبي – ﷺ– السياسية في حادثة صلح الحديبية دون الإشارة إلى وحي أو أمر رباني.

ويختم هذا الفصل بقوله (وهكذا تجلت عبقرية محمد في سياسة الأمور كما في قيادة الجيوش، فكان على أحسن نجاح في سياسته....)[3]

يحسب العقاد أن استجابة النبي ﷺلشروط قريش والرجوع من أمامهم يوم الحديبية نوع من السلبية في المقاومة.. كأنه رضي بالهزيمة استجاشة لعطف الكافرين من قريش أو مَن يسمع برجوع المسلمين من الحديبية وقد خرجوا آمين البيت الحرام، وهذا خطأ محض.

فقد كان صلح الحديبية كله بتدبير الله عز وجل، بركت الناقة قبل أن يحدث أي شيء، وصرح الرسول ﷺبأن حابس الفيل قد حبسها، والحديث في الصحيح: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺزَمَنَ الحُدَيْبِيَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ، فَخُذُوا ذَاتَ اليَمِينِ» فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺحَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا: خَلَأَتْ القَصْوَاءُ، خَلَأَتْ القَصْوَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا خَلَأَتْ القَصْوَاءُ، وَمَا

---

[1] عباس محمد العقاد عبقرية محمد ص71

[2] موهانداس كرمشاند غاندي (بالإنجليزية:Mohandas Karamchand Gandhi)؛ (2 أكتوبر 1869 – 30 يناير 1948) كان السياسي البارز والزعيم الروحي للهند خلال حركة استقلال الهند. كان رائداً للساتياغراها وهي مقاومة الاستبداد من خلال العصيان المدني الشامل، التي تأسست بقوة عقب أهمسا أو اللاعنف الكامل، والتي أدت إلى استقلال الهند وألهمت الكثير من حركات الحقوق المدنية والحرية في جميع أنحاء العالم. غاندي معروف في جميع أنحاء العالم باسم المهاتما غاندي)وبكيديا الموسوعة الحرة

[3] عباس محمود العقاد عبقرية محمد ص77

ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ»، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ المَاءِ، يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا، فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ وَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺالعَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الحُدَيْبِيَةِ، وَمَعَهُمُ العُوذُ [ص:194] المَطَافِيلُ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ)[1] .

ووافق على بنود الصلح بوحي من الله، ودليل ذلك: أن أصحابه رضوان الله عليهم . في جملتهم تباطئوا عن الامتثال أملاً في التراجع أو في شيء يحدث يدخلون به إلى البيت، ولو كان الرسول . ﷺ- يسير بشيء من تلقاء نفسه.. لو كان يحسبها بعقله لقدَّم تلك الحجج العقلية التي بموجبها أمضى الصلح على ما هو عليه من شروط تبدو جائرة، ولكنه لم يزد أن قال إنه رسول الله ﷺولن يضيعه.[2]

[1] صحيح البخاري 3/ بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ193،(أي حبسها الله عز وجل عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها)

[2] محمد جلال القصاص عبقريات عباس العقاد إنكار للوحي ص3

ولم يشر عباس العقاد إلى وحي الله عزوجل إلى النبي ﷺفي كتابه عبقرية محمد قطعياً وإنما عد كل ما كان يصدر عنه بعبقريته وشخصيته وقوة عقليته ونفاذ بصيرته وحنكته لا أنه موجه من الله سبحانه وتعالى.

وهذا ما أشار إليه عبدالرحمن الشرقاوي في كتابه محمد رسول الحرية إذ انه عزل شخصية رسول الله ﷺعن الوحي، فكل ما يقوم به النبي ﷺبإرادته وفعله لا انه رسول الله، ولعل أول صفحة من الكتاب تكشف هذا إذ أنه جعلها جزءاً من أية قوله تعالى (إنما أنا بشر مثلكم) ولم يكملها.

نقل الأستاذ سليمان الخراشي قول الشيخ أبي زهرة في هذا الكتاب ("لم يسلم الكاتب من الخطأ، أو بالأحرى كان له اتجاه غير إسلامي من البداية، فهو ما درس محمداً ﷺعلى أنه رسول يوحى إليه، بل على أنه رجل عظيم له آراء اجتماعية فسرها الكاتب على هوى ما يريد، مدعياً أنه قصاص أديب يصوغ التاريخ في قالب قصصي فني.

وقد تكون هذه الكتابة مفيدة لقوم يصغرون من شأن محمد ﷺ، ويهونون من أمره فتزيل عنه ما يتوهمون، وتبين أن له شأناً ومقاماً في تفكيره ومنحاه، وإذا لم تكن الكتابة صادقة من كل الوجوه فهي في ذاتها تصوير حسن في الجملة لغير المسلمين، وفي هذا الحال فقط، لكن يفسدها طمس الحقائق الكبرى أو تجاهلها.)[1]

وإنه إذ يقطع الرسالة عن الرسول ﷺ، ويقطع الوحي عنه، ويتجه إلى القرآن فيذكر عباراته أحياناً منسوبة إلى النبي ﷺ، على أنها من تفكيره، ومن قوله، لا أنها قرآن موحى به من الله سبحانه وتعالى ، وقائله هو الله سبحانه وتعالى.

---

[1] سليمان بن صالح الخراشي نظرات شرعيه في فكر منحرف ص10

ففي إنذار النبي ﷺلقومه وقوله لأبي لهب تبت يداك وتحريمه الخمر والقتال في الأشهر الحرم، وإبطال التبني، والاستدراك والتصحيح الذي حصل في قضية أسرى بدر، وتقسيم الغنائم على المسلمين، وجميع تصرفات النبي ﷺ هي من فعله لا من أمر الله سبحانه وتعالى.[1]

وأما القسم الآخر الذين يفسرون الوحي على طريقة المنهج الذاتي فإنهم يتشبثون بالرواية التي تشير إلى نزول الوحي على رسول الله ﷺفي غار حراء وهو نائم [2] ليتوصلوا إلى أنّ أفعال النبي- ﷺ- إنما كانت منامات وهو الذي فسرها وأولها بحسب الحاجة إليها غير معتمدين على الروايات الصحيحة التي وردت عن الأئمة الثقات تثبت أنّ الوحي نزل على رسول الله- ﷺ- في اليقظة.

يقول المفكر الإسلامي أنور الجندي عن كتابة السيرة في هذا العصر (بدأت هذه المحاولات بكتابات عن حياة الرسول مجردة من المعجزات، محاولة أن تفسر جوانب الوحي وما يتصل بكثير من نواميس الكون وقوانينه تفسيراً مجازياً أو منامياً، أو غير ذلك، ثم اتسع نطاق هذه المحاولات فوصفت حياة الرسول بأنها بطولة أو زعامة، ولا ريب أن الهدف من نفي النبوة هو مقدمة لنفي الإلوهية.

وأن الهدف من نفي النبوة هو إنكار الوحي وبالتالي إنكار رسالة السماء جملة ومن هنا جاءت المحاولات المتعددة لوصف البطولة الإنسانية ووضع مقوماتها على نحو مختلف كل الاختلاف عن النبوة التي يختار الله تبارك وتعالى من يشاء لها من عباده ويعده في الأصلاب والأرحام جيلاً من بعد جيل)[3].

---

[1] ينظر المرجع السابق من ص10-ص20 وكتاب محمد رسول الحرية عبدالرحمن الشرقاوي ص3

[2] أشرت إليها في الفصل الأول

[3] أنور الجندي في سبيل إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ص15

ويمثل هذا الاتجاه الدكتور محمد حسين هيكل ومحمد فريد وجدي وغيرهم من أصحاب المنهج الذاتي .

المطلب الثالث: الفهم المغلوط لأحداث السيرة النبوية

إنّ الفهم الصحيح لحقائق الأشياء يجعلها تبدو واضحة المعالم، والفهم الخاطئ يجعلها تذهب ماهية الشيء وحقيقته ويقلب الحق باطلاً، ويلحق ضررا بالشيء الذي أسيء فهمه.

فالفهم الصحيح لسيرة النبي عليه الصلاة والسلام يجعلها ناصعة البياض واضحة المعالم مشرقة الدلالة التي من شأنها توضيح معالم الاقتداء به ﷺ، وكان المصنفون في السيرة النبوية قبل العصر الحديث يمتازون بوضوح المنهج، وسلامة الفهم إلا ما عكر عليهم من روايتهم لبعض ما ضَعُف سنده أو لفق وادخل في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام.

وقد أشار الدكتور عماد الدين خليل إلى ضرورة الفهم الصحيح لوقائع السيرة النبوية إذ يقول: (يجب أن نلاحظ أن الفهم الجادّ للسيرة يقتضي منهجا يقوم على طبقات أو أدوار أو شروط ثلاثة، وإن افتقاد أو تهديم أيّ واحد منها يلحق ضررا فادحا في مهمة الفهم هذه..)[1]

وهذه الشروط التي يجب أن تتوافر في فهم السيرة النبوية:

1- الإيمان، أو على الأقلّ احترام المصدر الغيبيّ لرسالة محمد ﷺوحقيقة (الوحي) الذي تقوم عليه.

2- اعتماد موقف موضوعيّ بغير حكم مسبق، يتجاوز كل الإسقاطات التي من شأنها أن تعطّل عمليّة الفهم.

3- (تقنية) صرفة تقوم على ضرورة الإحاطة الجيّدة بأدوات البحث التاريخيّ: بدءاً باللغة وجمع المادّة الأوّلية، وانتهاء بطرائق المقارنة والموازنة والنقد والتركيب.. إلى آخره.[2]

---

[1] عماد الدين خليل المستشرقون و السيرة النبوية ص 8

[22] المرجع السابق ص 8و9

فهذه الشروط الواضحة التي تجعل الفهم صحيحاً لأحداث السيرة النبوية، تبدأ أولا بالإيمان بالسيرة النبوية وهذا الإيمان لا يكون إلا من المؤمنين بالشريعة كاملة، وان لم يكونوا مؤمنين بها فعليهم أن يحترموا المصدر لهذه السيرة النبوية التي مصدرها الغيب (الوحي) فإذا لم يحترموا هذه المصدرية للسيرة النبوية وقاموا بتفسيرها أو محاولة فهمها كما يرون فإنهم سيخرجونها عن حقيقتها وأنها وحي من الله سبحانه وتعالى.

ولا بد للذي يريد فهم السيرة النبوية أن يكون موضوعيا فارغا من أي فكرة أو اعتقاد مسبق بخطأ السيرة أو مصدرها أو الشك بنبوة سيدنا محمد – ﷺ–، فإنه إن كان عنده أي شك بأي قيمة من قيم السيرة فانه لا يكون متجردا ولا موضوعيا، ولابد كذلك من العلم بأدوات البحث التاريخي من الناحية اللغوية والجمع للمادة التاريخية والموازنة والمقارنة والنقد، ولكنه لم يشر إلى موضوع اعتماد شروط الصحة والضعف في اختيار المناسب من الروايات.

ويمكن إضافة شرط رابع إلى هذه الشروط الثلاثة وهو اعتماد معايير المحدثين من شروط الصحة والضعف في قبول الرواية التاريخية التي تدخل في باب السيرة النبوية، وهذا الشرط يحمي الفهم الصحيح لكل أحداث السيرة النبوية، لأن كثيرا من كتاب السيرة النبوية من مستشرقين وأصحاب منهج ذاتي بنوا على روايات موضوعة وضعيفة فهماً غير دقيق، وجعلوها أساسا يبنى عليه كثير من الأحداث.

ومن أصحاب المنهج الذاتي الذين فهموا السيرة النبوية فهما غير صحيح أخرجه عن سياقه الصحيح الأستاذ طه حسين ،حيث إنه فرض فهما غير دقيق على أحداث السيرة النبوية ومن ذلك:

1- أعطى نفسه فهما خاصاً في وقائع السيرة النبوية حيث قال (وأحب أن يعلم الناس أيضاً أني وسَّعت على نفسي في القصص، ومنحتها من الحرية في رواية الأخبار واختراع ما لم أجد به بأساً)[1] فهنا منح نفسه ووسع عليها في اختلاق القصص، وتفسيرها واختراع قصص وهمية.

2- فسر أحداث ما قبل بعثت النبي صلى الله عليه وسلم من ولادته وما رافقها من معجزات بتفسيرات غريبة، وأضاف إليها كثيرا من الأحاديث الموضوعة والقصص المختلقة[2] وأطال النَّفَس في سرد قصته صلى الله عليه وسلم مع خديجة – رضي الله عنها – وميسرة والراهب وورقة بن نوفل، وجلَّلها بثوب الأسطورة الذي جعلها أطول مما هي عليه، فخلط ما صح من معجزات للنبي – ﷺ– في ذلك بما لم يصح.[3]

3- رده للأحاديث الصحيحة المتعلقة بالسيرة النبوية لتفسيره أنها مخالفة للقرآن والعقل والواقع يقول (من الواجب على كل مسلم حين يُروى له الحديث عن النبي ﷺ أن يحتاط قبل الأخذ به، وأن يعرضه على القرآن، فإن كان لا يناقض القرآن في قليل ولا كثير، ولا يناقض المألوف من سيرة النبي ﷺوعمله أخذ به، وإلا وقف فيه)[4]

فرد الأحاديث المتعلقة بالعباس رضي الله عنه ادعاء منه وتفسيرا أن هذه الأحاديث ما رويت إلاّ تملقا لبني العباس فمنها حديث استسقاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه وهو حديث مخرج في الصحيح، ورد حديث العباس الذي يقول فيه:(انه يرى الموت في وجوه بني عبدالمطلب)، وهو مخرج في الصحيح ونص الحديث قال البخاري : (أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ،

---

[1] طه حسين على هامش السيرة 175/1

[2] طه حسين على هامش السيرة 273/1 و 400376/2.

[3] أنور الجندي محاكمة فكر طه حسين ص 1840

[4] طه حسين مرآة الإسلام ص1310

فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَبَا حَسَنٍ، " كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟، فَقَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ بَارِئًا "، فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ وَاللَّهِ بَعْدَ ثَلاَثٍ عَبْدُ العَصَا، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺسَوْفَ يُتَوَفَّى مِنْ وَجَعِهِ هَذَا، إِنِّي لَأَعْرِفُ وُجُوهَ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ عِنْدَ المَوْتِ، اذْهَبْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَلْنَسْأَلْهُ فِيمَنْ هَذَا الأَمْرُ، إِنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنَا ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا عَلِمْنَاهُ، فَأَوْصَى بِنَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّا وَاللَّهِ لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺفَمَنَعَنَاهَا لاَ يُعْطِينَاهَا النَّاسُ بَعْدَهُ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لاَ أَسْأَلُهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ)[1]

ورد غيرها من الأحاديث معللاً ومفسراً سبب رده بتفسير غريب لا يتوافق مع قواعد الفهم الصحيح لأحداث السيرة النبوية، فمثلا رد حديث في صحيح البخاري يقول (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ ﷺوَجَعُهُ قَالَ: «ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ» قَالَ عُمَرُ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺغَلَبَهُ الوَجَعُ، وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا. فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ، قَالَ: «قُومُوا عَنِّي، وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ» فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ، مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺوَبَيْنَ كِتَابِهِ) "[2].

فالفهم الخاطئ لوقائع السيرة النبوية يسوغ لأصحاب المنهج الذاتي الكذب والافتراء ورد الحديث بتفسيرات غير مقبولة، ويسوغ لهم اختلاق القصص والزيادة عليها ورد الصحيح من رواياتها، ومثل هذا الفعل الذي عمله طه حسين عمله عبدالرحمن الشرقاوي في أكثر من موضع في كتابه "محمد رسول الحرية ".

---

[1] صحيح البخاري 12/6 بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺوَوَفَاتِهِ

[2] طه حسين مرآة الإسلام،، 73، والحديث في البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم34/1،

المطلب الرابع: إخراج سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من دائرة النبوة إلى العبقرية.

تعريف العبقرية لغة واصطلاحاً:

العبقري لغة:

تدور معاني العبقري لغة على ما يأتي:

الكامل من كل شيء، والسيد من الرجال، والذي ليس فوقه شيء الشديد من الرجال، قال أبوعبيد وأَصلُ هذا، فِيمَا يُقَالُ، أَنّه نُسِبَ إِلى عَبْقَر، وهي أَرْضٌ يَسْكنها الجِنُّ، فصارَتْ مَثَلاً لكلِّ مَنْسُوبٍ إِلى شَيْءٍ رَفِيع.[1]

إذن مادة العبقري تدور حول الكامل من الرجال في كل شيء قوة، وجاهاً، ورفعة، وعلماً.

وجاء في صحيح البخاري قال عَنْ عَبْدِ اللهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ فِي صَعِيدٍ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا، أَوْ ذَنُوبَيْنِ وَفِي بَعْضِ نَزْعِهِ ضَعْفٌ وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ثُمَّ أَخَذَهَا عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ بِيَدِهِ غَرْبًا فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا فِي النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ وَقَالَ هَمَّامٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺفَنَزَعَ أَبُو بَكْرٍ ذَنُوبَيْنِ.[2]

العبقري اصطلاحاً:

قال محمد فريد وجدي العبقرية: هبة إلهية ثمرتها فوق القدرة البشرية يمنحها الله لبعض الأفذاذ لتبرز على ألسنتهم أو على أيديهم أمور لا يستطيع العقل البشري أن يستقل بإيجادها.[3]

---

[1] الزبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني تاج العروس 516/12 وابن حجر فتح الباري 46/7 وابن بطال شرح البخاري 542/9 القاضي عياض اكمال المعلم بشرح صحيح مسلم200/7 والقرطبي المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم 11/20 ابوعبيد غريب الحديث 1/ 87 ابن الاثير النهاية في غريب الأثر 337/3

[2] صحيح البخاري 3/ 1329 علامات النبوة في الإسلام

[3] أنور الجندي بحث حول كتابة السيرة النبوية في العصر الحديث وهو بمقدمة كتاب سبل الهدى والرشاد 29/1

ونقل الأستاذ ناصر العقل تعريفاً أخر لمحمد فريد وجدي إذ يقول:ما يلقى في روع العبقري من علم أو عمل بدون جهد منه فيجيء فذا لا سابقة له يتخذ مثالا لغيره ولا يمكن تقيلده.[1]

قال ابن القيم:(العبقري هو اسم ونعت لكل ما بولغ في صفته).[2]

فالعبقرية هبة إلهية لكل ما بولغ في وصفه من العلم والجاه والسياسية والمال والعقلية وغيرها من الصفات التي لا يمكن لعقل بمفرده أن ينفرد بإيجادها، فهي فوق العقل البشري.

ولم يستخدم العلماء بحسب بحثي مفهوم العبقرية للدلالة على شخصية رسول الله ﷺ سابقاً، وقد كره بعض العلماء استخدام العبقرية للدلالة على شخص النبي عليه الصلاة والسلام يقول عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني(من أساليب الخدع الكبرى التي خدع بها فريقٌ من أعداء الإسلام بعض أبناء المسلمين، ما أخذوا يعلنونه ويرددونه في صفوف المسلمين بأقوالهم وكتاباتهم وخطاباتهم عن شخصية محمد صلوات الله عليه من تمجيد بعبقريته، وثناء على حركته الإصلاحية الإنسانية، وإطراء لأقواله، وبعض مناهجه التي رفعت الأمة العربية من الحضيض الذي كانت فيه، ودعت الشعوب الأخرى إلى الخير والصلاح وسلوك سبيل المجد، وهم إذ يسوقون إليه عبارات التمجيد والمدح والثناء يعتمدون أن يبعدوا عنه كلّ وصف من أوصاف النبوة والرسالة الربانية، إذ يثبتون له وصف العبقرية الإنسانية فقط).[3]

فهناك فوارق بين العبقرية والنبوة نجملها بما يأتي:

---

[1] ناصر بن عبدالكريم العقل الاتجاهات العقلانية الحديثة ص226

[22] ابن القيم حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص144

[3] عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير – الاستِشراق – الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه 304

1- العبقرية كمال في شخصية الإنسان العلمية والعقلية والمالية والعظمة والقوة وقد تكون في جانب واحد من هذه الجوانب، والنبوة كمال بكل جوانب الإنسانية وليست محصورة بجوانب معينة لأن الكمال يكون مدعوماً بتوفيق الله عزوجل.

2- النبوة مؤيدة بالوحي من الله عزّ وجل وعالم الغيب، أما العبقرية لا تكون مؤيدة بوحي ولا عالم الغيب.

3- النبوة مؤيدة بالمعجزات والدلائل التي تدل على أنه مرسل من الله سبحانه وتعالى، وليس العبقرية كذلك.

4- النبوة لا تطلق إلا على من ابلغه الله عزّ وجل بالنبوة والرسالة، أما العبقرية فتطلق على كل كامل بشري نبي وغير نبي.

فإن مقام النبي – ﷺ– قد وصف بأعظم وصف وهو النبوة والرسالة مع كمال العقل والحكمة وقد جمع عليه الصلاة والسلام أكمل الصفات البشرية الخَلْقية والخُلُقية فلا ينبغي أن يكون الحديث عن النبي صلوات الله عليه وسلامه منصباً على جانب الذكاء والدهاء والحنكة والفطنة ونحوهما مما يجعل المؤلفين يذكرون معه عليه الصلاة السلام ممن يشتركون معه في هذه الصفات كثيراً من المفكرين والعباقرة في البشرية قديماً وحديثاً حتى من الكفار والفساق.

وحاول التركيز على هذا الجانب و استغله كثير من المستشرقين والعقلانيين وأتباعهم لينسبوا نجاح النبي – ﷺ– في تعليم الخلق وهدايتهم وإقامة الدولة ووضع الأحكام وتشريعها إلى ذكائه فيغفلوا جانب الوحي الذي هو السبب الحقيقي لهداية البشر ونصرتهم وهو مصدر التشريع وإليه يرجع في تقرير الأحكام.

وكانت دراسة الأستاذ عباس محمود العقاد مثالاً للمنهج الذاتي في دراسة شخصية رسول الله –ﷺ– ووصف النبي –عليه الصلاة والسلام – بالعبقرية وإن كان هناك حسن نيه في تأليف هذا

الكتاب،لكنه حقيقة صرف نظر الناس من النبوة إلى العبقرية التي أساسها الذكاء والقوة العقلية والدهاء وغيرها من الصفات التي لا تجعل للوحي وعالم الغيب أساسا لها.

يقول ناصر بن عبد الكريم العقل:

(وأكثر ما اهتمت به المدرسة العقلية من شخص النبي ﷺ، جانب العبقرية، فهي تريد أن تضيف كل ما قاله أو فعله ﷺإلى عبقريته الفردية الفذة، بدعوى أن جانب الوحي والنبوة والرسالة أمور غيبية روحية، لا تثبت أمام البحث العلمي، والموضوعية، ولا قيمة لها في نظر العلم الحديث الذي قذف بها في عالم الأساطير والخرافات.

أما العبقرية – على حد زعمهم – فهي صفة إنسانية يقرها العلم ويحترمها ويقدسها ويمكن للمسلمين أن يثبتوها علميًا حسب مقررات العلم الحديث (كذا يزعمون).

وكل ذلك انهزامية وضعف إيمان بالله ورسالاته، وجهل بكتاب الله وسنة رسوله.

وأكبر دليل على ذلك أن غالب مؤلفات العقلية الحديثة تحمل في عناوينها اسم الرسول (محمد) مجردة دون اعتبار للنبوة والرسالة ويحيدون عن وصفه بالنبوة والرسالة التي هي أهم خصائصه ﷺ (بأبي هو وأمي).[1]

وكتاب عبقرية محمد ﷺللأستاذ العقاد جاء بمقدمة أشار فيها إلى أن كتابه ليس كتاب سيرة تضاف إلى مكتبة السيرة النبوية وإنما مراده فيه أن يؤدي مقصوده في حدوده لا يتعداه، فهو كتاب ليس فيه شرح للسيرة النبوية ولا بيان لمقاصد الإسلام وإنما فبيه بيان للعظمة المحمدية التي يقتدي بها المسلمون[2]

---

[1] ناصر عبدالكريم العقل الاتجاهات العقلانية الحديثة ص224–225

[2] ينظر عباس محمود العقاد ص 22و23

وتحدث في بحث علامات مولده ﷺعن حال الجزيرة العربية قبل مولد النبي ﷺ من عبادة الأوثان والتبعية للروم وفارس، وقصة أصحاب الفيل، وقصة فداء عبدالله والد النبي عليه الصلاة والسلام، وشرف عبدالمطلب وصفاته وصفات ولده عبدالله والد النبي صلوات عليه وسلامه،وبشائر تبشر بمولده عليه الصلاة والسلام.[1]

تحدث في عبقرية الداعي عن الصفات المؤهلة لرسول الله – ﷺ– ليكون رسولاً من فصاحة اللسان واللغة، والقدرة على تأليف القلوب وجمع الثقة، وكان من أسباب نجاح دعوة الإسلام إيمان النبي بدعوته،ومن أسباب نجاح دعوته الوسامة والجمال، وهي دعوة طلبتها الدنيا لأنها كانت بحاجة إليها.[2]

وأين توفيق الله عزّ وجل ووحيه وتأيده ونصره لنبيه صلى الله عليه وسلم،لم يتعرض لأي شيء خارج عن شخصيته فهو يريد أن يثبت نجاح الدعوة الإسلامية بمقومات الشخصية للنبي – ﷺ– وكأنه لم يقرأ قول الله تعالى: (وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63)سورة الأنفال

وفي عبقرية النبي عليه الصلاة والسلام العسكرية والسياسية وازن بين النبي– ﷺ – وبين حنكة نابليون وما بينهما من شبه وفوارق في خوض المعارك ووازن بين النبي –ﷺ– وغاندي وأوجه الشبه بينهما في اتباع الأسلوب السلبي الذي يقوم على أساس المقاومة بالحجة لا السلاح والحرب وغيرها.

[1] المرجع السابق من ص25 إلى 34

[2] المرجع السابق 35 إلى 44

وكأنــه أراد أن يوصــل رســالة للغـربيين أن النبــي –عليــه الصــلاة والســلام– سـبق القـادة والمفكرين وأصحاب الرأي بكل شيء بعقليته وشدته وسياسته، حتى في تربيته لأصحابه وأصدقائه وعلاقاته مع أهله وبناته وعلاقاته مع رؤساء القبائل وغيرهم،وما قامت هذه الأمور إلاّ لأنه عبقري من العباقرة فاق من حوله بما تميز به من صفات.

والنبي في نظر العقاد عبقري كما هو أبو بكر وعمر وعثمان وخالد بن الوليد رضي الله عنهم، فكل واحد منهم عبقري لما لم يكن للوحي دور في شخصية رسول الله – ﷺ–وتوفيق الله سبحانه وتعالى لنشر الدعوة الإسلامية والتأليف بين قلوب المؤمنين، فهناك أوجه شبه بين النبي عليه الصلاة والسلام وكل واحد قال عنه عبقري لأنهم لا يوحى لهم.

المبحث الثالث

ايجابيات كتاب حياة محمد والمآخذ التي أخذت عليه ، ومطلبان.

المطلب الأول: إيجابيات كتاب حياة محمد.

المطلب الثاني: المآخذ التي أخذت على كتاب حياة محمد.

المطلب الأول: ايجابيات كتاب حياة محمد.

لا يخلو كتاب من كتب السيرة من إيجابيات وسلبيات تقع أحياناً سهواً وأحياناً قصداً وهذه السمة الغالبة على كُتب وكتابات البشر إذ لا عصمة إلا لكتاب الله عز وجل.

وكتاب حياة محمد والذي هو محل بحثنا للأستاذ محمد حسين هيكل فيه من الإيجابيات التي لا تُغفل والسلبيات التي تحصر؛ كان فيه من الإيجابيات ما يلي:

1- دفاعه عن الإسلام

كان دفاع الأستاذ هيكل عن الإسلام واضحاً جلياً لا يمكن نكرانه فلقد دافع عن الإسلام في أكثر من موضع في كتابه وهذا مما يُحفظ له ويَرفع من قيمة كتابه.

ويظهر هذا واضحاً من خلال دفاعه عن الإسلام كدين وعن القران ودفاعه عن النبي ﷺ ودفاعه عن أم المؤمنين عائشة.

أما في دفاعه عن الإسلام كدين فقد تحدث عن انتشار الإسلام وأصبح إمبراطورية عظيمة وواجه الروم الفرس؛ ومع هذا الانتشار؛ إلا أنّ فئةً من المسيحيين المتعصبين حاولوا أن يجدوا شيئاً يتشبثون به لكي يُنقِصوا من مقدار هذا الدين حتى وصل بهم الأمر إلى القتال لما وجدوا أنه لا يمكن لهم أن يهدموا بنيان هذا الدين إلا بهذا الفعل.

وحين تحدث عن التوحيد وعن التثليث، أشار إلى عظمة التوحيد وسفاهة التثليث، وأشار إلى دقة عبارات القران المتعلقة بشخص عيسى عليه الصلاة والسلام،وأنه عبد الله ورسوله وأنه ما صلب وأنه جاء بالتوحيد ،وأن عيسى ليس ابن الله وهذا ما لا تؤمن به المسيحية.

يقول الأستاذ هيكل عن الإسلام:

(والإسلام دين توحيد في أشدّ معاني التوحيد صفاءً وقوةً، وفي أشد معاني التوحيد بساطة ووضوحاً. وكل ما يمكن أن يلقي ظلاً على فكرة التوحيد أو صورته ينكره الإسلام ويراه كفراً). [1]

ثم تحدث عن سبب الخصومة بين الإسلام والمسيحية والحرب الهوجاء العنيفة التي يثيرها المسيحيون على الإسلام، والسبب راجع إلى جهل الغرب بحقيقة الإسلام، وبسيرة النبي ﷺ، والجمود والتعصب الأعمى الذين هو أشدها استعصاءً حسب قوله، أضاف إلى ذلك سبباً آخر حسب رأيه في كراهية الغرب للإسلام وهي المسيحية نفسها وما تدعو إليه من زهد في الحياة واعتزال العالم الرهبنة وسمو النفس وغيرها من مبادئ المسيحية، وهذا لا يتناسب مع طبيعة الغرب وبيئتهم، فبذلك كرهوا أي دين يدعو إلى ما دعت إليه المسيحية فتجدهم أفواجاً أفواجاً يتجهون للإلحاد، ولو أنهم عرفوا هذا الدين ونبيَّه وسيرته ما اتجهوا لمعاداته، ولا لاستعمار أرض أهله، والحملات المتتابعة عليه.[2]

ثم يقول (إن سبب التخلف الذي حصل ليس منشأؤه الإسلام ولا تعاليمه، وإنما هم أبناء الإسلام؛ فبسبب تركهم لدينهم وجمودهم واقتناعهم أنهم لن يقدموا شيئاً كان سبباً في تخلفهم)[3].

2- دفاعه عن القرآن

أما دفاعه عن القران فجليٌّ بيِّنٌ واضح، فقد اعتبره أصدق مرجع لأحداث السيرة النبوية، وحين تحدث عن شبه المستشرقين الذين حرصوا على هدم المقررات الدينية التي كانت من أولوياتهم، إثبات تحريف القران الكريم بعد وفاة النبي ﷺوزيادة آيات لأغراض دينية وسياسية، أو

([1]) محمد حسين هيكل حياة محمد ص27.

[2] ينظر محمد حسين هيكل حياة محمد31

[3]ينظر المرجع السابق ص34

أن هذا القران كله من وضع محمد ﷺ، أشار إلى أنَّ من أصحاب هذا الفكر بعض أحرار العرب ممن تحرروا من أي شيء قديم لا يتقيدون إلا بما يثبته العلم إثباتاً يقينياً.[1]

ثم أتى على بعض شبههم الزائفة التي يرون أنها زيادة في كتاب الله عز وجل وساق الأدلة بعدها على بطلان قولهم وسفاهة رأيهم؛ وسأنقل قوله للوقوف على دقة رده وبيان حجته إذ يقول:

(وحسبك دليلاً على ذلك قولهم: إن عبارة «و مبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد»، التي وردت في الآية السادسة من سورة الصف، إنما أضيفت بعد وفاة النبي لالتماس الدليل على نبوّة محمد ورسالته من الكتب المقدّسة السابقة للقرآن.

فلو أن الذين قالوا هذا القول من المستشرقين كانوا يخلصون للعلم حقّا لما لجئوا إلى مثل هذا الاستدلال القائم عندهم على أن التوراة و الإنجيل كتابان مقدّسان بالفعل. فلو أنهم كانوا يريدون العلم للعلم لسوّوا بين القرآن والكتب المقدّسة التي سبقته؛ فإمّا اعتبروه مقدّسا مثلها، فذكره الكتب المقدّسة التي عرفها الناس قبله طبيعي لا محل لرفضه.

و إمّا اعتبروا هذه الكتب كما اعتبروا القرآن و قالوا في شأنها ما قالوه في شأنه، و قرّروا أن أصحابها وضعوها لأغراض دينية أو سياسية خاصة. و لو أنهم قالوا مثل هذا القول لقضى المنطق بفساد ما ذهبوا إليه من تحريف القرآن لأغراض سياسية أو دينية، فما كان للمسلمين أن يلتمسوا الحجة من هذه الكتب بعد أن اطمأن ملكهم و دانت لهم الإمبراطورية المسيحية كما دان لهم غيرها من أمم الأرض، و بعد أن دخل المسيحيون في الإسلام أفواجاً بل أمماً كاملة. هذا هو المنطق الذي يقتضيه البحث العلمي النزيه. أمّا اعتبار التوراة و الإنجيل مقدّسين، و نفي هذه

[1] ينظر محمد حسين هيكل حياة محمد صص47

الصفة عن القرآن فأمر لا يسوّغه العلم. و أمّا القول بتحريفه التماساً للحجة من التوراة و الإنجيل فهراء لا يقره التاريخ و لا يرضاه المنطق).[1]

وبعد أن فند كلامهم برد علمي دقيق ساق أقوالَ بعض المستشرقين من أمثال سير وليم موير في كتابه "حياة محمد" إذ تكلم عن القران ودقة وصوله إلينا، وكان منصفاً في هذه المسألة على وجه الخصوص.

وتحدث أنّ القران حفظه الجمع الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم وذلك أن حافظتهم كانت متوقدة خاصة أهل مكة فقد كانوا أكثر ثقافة من غيرهم، وتحدث عن جمع القران في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وجمع القران في عهد عثمان رضي الله عنه وسبب ذلك ثم دافع عن عثمان رضي الله عنه فيقول: " فليس في الأنباء القديمة أو الجديدة بالتصديق ما يلقي على عثمان أية شبهة بأنه قصد إلى تحريف القرآن لتأييد أغراضه ".[2]

وتحدث عن أقوال الشيعة التي تدَّعى أنّ القرآن أزيل منه آيات بتزكية علي رضي الله عنه، ورد عليهم بما هو أهل للرد بما يُحفظ له من نصحه للإسلام والقرآن والصحابة.

يقول الأستاذ هيكل (نستطيع أن نستنبط إذاً مطمئنين أنّ مصحف عثمان كان وما زال صورة مضبوطة لِمَا جمعه زيد بن ثابت، مع مزيد في التوفيق بين الروايات السابقة له وبين لهجة قريش، ثم استبعاد سائر القراءات التي كانت منتشرة في أنحاء المملكة)[3].

ثم طرح تساؤلاً يقول فيه: هل كان ما جمعه زيد صورة صادقة كاملة لما أوحي إلى محمد؟ فساق أربعة أدلة تثبت أن ما جمعه زيد كان صورةً صادقةً كاملة لما أوحي إلى رسول الله ﷺ.

([1]) حياة محمد ص48.

([2]) المرجع السابق ص52

([3]) المرجع السابق ص53

ثم ختم ناقلاً عن موير في كتابه حياة محمد "والنتيجة التي نستطيع الاطمئنان إلى ذكرها هي أن مصحف زيد وعثمان لم يكن دقيقاً فحسب، بل كان كما تدلّ الوقائع عليه كاملاً، وأن جامعيه لم يتعمدوا إغفال أيّ من الوحي. ويتابع حديثه في هذا الخصوص فيقول: نستطيع كذلك أن نؤكد، استنادا إلى أقوى الأدلّة، أن كل آية من القرآن دقيقة في ضبطها كما تلاها محمد ﷺ). [1]

3- دفاعه عن الرسول صلى الله عليه وسلم

في دفاع الأستاذ هيكل عن رسول الله ﷺقد وقف موقفاً جيداً في مناقشاته لمن يشتمون وينتقصون من مقام رسول الله ﷺ، وقد قدم في مقدمته موقف الإسلام من نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، وأن الإسلام حال بين الناس وبين الحط من مقامه عليه الصلاة والسلام وجعله في مكانه الصحيح الذي لا يرفعه عن بشريته ولا ينزله عن مقام نبوته.

ثم عرض موقف الكثير من المسيحيين الذين نعتوا النبي ﷺوعرضّوا به بأوصاف يتبرأ منها المهذب من الرجال حتى يشفوا غليل حقدهم، وإن كانت الحروب الصليبية قد وضعت أوزارها في الظاهر فقد بقيت جذوتها مشتعلة بقلوب أرباب الكنيسة حقداً على ما جاء به محمد ﷺوإن لم يكن أشد من الحرب التي أججوا نارها، ولم يقف الأمر عند رجال الكنيسة وإنما تعدى ذلك إلى كُتّاب وفلاسفة كان ذلك في ظلمات قلوبهم؛ ثم ما لبث أن أصبح بجميع الوسائل المبتكرة.

ويتعجب حين يذكر كيف لهم أن يستمر حقدهم على الإسلام بعد عصر العلم والنور مع أن المسلمين الأوائل فرحوا حين انتصر أهل الكتاب على الفرس. وهذا مما يبعث العجب الأكبر في النفس. [2]

([1]) المرجع السابق ص55

[2] محمد حسين هيكل حياة محمد ص22و23

عرض هيكل أقوال بعض المستشرقين في رسول الله ﷺ ،وما انحدرت به قِيَمُهم ليصفوه بما هو ليس أهله، وليكشف عن حقيقة حقدهم على نبي هذه ألأمة ،بما لا يمكن وصفه إلا بقطاع الطرق والظلمة والمنحدرين من الرجال.

ثم عرض أقوال المنصفين منهم في رسول اللهﷺ الباحثين عن الحقيقة وأشاد بهم مع إستشراقهم إلا أنهم قالوا الحق في وصف المستشرقين المغالين في النيل من رسول الله ﷺ.

وأنهى هذا العرض بقوله(أرأيت الحضيض الذي هوت إليه هذه الطائفة من كُتّاب الغرب؟ أرأيت إصرارهم، مع توالي القرون، على الضلال و على إثارة العداوة و البغضاء بين أبناء الإنسانية؟! ومن هؤلاء من جاءوا في العصور التي يسمونها عصور العلم والبحث والتفكير الحر وتقرير الإخاء بين الإنسان والإنسان. قد يخفف من أثر هذا الضلال قيام أولئك المنصفين إلى حدّ ما، ممن أشار إليهم درمنجم، ومنهم من يُقرّ بصدق إيمان محمد بالرسالة التي عهد اللّه إليه تبليغها من طريق الوحي، ومنهم من يشيد بعظمة محمد الروحية وبسموّ خلقه ورفعة نفسه وجمّ فضائله، ومنهم من يصوّر ذلك في أقوى أسلوب وأتمه روعة. وإن بقي الغرب مع ذلك ينال من الإسلام و نبيه أشدّ النيل، ثمّ تبلغ منه الجرأة حتى يبث المبشرين في أنحاء البلاد الإسلامية يذيعون مثالبهم الوضيعة، و يحاولون صرف المسلمين عن دينهم إلى المسيحية).[1]

وتراه يدافع عن رسول الله ﷺفي قصة الغرانيق دفاعاً قوياً، على الرغم من إشباع أصحاب وكتاب السير في ردها، وقال لم اكتف بردها فقط بما ذكره العلماء والمحدثون على طريقة أهل الحديث في نقد المرويات ،وإنما على طريقة النقد العلمي الحديث، وعقد لها فصلاً كاملاً ،لأن جمعاً من المستشرقين بالغوا في الوقوف عندها ليطعنوا من خلالها بالرسالة والعصمة للنبي ﷺ.

([1]) محمد حسين هيكل حياة محمد ص31.

ولعل أحسن رد ذكره ابن كثير إذ يقول: (وذكروا قصة الغرانيق، وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحا لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها). [1]

ذكرها الأستاذ هيكل في أكثر من موقع في كتابه غير الفصل الذي عقده حتى قال الدكتور فاروق حمادة: (ودفاعه في قصة الغرانيق ينطبق عليه المثل القائل "جهاد في غير عدو، وقتال في غير معركة " لان هذه المعركة قد أنهاها قبله علماء كثيرون منذ الصدر الأول باعترافه هو، إذ نقل عن ابن إسحاق المتوفى 151هـ قوله: إنها من وضع الزنادقة وتلا ابن إسحاق وعاصره كثيرون ممن رفضوا هذه القصة منذئذ وحتى أيامنا هذه).[2]

وفي دفاعه عن زوجات رسول الله ﷺباعتباره دفاعاً عنه ﷺ دافع عن زينب بنت جحش، إذ رد على المستشرقين بما يستحقون ،وما يرتضيه العلماء المحققون بهذه الحادثة على وجه الخصوص،وسيأتي بسطها في موضعها من الفصل الرابع إن شاء الله.

أما في دفاعه عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في حادثة الإفك، مما يرفع عنه تهمة التشيع كما ذكر أحد الكتاب، وقد أحسن في سرد القصة مما جعلها مشوقةً، يرد في ثنايا كلامه على من اتهمها وقذفها، بما يحمد عليه، ويحسب له ،إذ قال في هذه القصة:

(و دخل صفوان المدينة في وضح النهار بأعين الناس وعائشة على ظهر بعيره. حتى إذا كانت عند منزلها بين منازل نسوة الرسول دلفت إليه. ولا يجول بخاطر أحد أن يحدث في أمرها قولاً أو يثير حول تأخرها عن الركب شبهةً، ولا يدور بخاطر الرسول ظنَّةُ سوء في ابنة أبي بكر أو في صفوان المؤمن الحسن الإيمان.

([1]) السيرة النبوية ابن كثير 57/2.

([2]) مصادر السيرة النبوية وتقويمها فاروق حماده ص88.

وما كان لحديث أن يدور، وها هي ذي تدخل المدينة بأعين الناس في أعقاب العسكر الذين جاءوا لم يمض بين مجيئهم ومجيئها وقت يحمل على ظنّة أو يبعث إلى نفس ريبة؛ وها هي تدخل بأعين الناس صافية الجبين مشرقة الوجه، ليس في شي ء من مظهرها ما يريب).(1)

وقال أيضاً: (وقد كانت مضرب المثل في الطهر وسموّ النفس).(2)

وقال أيضاً بعد عرض هذه الحادثة ونزول براءتها بقران يتلى إلى قيام الساعة: (من ثم انقضى هذا الحادث ولم يبق له في المدينة كلها أثر، وأسرع النَّقَهُ إلى عائشة وعادت إلى دارها من مساكن الرسول، وإلى مكانتها من قلبه، وإلى مركزها الرفيع من نفوس أصحابه المسلمين جميعاً).(3)

4- رده على المستشرقين.

عرض الأستاذ هيكل في كتابه "حياة محمد" أقوال المستشرقين وشبههم؛ والحقُّ أنه وإن كان في بعض المواقف سار بصفهم، وعلى طريقتهم في التفكير، إلا انه كان في كثير من المواقف مناوئاً لأقوالهم رادّاً عليهم بما يستحقون من الرد.

وجاء كتابه كأنه يريد أن يثبت للمستشرقين كثيراً مما اخطئوا فيه، وبالغوا فيه بالكيد لهذا الدين، وقد تنبه هو لهذا الخطر عندما درس بينهم ، وكان يعظم فكرهم الذي ما لبث أن عاد إلى الحقيقة المنقذة للشعوب في حقائق هذا الدين، ولكنه لم يتخلص مما علق في فكره من أفكارهم وطريقة بحثهم.

يقول الأستاذ هيكل:(حيث عرضت عليه رسالة من أحد الأشخاص ينتقده فيها أنه لم ينقل إلا من المراجع العربية ولم ينقل ما قاله المستشرقون الألمان من أمثال «فيل» و «جولدزهر» و

---

(1) محمد حسين هيكل حياة محمد 490.

(2) المرجع السابق 492.

(3) المرجع السابق ص 498.

«نولدكي» و غيرهم و لم يأخذ بنتائجهم في هذه البحوث: "وإلى هؤلاء أوجّه القول هنا لأحذّرهم مما يقع المستشرقون فيه من خطأ. وبعض هؤلاء المستشرقين مخلص في بحثه على رغم خطئه. لكن الخطأ يتسرّب إلى بحثه لعدم دقته في إدراك أسرار اللغة العربية تارة، و لِمَا يشوب نفوس طائفة من هؤلاء العلماء من الحرص على هدم مقرّرات دين من الأديان، أو على هدم مقرّرات الأديان جميعاً، تارة أخرى. وهذا و ذاك إسراف كان يجمل بالعلماء أن يجتنبوه. و لقد رأينا مسيحيين دفعهم هذا الإسراف إلى إنكار عيسى وجد على التاريخ، و رأينا آخرين تخطوا حدود الإسراف فكتبوا عن جنون عيسى. و إنما دعا إلى هذه النزعة في أوروبا ما بين الكنيسة والدولة من نزاع أدى برجال العلم و برجال الدين، كلّ من ناحيته، إلى الحرص على الغلب لاقتناص السلطان والحكم. أما والإسلام بري ء من هذا النزاع فليتّق الباحثون من أبنائه سلطان هذه الشهوة التي يخضع لها رجال الغرب، و التي تفسد على العلماء بحوثهم أكثر الأمر، و يجب عليهم لذلك أن يأخذوا حذرهم حين يطّلعون على ما يصدر عن الغرب من مباحث دينية، و أن يمحصوا كل ما يصوّره العلماء على أنه حق. فالكثير منه يتأثر بمقدار غير قليل بهذا الماضي الذي جعل الخصومة متصلة بين رجال الدين و رجال العلم قرونا متوالية).[1]

وأكثر في كتابه بنحو هذا الكلام من قصور دقة بحث المستشرقين لأنهم لا يقفون على المعاني الصحيحة لهذا الدين وعلى حقيقة اللغة العربية.

وعرض بحثاً في آخر كتابه بعنوان (المستشرقون والحضارة الإسلامية) تحدث فيه عن بعض آراء المستشرقين في قضايا عقدية نحو الجبر والقضاء والقدر وغيرها من القضايا وقد ناقشهم بإنصاف ودقة في كثير من جوانب مناقشاته إلا أنها تحتاج إلى مزيد إمعان في الرد وعمق دقة في المناقشة.

([1]) محمد حسين هيكل حياة محمد ص 56.

5- حسن ترتيبه للكتاب ودقته في الألفاظ وتشويقه للقصة وتناوله أبحاثاً ليست من السيرة إنما هي متعلقات بالسيرة النبوية.

جاء كتابه في واحد وثلاثين فصلاً ومبحثين ختم بهما الكتاب، وقد عنون لكل مرحلة من مراحل السيرة النبوية بعنوان واضح مشتمل على ما في الفصل من مباحث، وفي كل فصل يعقد عنواناً صغيراً لكل حدث.

يقول الإمام الأكبر شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي في تقديمه لكتاب حياة محمد (وقد وفّق الدكتور في تنسيق الحوادث وربط بعضها ببعض، فجاء كتابه عقداً منضداً وسلسلة متينة محكمة الحلقات. وقد أبدع في بيان الأسباب والأغراض والحكم بياناً قويّاً واضحاً يجعل القارئ مطمئن النفس رضيّ القلب يستمتع بما يقرأ ويثلج صدره ببرد اليقين، فيملك عليه أمره، ويجبره على متابعة القراءة حتى يوفي على آخر ما بيده من البحث.

وفي الكتاب بحوث قيمة ليست من السيرة، ولكنها اتصلت بها بسبب الإسهاب في بيان أغراضها).[1]

علماً بأن الشيخ المراغي لم يُعرض عليه الكتاب كاملاً إنما عرض عليه قبل أن يطبع وكان هذا وصفه لهذا الكلام مع كثير من المدح والثناء، كما أثنى الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين على صنيع الدكتور هيكل في كتابه حياة محمد ورد على من رد عليه وبالغ في ذلك.

واعتبر أن ما جاء في كتاب حياة محمد فتحاً من الله لمن جاء بعد الدكتور هيكل في كتابة السيرة النبوية في التحليل والرد على المخالفين وطريقة البحث.

([1]) محمد مصطفى المراغي تقديم لكتاب هيكل محمد حسين، حياة محمد ص9.

المطلب الثاني المآخذ التي أُخِذَت على كتاب حياة محمد

لا يخلو كتاب من كتب البشر من مآخذ تؤخذ عليه، بالموضوع، أو بطريقة الكتابة، أو المنهج، أو غيرها مما يجعل العصمة لكتاب الله وحده، يقول الله تعالى (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) (82النساء).

وكتاب حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل فيه من المآخذ الكثيرة الذي جعله محط نقد ورد لكثير من الأفكار والتحليلات ، وأشار بعض العلماء إلى بعض المآخذ على سبيل الذكر دون الرد وأحياناً بردٍّ مجمل وهذا حال غالب من ذكر هذه المآخذ ، وسأذكر هذه المآخذ وأرد عليها في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى، ومن هذه المآخذ التي أخذت على هذا الكتاب ما يأتي:

1- سمَّى كتابه "حياة محمد" ولم يسمه سيرة محمد على نحو صنيع كتاب السيرة فكانوا يسمون كتبهم السيرة النبوية أو سيرة ابن إسحاق، وإنما فعل ذلك على نحو ما فعل المستشرقون، مثل السير وليم موير ألف كتاباً سماه حياة محمد، وكذلك فعل درمنجم وجورج بوش الجد وغيرهم، فجاء هذا الكتاب على نحو تأليفهم في حياة النبي ﷺ.

إضافة إلى ذلك فإنه لم يتبع كلمة محمد بالصلاة والسلام عليه في أي موضع إلا ما ندر، ﷺوهذا إنما يدل على قصده في تأليفه أنه ما ألفه إلا من أجل البشرية، وليس لغرض ديني، وإنما لبيان كثير مما أخطأ فيه المستشرقون، ومن تبعهم من أبناء المسلمين، وقد قال النبي ﷺ"الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيّ"،[1] هذا عند من يذكر عنده النبي ﷺ، فكيف بمن يكتب عنه للعالم والبشرية ﷺ، فأي حرمان هذا؟!

([1]) مسند أحمد 258/3؛ قال الشيخ شعيب الارناؤوط إسناده قوي، رجاله ثقات رجال الصحيح غيرَ عبد الله بن علي بن حسين، فمن رجال الترمذي والنسائي، روى عنه جمع، ووثقه ابنُ حبان وابن خلفون والذهبي، وقول الحافظ عنه في"التقريب": مقبول، غيرُ مقبول. أبو سعيد: هو عبد الرحمن بن عبد الله مولى بني هاشم. ط

وفي سياق دفاعه عن رأيه في عدم ذكره للصلاة والسلام على النبي ﷺفي عنوان كتابه وسياقه، دعا إلى التوجه إلى سمو الإسلام وعظمته لا إلى القيود اللفظية.[1]

وتوحي كلمة "حياة" إلى دراسة حياة الشخص المادية والعادية بمعزل عن الروحانيات والمعجزات ،ومثل هذه المعاني، فلقد حاول أن يعزل حياة رسول الله ﷺاليومية والشؤون الشخصية عن الوحي والمعجزات، ويفسر كل ما يحدث معه من أُمور خارجة عن المألوف بطريقة عقلية بعيدة كل البعد عن حقيقة هذا الشيء الذي حدث معه ﷺ.

2- إعراضه عن تحقيقات أصحاب كتب الحديث والسيرة التي ذكرت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واكتفاؤه بعرضها على الطريقة العلمية الحديثة حسب قوله، فإنْ وافقت هذه الطريقة أخذ بها وإن لم توافق ردها، أو أتى بالتي توافق وكتابته حياة رسول الله ﷺ بأسلوب العصر ليس بأسلوب العلماء القديم، فإنها لا تناسب روح هذا العصر حسب رأيه.

إضافة إلى ذلك أن ما بين كتب الحديث والسيرة من اختلاف كبير، وكثرة روايات منسوبة إلى النبي ﷺمنذ ولادته والى وفاته، فبعض الكتاب يذكر قصة وآخر يغفلها وآخر يضعفها وخاصة المعجزات والخوارق، دعاه إلى اعتماد المنهج العلمي الغربي الحديث في كتابة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم .

والاختلاف أحيانا بين الروايات يكون ظاهرياً، وأحيانا تكون رواية أصح من رواية، وهذا من اختصاص علماء الجرح والتعديل والعلل لا غيرهم.

الرسالة، وأخرجه ابن حبان في صحيحه 189/3 في باب نفي البخل عن المصلي على النبي صلى الله عليه وسلم.

([1]) حياة محمد ص63.

ومثال إعراضه عن الروايات الصحيحة التي لا توافق المنهج الذي سلكه، في معرض حديثه عن نزول الوحي على رسول الله ﷺفي غار حراء ،جنح إلى القول بأن جبريل جاء النبي ﷺوهو نائم، فيقول الدكتور هيكل:

(وفيما هو نائم بالغار يوماً جاءه ملك وفي يده صحيفة، فقال له: اقرأ. فأجاب مأخوذاً: ما أقرا! فأحس كأن الملك يخنقه ثم يرسله ويقول له: إقرأ. قال محمد: ما أقرأ! فأحس كأن الملك يخنقه كرّة أخرى، ثم يرسله ويقول: اقرأ. قال محمد- وقد خاف أن يُخنَق مرّة أخرى- ماذا أقرأ؟! قال الملك: ((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ) فقرأها وانصرف الملك عنه وقد نقشت في قلبه. ولكنه ما لبث أن استيقظ فَزِعاً يسأل نفسه: أيّ شيء رأى؟ أتراه أصابه ما كان يخشى من جنّة؟ وتلفّت يمنة ويسرة فلم ير شيئاً).[1]

وهذه الرواية التي أوردها الدكتور هيكل، وأثبت فيها أن النبي ﷺكان نائماً وقت نزول جبريل عليه أول مرة ،تخالف الروايات الصحيحة التي أخرجها الأئمة، أمثال البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

فقد أخرج البخاري في صحيحه، من حديث عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: (أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺمِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّدُ – اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي،

---

(1) حياة محمد ص148.

فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ} [العلق: 2] " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺيَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ).....[1]

هذه الرواية التي أخرجها البخاري ومسلم لم يرد فيها أن جبريل نزل على رسول الله ﷺوهو نائم وهي مقدَّمة على ما أخرجه ابن إسحاق إذ يقول: وَحَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ قَالَ: قَالَ عُبَيْدٌ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَاوِرُ ذَلِكَ الشَّهْرَ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، يُطْعِمُ مَنْ جَاءَهُ مِنْ الْمَسَاكِينِ...... فقال رسول الله ﷺ :جاءني وأنا نائم فقال: إقرأ، فقلت: وما اقرأ ؟ حتى ظننت أنه الموت، ثم كشطه عني فقال: إقرأ، فقلت وما أقرأ؟ فعاد لي بمثل ذلك ثم قال: إقرأ، فقلت: وما أقرأ؟ وما أقولها إلا تنجيا أن يعود لي بمثل الذي صنع بي فقال:«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ» ثم انتهى فانصرف عني، وهببت من نومي، وكأنما صُوِّر في قلبي كتاب...[2]

ولم يذكر ابن اسحاق سنداً متصلاً إلى صحابي لهذه الروية فكيف تُقدَّم هذه الرواية على الرواية المسندة عند البخاري ومسلم، وأي تحقيق وتدقيق أخبر عنه في بداية بحثه أنه سيعمله في كتابه.

هذا يجعلنا نخلص بالقول: إن اعتماده على رواية نوم النبي ﷺفي حال تلقيه للوحي من جبريل في اللقاء الأول، كان سبيلاً يصل من خلاله إلى إنكار مسألة تلقي النبي صلى الله عليه

(1) صحيح البخاري ج1/ص7 رقم باب بدء الوحي3 ط دار طوق النجاة وأخرجه مسلم في صحيحه ج139/1 باب بدء الوحي إلى رسول لله ﷺ.

(2) ابن إسحاق السيرة النبوية 121/1 ط1 دار الفكر.

وسلم الوحي في اليقظة ، ولا ريب في أن هذا المنهج يتفق تماماً مع المنهج البحثي العلمي الغربي الحديث والذي لا يعطي للغيبيات وخوارق العادات اعتباراً.

3- دعواه أن جرح بعض العلماء لما ورد في الصحيحين جرح معتبر، وعدم الاعتراف بأنهما تحريا الدقة التي لا ريب فيها ولكنهم جعلوا مقياس السند والثقة بالراوية أساس قبول الحديث، وهو مقياس له قيمته لكنه غير كاف، واستند إلى قول النووي أن جماعةً استدركوا على البخاري ومسلم أحاديث أخلاّ بشرطهما فيها ونزلت عن درجة ما التزماه، والمقياس الصحيح الذي يجب أن يقاس صحة الحديث وتقاس به سائر الأنباء التي رويت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (إنكم ستختلفون من بعدي فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فمني وما خالفه فليس مني) ومقياس الحديث الموضوع وعلامته مخالفته لظاهر القرآن ومخالفته للقواعد المقررة في الشريعة أو البرهان العقلي أو الحس أو العيان وسائر اليقينيات، وهذا يتفق مع قواعد النقد العلمي الحديث.[1]

مناقشة رأيه

أولاً: دعوى أن بعض العلماء استدركوا على الإمام البخاري والإمام مسلم أحاديث أخلّا بشرطها فيها ونزلت عن درجة الصحة مدعّماً قوله بما أخبر به الإمام النووي بهذا الخصوص. فكأني به كمن يقول ويل للمصلين ثم يأتي بها دليلاً على أن الله توعد المصلين ولم يذكر ما بعده وقد أشار النووي إلى أنّ هذه الاستدراكات أو أكثرها أجيب عليها وأنه سيجيب في موضعها كما في مقدمة شرحه لصحيح الإمام مسلم، وقد أجاب عن هذا رحمه الله تعالى.[2]

([1]) حياة محمد ص67.

([2]) النووي المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج ج1 ص27.

وأشبع الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى هذه المسألة وفند القول بها، ورد على كل حديث ذكره بعض العلماء بما استدركوه على البخاري ومسلم فقال الإمام ابن حجر:

(في سِيَاق الْأَحَادِيث الَّتِي انتقدها عَلَيْهِ حَافظ عصره أَبُو الْحسن الدَّارَقُطْنِيّ وَغَيره من النقاد وَالْجَوَاب عَنْهَا حَدِيثاً حَدِيثاً وإيضاح أَنه لَيْسَ فِيهَا مَا يخل بِشَرْطِهِ الَّذِي حققناه).[1]

وأجاب الإمام العسقلاني عن كل اعتراض أُعتُرِضَ على الإمام البخاري في صحيحه، وبعد هذا فلا يتحدث بهذه الاستدراكات إلا جاهل بما رده الأئمة المحققون، أو عالم بها مقر بما استدركه بعض العلماء على البخاري ومسلم شأنه شأن من يريد أن يقلل من قيمتها ويثبت الخطأ فيها.

ثانياً: القول بأن اشتراط سلامة السند والعدالة والإتقان لا تكفي لأنه يمكن أن يكون الراوي ثقة ظاهراً وهو ليس كذلك باطناً إذ أن هذه الأمور لا بد لها من زيادة في التحري والتثبت من المتن بعرضها على كتاب الله عزوجل واستدل بحديث السابق ذكره وهو حديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺقال الفيروزابادي:

(وهذا الحديث من أوضع الموضوعات بل صح خلافه: ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)[2]

وأما الحديث الذي استدل به على وجوب عرض الحديث على القران ،فقد حقق العلماء هذا الرواية ،وبينوا وضعها ،وأنها ليست من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد بين الإمام البيهقي القول في هذا الحديث واتى بالأدلة التي تثبت ضعفه إذ قال :

(قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَهَذِهِ أَيْضًا رِوَايَةٌ مُنْقَطِعَةٌ عَنْ رَجُلٍ مَجْهُولٍ، وَنَحْنُ لَا نَقْبَلُ مِثْلَ هَذِهِ الرِّوَايَةِ فِي شَيْءٍ .

---

(1) ابن حجر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج1 ص4.

(2) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى رسالة في بيان ما لم يثبت فيه حديث صحيح من الأبواب ص6.

قال البيهقي وَقَدْ رُوِيَ مِنْ أَوْجُهٍ أُخَرَ كُلِّهَا ضَعِيفٌ، قَدْ بَيَّنْتُ ضَعْفَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي كِتَابِ الْمَدْخَلِ).[1]

وتكلم غير واحد من العلماء عن هذا الحديث المكذوب على رسول الله ﷺ ،فكيف يجوز من باحث يتحدث بالتحقيق والتمحيص والمعرفة أن يروي حديثاً مكذوباً، ليجعله حجة يقاس بها صحة أحاديث رسول الله ﷺ ،ويعرض عن قواعد علماء هذا الفن،ومتى كان الحديث إذا خالف ظاهر القران موضوعا؟.

وركز الدكتور هيكل على كلمة (الظاهر)، فقد يكون هناك خلاف بين نص قرآني وحديث، ولكن لا يوجد بينهما خلاف حقيقي، لكنه أراد من هذا العرض الذي قدمه أن يتوصل إلى أنه يمكن أن يكون في الأحاديث الصحيحة عند أصحاب الحديث، ما يمكن أن يكون مجالاً للنقد والطعن بصحته، إذ خالف ظاهر القران، والبرهان العقلي ،أو الحس ،أو الواقع، حتى لا يكون لأحد اعتراض عليه إذا ضعف حديثاً صحيحاً،أو طعن به لمخالفته لمنهجه الذي اعتمده في تأليف كتابه.

4- اعتماد هيكل على المستشرقين بالحكم على بعض أحداث ومرويات السيرة النبوية بالضعف ، واعتبار حكمهم مرجعاً، حتى لو ثبتت هذه المرويات بأعلى درجات الصحة.

قال هيكل بعد أن ذكر قصة شق صدر النبي ﷺ:

(لا يطمئن المستشرقون ولا يطمئن جماعة من المسلمين كذلك إلى قصة الملكين هذه ويرونها ضعيفة السند. فالذي رأى الرجلين في رواية كتّاب السيرة إنما هو طفل لا يزيد على سنتين إلا قليلاً، وكانت كذلك سن محمد يومئذ. والروايات تجمع على أن محمداً أقام ببني سعد إلى الخامسة من عمره. فلو كان هذا الحادث قد وقع وسنّه سنتان ونصف سنة، ورجعت حليمة وزوجها

([1]) البيهقي معرفة السنن الآثار ج177/1.

إذ ذاك به إلى أمه، لكان في الروايتين تناقض غير مقبول. ولا يرضى المستشرق سير وليم موير أن يشير إلى قصة الرجلين في ثيابهما البيضاء، ويذكر أنه إن كانت حليمة وزوجها قد نبها لشيء أصاب الطفل فلعله نوبة عصبية أصابته، ولم يكن لها أن تؤذي صحته لحسن تكوينه. ولعل آخرين يقولون: إنه لم يكن في حاجة إلى من يشقّ بطنه أو صدره ما دام الله قد أعده من يوم خلقه لتلقي رسالته. ويرى در منجم أن هذه القصة لا تستند إلى شيء غير ما يفهم من ظاهر الآيات: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ. الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) وأن ما يشير القرآن إليه إنما هو عمل روحيّ بحت، والغاية منه تطهير هذا القلب وتنظيفه ليتلقى الرسالة القدسية خالصة ويؤدّيها مخلصاً تمام الإخلاص محتملاً عبء الرسالة المضني.

وإنما يدعو المستشرقين ويدعو المفكرين من المسلمين إلى هذا الموقف من ذلك الحديث أن حياة محمد كانت كلها إنسانية سامية، وأنه لم يلجأ في إثبات رسالته إلى ما لجأ إليه من سبقه من أصحاب الخوارق). [1]

وقد حقق الشيخ شعيب الارناؤوط حديث شق صدر النبي ﷺالذي في مسند أحمد فقال(وأما شق صدره وهو في العاشرة من عمره فهذا الحديث لا يصح، إنّما صح من أحاديث شق الصدر الحادثة التي وقعت للنبي ﷺوهو مسترضع في بني سعد، وفي حادثة الإسراء والمعراج).[(2)]

فكيف يجوز أن يُحكَّم المستشرقون ومن هم على رأيهم في أحداث السيرة النبوية وفي حدث خارق للعادة ،وقد ورد بأحاديث صحيحة ، ليس للمستشرقين ولا من هم تبع لهم أن يحكموا على شيء من هذا الأحاديث لأنهم ليسوا أهلاً لهذا ،ولا أمناء على هذا الدين .

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص128.

([2]) مسند احمد، تحقيق الشيخ شعيب الارناؤوط 183/35 رقم حديث 21262.

وإنما غرض الدكتور هيكل والمستشرقون، أن يفرغوا سيرة رسول الله ﷺ من أية معجزة، أو أية حادثة خارقة للعادة، لتكون حياته -على حد تعبيره- إنسانية سامية، ليست بحاجة إلى الخوارق لتثبت صدقه عليه الصلاة والسلام.

5- إنكاره لجميع المعجزات غير القران الكريم حتى يثبت للعالم أنه بشر يوحى إليه.

يقول الدكتور هيكل(فحياة محمد حياة إنسانية بلغت أسمى ما يستطيع إنسان أن يبلغ، ولقد كان ﷺحريصاً على أن يقدّر المسلمون أنه بشر مثلهم يوحى إليه، حتى لا يرضى أن تنسب إليه معجزة غير القرآن، ويصارح أصحابه بذلك).[1]

لكن الدكتور هيكل لم يأتي بأي دليل يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صرح لأصحابه أن لاينسبوا إليه معجزة غير القرآن الكريم ، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم خلاف هذا ، فقد كانت تجري على يديه المعجزات وبحضور الصحابة ، فكيف يستقيم كلام هيكل مع وما كان يجري على الواقع في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

ويستشهد بأقوال بعض العلماء التي ظاهرها أنهم ينكرون المعجزات ثم يقول: (وأكبر ظني أن الذين كتبوا السيرة كانوا يؤثرون هذا الرأي، لولا أحوال العصر أيام المتقدّمين، ولولا أنْ ظن المتأخرون في ذكر ما لم يرد به القرآن من خوارق ومعجزات ما يزيد الناس إيماناً على إيمانهم؛ لذلك حسبوا أن ذكر هذه المعجزات ينفع ولا يضرّ، ولو أنهم عاشوا إلى زماننا هذه، ورأوا كيف اتخذ خصوم الإسلام ما ذكروه منها حجة على الإسلام وعلى أهله، لالتزموا ما جاء به القرآن، ولقالوا بما قال به الشيخ الغزالي ومحمد عبده والمراغيّ وسائر المدققين من الأئمة. ولو أنهم عاشوا في زماننا

(1) حياة محمد ص60.

هذا، ورأوا كيف تزيغ هذه الروايات قلوباً وعقائد بدلاً من أن تزيدها إيماناً وتثبيتاً لكفاهم ذكر ما في كتاب الله من آيات بينات وحجج دامغة).[1]

ثم تحدث عن مضرة الروايات التي لا يقرها العقل والعلم التي أصبحت ملموسة، وأن هذه الروايات لو عرضت على كتاب الله عزوجل لوجب ردها، ولا يوجد معجزة أراد الله عزوجل أن يؤمن بها الناس جميعاً إلا القران الكريم.

وأقول إن ما ثبت و صح في الأحاديث النبوية التي تتحدث عن المعجزات لا يمكن إلا الإيمان به ، لأنها وردت بطرق صحيحة لا يمكن أن يتطرق إليها الشك في الغالب، ثم إن كثيراً من الناس حين يسمعون مثل هذه المعجزات يزيد إيمانهم وحبهم لرسول الله ﷺ.

وفي مثال أورده هيكل في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ،وأراد من إيراد القصة ان يغفل المعجزة التي حصلت خلال هذه الحادثة،وهي لحاق سراقة بن مالك له صلى الله عليه وسلم، أغفل الدكتور هيكل قصة الفرس التي غاصت قوائمه بالتراب، وجاء بقصة ليس لها وجود وهي أنّ الفرس أوقعته عن ظهرها لأنها كانت مرهقة من السفر وقد فعلتها مراراً،[2] فاغفل الدكتور هيكل حتى لا يثبت هذه المعجزة.

وقد أوردها الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بكر الصديق إذ قَالَ :(خَرَجْنَا فَأَدْلَجْنَا، فَأَحْثَثْنَا يَوْمَنَا وَلَيْلَتَنَا، حَتَّى أَظْهَرْنَا........ وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا. فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَّا فَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ قَدْرُ رُمْحٍ أَوْ رُمْحَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا. وَبَكَيْتُ، قَالَ: «لِمَ تَبْكِي؟» قَالَ: قُلْتُ: أَمَا وَاللَّهِ مَا عَلَى نَفْسِي أَبْكِي، وَلَكِنْ أَبْكِي

([1]) المرجع السابق ص70.

([2]) ينظر كتاب حياة محمد ص227.

عَلَيْكَ. قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺفَقَالَ: «اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ». فَسَاخَتْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ إِلَى بَطْنِهَا فِي أَرْضٍ صَلْدٍ، وَوَثَبَ عَنْهَا، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عَمَلُكَ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُنْجِيَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأُعَمِّيَنَّ عَلَى مَنْ وَرَائِي مِنَ الطَّلَبِ، وَهَذِهِ كِنَانَتِي فَخُذْ مِنْهَا سَهْمًا، فَإِنَّكَ سَتَمُرُّ بِإِبِلِي وَغَنَمِي فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا، فَخُذْ مِنْهَا حَاجَتَكَ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا». قَالَ: وَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأُطْلِقَ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ.....)[1]

وفي إغفال هيكل لقصة شق القمر في العهد المكي ، وقد ذكرها القرآن الكريم، ، فلا يصح منه إغفال هذه المعجزة ، قال الله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر)،وهذه معجزة مطالب البشرية أن يؤمنوا بها، لأنها وردت متواترة في كتاب الله عزوجل، وجاءت بحديث صحيح صريح أخرجه البخاري في صحيحه: (عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺأن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما)[2] وأخرجه من حديث ابن مسعود فقال انْشَقَّ القَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنًى، فَقَالَ:«اشْهَدُوا» وَذَهَبَتْ فِرْقَةٌ نَحْوَ الجَبَلِ)وأخرجه من حديث ابن عباس.

وأكّد الحافظ ابن حجر في هذه الحادثة أنها وصلت إلينا بالتواتر السماعي، والإجماع والنص الصريح[3]، وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:(وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيه)[4] .

([1]) مسند احمد ج 1 ص180 رقم 3 مسند ابي بكر رضي الله عنه،**تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.**

[2] **صحيح البخاري باب انشقاق** القمر رقم 3656

[3] ابن حجر فتح الباري 184/7

[4] ابن كثير البداية والنهاية 118/3

فكيف يغفلها الدكتور هيكل؟ أو أنها غابت عنه مع أنها متواترة ، واردة في كتاب الله عزوجل ، أو انه يؤولها بما لا تحتمل .

الفصل الثالث

مصادر محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد، وطرق استفادته منها، ونقد مصادره، وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول كتب المستشرقين.

المبحث الثاني كتب السيرة وتقويمها.

المبحث الثالث كتب التفاسير.

المبحث الرابع كتب المدرسة الإصلاحية.

المبحث الأول: كتب المستشرقين، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: كتاب المستشرق درمنجم (حياة محمد)، ووصف محمد حسين هيكل لهذا الكتاب.

المطلب الثاني: ذكر نماذج من كتاب درمنجم(حياة محمد) وتقويم هذا الكتاب.

المطلب الأول: كتاب المستشرق درمنجم (حياة محمد)، ووصف محمد حسين هيكل لهذا الكتاب.

اهتم الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه "حياة محمد " بكتابات المستشرقين وخاصة المنصفين منهم وذلك لأنه ما كان يكتب فقط للمسلمين المؤمنين برسالة الإسلام وإنما كان يكتب كذلك للغرب على اختلاف توجهاتهم ونظرتهم للإسلام وسيرة النبي – ﷺ–، وكان يريد من خلال استشهاده بمواقف المستشرقين المنصفين أن يثبت الخطأ الذي وقع فيه المغالون من المستشرقين حول شخصية النبي – ﷺ– وسيرته العطرة.

يقول الدكتور هيكل في حديثه عن بداية تأليفه لكتاب حياة محمد (ثم حرصت على أن أقرأ ما كتب بعض المستشرقين، فقرأت كتاب درمنجم و كتاب واشنطن إيرفينغ).[21]

اهتم المستشرقون بسيرة النبي – ﷺ– على نحو كبير واهتمام بالغ منذ نهاية العصور الوسطى وإلى هذا الوقت مدفوعين بكرههم لهذا الدين آملين أن يجدوا الثغرات بسيرة رسول الله – ﷺ– ليثبتوا وضع هذا الدين على يدي البشر، وأنه ليس بدين سماوي من الله عزّ وجل.

ومن خلال دراسة الدكتور هيكل في فرنسا اطلع بعمق على كتابات المستشرقين حول سيرة رسول الله –ﷺ–، واطلع على كتابات المنصفين منهم، والمغالين في الطعن في هذا الدين ونبيه وسيرته ﷺفتشكلت لديه رؤية واضحة حول الإستشراق ونظرته إلى هذا الدين بصفة عامة وحول سيرة النبي – ﷺ– بشكل خاص.

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص35

[2] واشنطن إيرفينغ (3 أبريل 1783 – 28 نوفمبر 1859) مؤلف وكاتب أمريكي، مؤرخ مختص بالفترة الأولى من القرن 19. اشتهر أكثر بالقصص القصيرة "أسطورة الوادي الناعس" و"ريب فان وينكل" ذكرت هذه القصص في كتاب بعنوان دفاتر جيفري كرايون، وتشمل أعماله التاريخية سير جورج واشنطن، اوليفر غولدسميث والنبي محمد.

وسأعرض نماذج من أقوال المغالين والمنصفين من المستشرقين الذين ذكرهم هيكل حول شخصية النبي -ﷺ- حسب رأيه في هذه القضية:

1- عرض في مقدمة الطبعة الأولى تحت عنوان "كُتَّاب المسيحية ومحمد" - ﷺ- إذ يقول: (جاء في موسوعة لآروس الفرنسيّة خلال العرض لآراء كتّاب المسيحية إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر ممن نالوا من محمد شرّ نيل ما يأتي: «بقي محمد مع ذلك ساحرا ممعنا في فساد الخلق، لصّ نياق، كردينالاً لم ينجح في الوصول إلى كرسي البابوية، فاخترع دينا جديدا لينتقم من زملائه. و استولى القصص الخيالي و الخليع على سيرته. و سيرة باهورميه (محمد) تكاد تقيم أدبا من هذا النوع. و قصة محمد التي نشرها رينا و فرانسيسك ميشيل سنة 1831 تصوّر لنا الفكرة التي كانت لدى أهل العصور الوسطى عنه. و في القرن السابع عشر نظر بيل في تاريخ القرآن نظرة تاريخية. مع ذلك ظلّت مقرّرات ظالمة ثابتة في نفسه عنه. على أنه يعترف مع ذلك بأن النظام الخلقي و الاجتماعي الذي أقامه لا يختلف عن النظام المسيحي لو لا القصاص و تعدّد الزوجات).[1]

عرض هنا لبعض أقوال المستشرقين المغالين في شخصية وسيرة رسول الله -ﷺ -وكان مقصوده أن يقارن بين المغالين والمنصفين أو المتوسطين حول شخصية النبي -ﷺ- ليثبت حجم الكذب والافتراء الذي لفقوه لشخصية النبي -عليه الصلاة والسلام -.

2- ثم عرض لحد المنصفين من المستشرقين حول شخصية وسيرة النبي -ﷺ -حسب رأيه إذ يقول: (وإن واحداً من المستشرقين الذين عرضوا لحياة محمد بشي ء من الإنصاف ذلك هو الكاتب الفرنسي – إميل درمنجم- ليذكر بعض هذا الذي كتب إخوانه في الدين)[2].

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد23

[2] المرجع السابق نفس الصفحة

ثم عرض هيكل لجزء من كلام إميل درمنجم حول الحضيض الذي نزل إليه المستشرقون الطاعنون بشخصية رسول الله –عليه الصلاة والسلام– الذي يأباه المهذب من الرجال أن يقوله في حق الوضيع من الناس لا في حق سيد الخلق محمد –صلوات الله وسلامه عليه–، لكنها حقيقة لابد من الوقوف عندها طويلاً بتأمل وتدبر لماذا وصل هولاء المستشرقون إلى هذا المستوى الوضيع المتهاوي في النيل والشتم والقدح والجرح بشخصية النبي –عليه الصلاة والسلام–؟.[1]

وقد عد الدكتور محمد حسين هيكل إميل درمجم[2] من المستشرقين المنصفين الذين عابوا على إخوانهم من المستشرقين الطاعنين بشخص النبي وسيرته –عليه الصلاة والسلام–، وإن استخدام الدكتور هيكل كلمة بشيء من الإنصاف حول دراسة درمنجم عن السيرة النبوية تدل على أنه لم يوافق درمنجم بكل ما ذهب إليه في كتابه.

3- المستشرقون الذين يثنون على رسالة ودعوة محمد –ﷺ– يقول الدكتور هيكل: (ومنهم من يقرّ بصدق إيمان محمد بالرسالة التي عهد اللّه إليه تبليغها من طريق الوحي، و منهم من يشيد بعظمة محمد الروحية و بسموّ خلقه و رفعة نفسه و جمّ فضائله، و من يصوّر ذلك في أقوى أسلوب و أتمه روعة).[3]

هذا تقسيم الدكتور هيكل لأصناف المستشرقين الذين بحثوا في سيرة النبي ﷺ وشخصه الكريم، وما يهمنا هنا هو الكاتب المستشرق إميل درمنجم صاحب كتاب "حياة محمد" ،وكان موقف الدكتور هيكل منه واضحاً من خلال كتابه، إذ أنه وصفه بشيء من الإنصاف لا بكل الإنصاف

---

[1] ويمكن الرجوع إلى هذه الأقوال التي جرحت وطعنت في شخصية النبي ﷺالى كتاب حياة محمد لمحمد حسين هيكل تحت باب كُتَّاب المسيحية ومحمد وكتاب حياة محمد لاميل در منجم في الفصل التاسع النصرانية والإسلام ص140

[2] إميل درمنغم مستشرق فرنسي، عمل مديراً لمكتبة الجزائر، من آثاره: (حياة محمد) (باريس 1929) وهو من أدق ما صنّفه مستشرق عن النبي ﷺ، و(محمد والسنة النبوية) (باريس 1955)، ونشر عدداً من الأبحاث في المجلات الشهيرة مثل: (المجلة الإفريقية)، و(حوليات معهد الدراسات الشرقية،

[3] محمد حسين هيكل حياة محمد ص25

وهذا يدلنا على أنه اطلع تماما على ما كتب في كتابه ولعل هذا يبرز في حديث الدكتور هيكل عن زواج النبي -ﷺ- من أُم المؤمنين زينب بنت جحش وموقف المستشرقين من هذه الحادثة وخاصة إميل درمنجم الذي اختلق الأكاذيب والكلام الفاحش والوصف الباطل حول هذه القصة وقد أدرك ذلك الدكتور هيكل فقال: (تزوّج محمد زينب بنت خزيمة، ثم تزوج أمّ سلمة بنت أبي أميّة بن المغيرة، ثم تزوج زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة، وزيد هذا هو الذي تبنّاه محمد وأعتقه منذ اشتراه يسار لخديجة. هاهنا يصيح المستشرقون ويصيح المبشرون: انظروا! لقد انقلب محمد الذي كان بمكة داعية قناعة و مهد و توحيد ورغبة عن شهوات هذه الحياة الدنيا، رجل شهوة يسيل منظر المرأة لعابه، ولا يكفيه ثلاث نسوة في بيته، بل يتزوج أولئك الثلاث اللائي ذكرنا، و يتزوّج من بعدهن ثلاثا أخريات غير ريحانة. وهو لا يكفيه أن يتزوج ممن لا بعولة لهن؛ بل هو يشغف حبّا بزينب بنت جحش وهي تحت زيد بن حارثة مولاه؛ لغير شي ء إلا أنه مرّ ببيت زيد و هو غائب فاستقبلته زينب، وكانت في ثياب تبدي محاسنها، فوقع منها في قلبه شي ء لجمالها، فقال: سبحان مقلب القلوب! ثم كرّر هذه العبارة ساعة انصرافه........ وما أضفى بعض الرواة وأضفى المستشرقون والمبشرون عليها من أستار الخيال حتى جعلوها قصة غرام و وله، فالتاريخ الصحيح يحكم بأنها من مفاخر محمد أنه، وهو المثل الكامل للإيمان، قد طبّق فيها حديثه الذي معناه: لا يكمل إيمان المرء حتى يحبّ لأخيه ما يحب لنفسه؛ وقد جعل نفسه أول من يضرب المثل لما يضع من تشريع يمحو به تقاليد الجاهليّة وعاداتها، ويقرّ به النظام الجديد الذي أنزل اللّه هدى ورحمة للعالمين...... ثم يقول أفيبقى بعد ذلك أثر هذه الأقاصيص التي يكرّرها المستشرقون والمبشرون، ويردّدها موير وإرفنج وسبرنجر وفيل ودرمنجم ولا منس وغيرهم ممن تناولوا كتابة حياة محمد؟! ألا إنها شهوة التبشير المكشوف تارة و التبشير باسم العلم أخرى، والخصومة القديمة للإسلام خصومة تأصّلت في النفوس منذ الحروب الصّليبيّة، هي التي تملي على هؤلاء جميعا ما

يكتبون و تجعلهم في أمر أزواج النبي، و في أمر زواجه من زينب بنت جحش خاصة، يتجنون على التاريخ، و يتلمّسون أضعف الروايات فيه مما دسّ عليه و نسب إليه).[1]

إذن موقف الدكتور هيكل حسب رؤيته من درمنجم في دراسته للسيرة النبوية أنه كان في بعض الجوانب منصفاً وفي الجانب الآخر طاعناً في شخصية وسيرة النبي– ﷺ –.

ولكن موافقة الدكتور هيكل لإميل درمنجم في كثير من المواقف التي تستوجب التوقف عندها ،والتي كان من الواجب عليه أن يناقشها بموضوعية بعيداً كل البعد عن التبعية لأفكار المستشرقين، وما أدرجها في كتابه إلاّ وهو معتقد كل الاعتقاد بصحتها وصحة تفسيرها ومن هذه المواقف:

1- تبع الدكتور هيكل تحليل إميل درمنجم في حادثة الفيل و السبب في هلاك أبرهة وجيشه إلى العدوى والجدري الذي فتك بالجيش وأشار إميل إلى أنّ قصة الحجارة من سجيل التي رمتها الطير حافلة بالأسرار وكيف للبثور أن تصبح حجارة[2] يقول الدكتور هيكل:(كان وباء الجدريّ قد تفشى بالجيش و بدأ يفتك به؛ و كان فتكه ذريعا لم يعهد من قبل قطّ. و لعل جراثيم الوباء جاءت مع الريح من ناحية البحر، و أصابت العدوى أبرهة نفسه، فأخذه الروع و أمر قومه بالعودة إلى اليمن.

وفر الذين كانوا يدلّون على الطريق و مات منهم من مات. و كان الوباء يزداد كل يوم شدّة و رجال الجيش يموت منهم من يموت كل يوم بغير حساب. و بلغ أبرهة صنعاء و قد تناثر جسمه من المرض، فلم يقم إلا قليلا حتى لحق بمن مات من جيشه)[3].

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص435–441 وينظر اميل در منجم حياة محمد ص290 فصل زينب

[2] اميل درمنجم حياة محمد ص35 فصل عام الفيل

[3] محمد حسين هيكل حياة محمد ص75

2- موافقة الدكتور هيكل صراحة للمستشرقين في قصة شق صدر النبي عليه الصلاة والسلام وخاصة إميل در منجم الذي صرح بقوله (فالذي أراه أن هذه القصة نشأت عن قول القرآن: (ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك)وأن هذه العملية أمر باطني قام على تطهير ذلك القلب وتوسيعه ليتلقى رسالة الله عن حسن نية ويبلغها بإخلاص تام ويحتمل عبئها الثقيل، وأن أسطورة شق الصدر ذات مغزى فلسفي لما تشير إليه الدرنة السوداء من الخطيئة الأولى التي لم يعفَ منها غير مريم وعيسى ولما يدل عليه تطهير القلب من الورع الصوفي)[1].

وهذا ما أكده واعتقده الدكتور هيكل فبعد أن ساق رواية شق الصدر قال: (لا يطمئن المستشرقون و لا يطمئن جماعة من المسلمين كذلك إلى قصة الملكين هذه و يرونها ضعيفة السند...الخ).[2]

3- متابعة الدكتور هيكل لإميل درمنجم في قصة نزول جبريل على النبي –عليه الصلاة والسلام– في غار حراء وهو نائم فكلاهما يثبتان أنّ الوحي نزل على النبي وهو نائم.[3]

والذي كان من الواجب على الدكتور هيكل أن يبحث ويطلع على أصول هذه القصة لا مجرد تبعية لمستشرق أو خطأ مؤرخ، وهذا ما يقتضيه روح البحث العلمي والموضوعية والشفافية، لكن أصول البحث الإستشراقي هو الذي دفعه لإثبات واعتقاد هذه الرواية.

4- تابع الدكتور هيكل في فكرة إنكار المعجزات إميل درمنجم، وذلك أن إميل يرى أنّ كثيراً منها مختلق وموضوع على النبي عليه الصلاة والسلام ولم يقله هو بنفسه، وأنّ حياة النبي –ﷺ– يجب أن تكون بشرية خالية من أي شيء يخالف العقل.[1]

---

[1] إميل درمنجم حياة محمد ص48

[2] محمد حسين هيكل حياة محمد ص156

[3] ينظر إميل در منجم حياة محمد ص80

5- طعن كلا المؤلفين هيكل ودر منجم في صحيح البخاري وادعيا أن فيه أحاديث ينكرها العقل وأحاديث فيها شبه وميل للمذاهب وادعى إميل أنّ البخاري أضاف بعض الحكم والآراء المباركة من عند نفسه، واقتطف كذلك أقوالاً سلبية وإيجابية من التوراة والإنجيل ونسبها للنبي -ﷺ-.

لكن الدكتور هيكل فاق إميل في موقفه من البخاري إذ أنّ إميل رأى أن صحيح البخاري فيه من أدق الأقوال والأعمال المنسوبة للنبي -عليه الصلاة والسلام- مع ما يراه من أمور يجب الحذر منها مما أسلفنا ذكره، وموقف الدكتور هيكل أن كل ما تعلّق بسيرة محمد -ﷺ- يجب أن يعرض على القرآن، فما وافقه كان حقّا، و ما لم يوافقه لم يكن بحق وإن كان في البخاري أو غيره.[2]

6_ نقل الدكتور هيكل عن إميل منجم أموراً غريبة في قصة الإسراء والمعراج من مشاهد ادعى منجم أن النبي صلى الله عليه وسلم شاهدها وهو في هذه الرحلة،وسيأتي ذكرها في الفصل الرابع إن شاء الله .

إذن كان الدكتور هيكل متأثراً بالمستشرق إميل در منجم، فأكثر من النقل عنه ، ووافقه في ما نقل عنه ، وتبنى فكره في طريقة التحليل والعرض غالباً، لا بل يفوقه في بعض الأحيان ، وإن عارضه في بعض المواضع التي لا مدخل للبحث العلمي الحديث في مناقشتها وتحليلها .

ونقل هيكل كذلك عن المستشرق السير وليم موير في موضعين من كتابه أشرت في الفصل الأول إليهما، ولكنه لم يكن بذاك التأثير الذي تأثره بإميل در منجم .

---

[1] ينظر المرجع السابق ص9

[2] محمد حسين هيكل حياة محمد ص100

المطلب الثاني: تقويم كتاب إميل درمنجم (حياة محمد).

في تقديري لموضوع الاستشراق أنّ كل مستشرق اهتم في هذا الدين، إنما كان اهتمامه ليس بحثاً عن الحقيقة، وتجلية وتوضيحاً لشبهة تدور في ذهنه، وإنما لوضع الشبه وإيقاع الفتن وزرع الخلاف والطعن في هذا الدين ونبيه– ﷺ–، واختلاق الافتراءات والأكاذيب والتفسيرات الباطلة، وتزيين الأفكار البديلة.

وكتاب "حياة محمد" لدر منجم يستخدم صاحبه التلطف في دس السموم الفكرية بصورة خفية ومتدرجة، حتى يستسيغها المغزوّون وهم لا يشعرون، وقد يأخذونها وهم فرحون بحلاوة ما يرافقها من سم.

ولربما كان موقف إميل درمنجم من إخوانه المستشرقين الطاعنين المصرحين بقدحهم وشتمهم للنبي –عليه الصلاة والسلام –ليس موقفاً إنصافياً وإنما من باب أنه لا يصلح الطعن والقدح والشتم بشخصية النبي – ﷺ– مباشرة، لأن ذلك مدعاة لأن يكون هناك هجوم مضاد ودفاع مستميتً من المسلمين عن نبيهم –عليه الصلاة والسلام–، وهناك مجالات يمكن أن تطعن فيها بشخصية النبي محمد ﷺغير الذي ذكروه.

في تقديرٍ لكتاب حياة محمد لإميل درمنجم انه لم يكن منصفا مطلقا ،وإنما كان لطيفا في الطرح يثبت أموراً لا يمكن الولوج إليها بطرح شبهة أو تفسير باطل، وما أسلفت ذكره في المطلب الأول من الفصل الثالث هو بعض من كل مما طعن به في سيرة رسول الله – ﷺ –.

وقد جاء كتاب حياة محمد لإميل درمنجم بأربعة وعشرين فصلاً ومقدمة وهو باللغة الفرنسية قام بنقله إلى العربية الأستاذ عادل زعيتر ابتدأ هذا الكتاب بعد المقدمة بفصل سلمان الفارسي رضي الله عنه منتهياً بفصل موت النبي –ﷺ–.

ويمكن إجمال ما طعن فيه على شخص النبي- صلى الله عليه وسلم- وسيرته العطرة على النحو التالي:

1- ادعى أنّ الاسم الأصلي للنبي ﷺ هو "قثم" ثم غُير فيما بعد أو غير عند بعثته. [1]

وقد اقتنص إميل هذا الاسم وهذه الرواية التي لا سند لها من كتاب السيرة الحلبية يقول صاحبها (وفي الإمتاع لما مات قثم بن عبدالمطلب قبل مولد رسول الله ﷺ بثلاث سنين وهو ابن تسع سنين وجد عليه وجدا شديدا فلما ولد رسول الله -ﷺ- سماه قثم حتى أخبرته أمه آمنة أنها أمرت في منامها أن تسميه محمدا فسماه محمدا أي ولا مخالفة بين هذه الروايات على تقدير صحتها كما لا يخفى لأنه يجوز أن يكون نسى تلك الرؤية ثم تذكرها ويكون معنى سؤاله ما حملك على أن تسميه محمدا وليس من أسماء قومك أي لم استقر أمرك على أن تسميه محمدا)[2].

وهذه رواية لا سند لها وقد أشار صاحب كتاب الإمتاع الذي أشار له صاحب كتاب السيرة الحلبية أن من كنى النبي عليه الصلاة والسلام أبو قثم[3] وليس اسمه قثم كما ادعى الحلبي، وكذلك هذه الكنية ليس لها سند يعتمد عليه.

2- افترى على رسول الله ﷺانه كان يتحنث قبل البعثة على طريقة عباد النصارى ونساكهم، وأنه مال إلى دين النصارى وأحبه ولكنه كان قليل الإطلاع على النصرانية مع صياغة قبيحة تدل على سوء الأدب مع النبي ﷺ.[4]

---

[1] ينظر اميل درمنجم حياة محمد ص12

[2] علي بن برهان الدين الحلبي 131/1

[3] تقى الدين أحمد بن على المقريزى إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع 5/1

[4] ينظر اميل درمنجم حياة محمد ص71-75 والكلمة التي قالها بدل قليل سيء الاطلاع

وكذلك ادعى بعض المستشرقين اليهود أن الإسلام امتداداً لليهودية قال عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني (ويلاحظ أن المستشرقين اليهود – أمثال "جولدتسيهر" و"شاخت" – هم أشد حرصاً على ادعاء استمداد الإسلام من اليهودية وتأثيرها فيه.

أما المستشرقون المسيحيون فيجرون وراءهم في هذه الدعوى، إذ ليس في المسيحية تشريع يستطيعون أن يزعموا تأثر الإسلام به، وأخذه منه، وإنما في المسيحية مبادئ أخلاقية وبعض تعديلات تشريعية، زعموا أنها أثرت في الإسلام، ودخلت عليه منها، وقد يعممون من غير أي أصل يستندون عليه)[1].

ويقول الأستاذ أنور الجندي: (إن القول بأن مصادر النبي ﷺفي القرآن هي التوراة والإنجيل من المسائل التي يكاد الاستشراق يجمع عليها ويرددها من كانوا من مستشرقي اليهود أو النصارى والواقع أن هذا الاتهام باطل بدليل واحد أن مفهوم القرآن للتوحيد يختلف عن مفهوم التوراة المكتوبة بأيدي الأحبار أو الأناجيل الموجودة في أيدي الناس الآن فقد دعا النبي ﷺوحمل القرآن لواء الدعوة إلى التوحيد المطلق، كما يقول الدكتور عبد الجليل شلبي: إله العالم كله واحد. إله مجرد من المادة وعن التركيب. كان الإله عند اليهود (يهوه) وهو إلههم وحدهم وقد ظلوا على ذلك ردحاً من الزمن حتى جاء النبي (إليجا) أول من جهر بأنه إله العالم كله وظهر بشيء غريب أيضاً على اليهود هو أن حكم الله يجري على الملوك كما يجري على أبناء الشعب ولهذا لم تكن الديانة اليهودية موحدة بالمعنى الحقيقي وإنما كانت ديانة توحيد بالنسبة لجيرانها فقد كان لدى الآخرين آلهة متعددة للزرع والمطر والخصوبة والنجوم كل له إله خاص، وإذن فالتوحيد الإسلامي نوع فريد في كل ما أعلن من صفات الله خالق الكون سبحانه.

---

[1] عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني اجنحة المكر الثلاثي ص120

وكذلك إن القرآن لم يذكر قط قصص الإسرائيليين بل ذكر قصص داود وصالح والخضر وشعيب وسبأ، أما الكتاب المقدس فقد اقتصر على ذكر شعيب المختار وتاريخه وهو لم يتم بوضعه الحالي إلا بعد القرن الثاني الميلادي.

ولأنهم ينكرون الوحي السماوي فإنهم يبحثون عن مصدر معلومات القرآن ولا يزالون مختلفين. قال مونتجمري وآت: إن محمداً نال معلومات ممتزجة من اليهودية والمسيحية معاً، وبذل جهداً واسعاً في سبيل الاستدلال على ذلك، كذلك فعل (درمنجم) ولكن الوقائع في المقارنة بين القرآن من ناحية وبين التوراة والإنجيل تكذبهم في هذا الإدعاء العريض).[1]

3- ادعى أن القران المعجزة الوحيدة التي كانت للنبي ﷺقال إميل درمنجم (والقرآن هو معجزة محمد ﷺالوحيدة، فأسلوبه المعجز وقوة أبحاثه لا تزال.. إلى يومنا يثيران ساكن من يتلونه، ولو لم يكونوا من الأتقياء العابدين، وكان محمد – ﷺ– يتحدى الإنس والجن بأن يأتوا بمثله، وكان هذا التحدي أقوم دليل لمحمد على صدق رسالته.. ولا ريب أن في كل آية منه، ولو أشارت إلى أدق حادثة في حياته الخاصة، تأتيه بما يهزّ الروح بأسرها من المعجزة العقلية، ولا ريب في أن هنالك ما يجب أن يبحث به عن سرّ نفوذه وعظيم نجاحه[2]).

4- أراد أن يثبت أن النبي عليه الصلاة والسلام مخلص في رسالته ومن شدة إخلاصه كان كثير الهفوات والأخطاء التي كان يصححها الله له فقال:(إن قوة عبقرية محمد الإنشائية واتساعها، وذكاءه العظيم ونظره الصائب إلى الحقائق، وسيادته لنفسه، وقوة إرادته، وحكمته واستعداده للعمل، وحياته الواقعية، كل ذلك يجعل الزيف في مبدأ رسالته يستحيل القبول. فكيف يتصور أن ينقلب كاذبا فجأة، ذلك الذي كان نجاحه يظهر له كبرهان ساطع على تأييد الإله لدعواه،

---

[1] أنور الجندي الاستشراق ص8

[2] اميل درمنجم حياة محمد ص 271

وكيف يمكن أن يجرأ على تشويه رسالته في الوقت الذي كان يرى فيه أنها مقدسة مؤيدة من الإلـه...وكانت هفوات النبي نفسها تدل على أن عظمته الحقيقة أتته من الله ومن وحي الله إليه، فلولا الله لشعر بأنه أعزل ضعيف).[1]

5- وظف موضوع الثقل الذي كان يشعر به النبي ﷺوقت نزول الوحي عليه بالآلام الكبيرة الشديدة ويستخدم المراهم للتخفيف عن نفسه يقول إميل:("كان لمحمد صلى الله عليه وسلم بالوحي آلام كبيرة.. وحالات مؤثرة كره أن يطلع الناس عليها، ولاحظ أبو بكر (رضي الله عنه) ذات يوم، والحزن ملء قلبه، بدء الشيب في لحية النبي– ﷺ– فقال له النبي: (شيّبتني هود وأخواتها: الواقعة والحاقة والقارعة). وكان النبي– ﷺ– يشعر بعد الوحي بثقل في رأسه فيطبه بالمراهم، وكان يدثر حين الوحي فيسمع له غطيط وانين. وكان إذا نزل الوحي عليه يتحدر جبينه عرقاً في البرد).[2]

6- طعن في كتاب الله عزّ وجل وفي آياته وأن ما انتهى إليه في نظرته إلى كتاب الله عزوجل أنه غير مرتب ولا يوجد فيه ارتباط بين آياته ولم يدون القرآن إلاّ بعد سبعين سنة.

يقول:(كان محَمَّد، وهو البعيد عن إنشاء القرآن وتأليفه ينتظر نزول الوحي أحيانًا على غير جدوى، فيألم من ذلك، كما رأينا في فصل آخر، ويودُّ لو يأتيه المَلَكُ متواترًا.

واظهر ما في آيات القران التي انتهت إلينا هو عدم الترتيب وعدم الارتباط....)[3]

7- ادعى أنّ ترتيب القران من حيث السور لم يكن منطقيا بل وضعت الآيات التي وجدت بعضها بجانب بعض، وفتح القران بأطول السور...[4]

---

[1] المرجع السابق ص273

[2] المرجع السابق ص275

[3] اميل درمنجم حياة محمد ص277

[4] المرجع السابق ص278

وفي نهاية هذا المبحث يظهر جلياً أن في كل فصل من الفصول وكل صفحة طعناً من الطعون التي افتراها على نبي الله وسيرته العطرة مما يصعب حصرها، وهذا أبرز ما طعنه وأخطرها ،وهناك الكثير التي يجب التوقف عندها لخطورتها والتي كان ظاهرها مدحاً للرسول الله عليه الصلاة والسلام وفي باطنها قدح وذم للسيرة النبوية.

ومما يذكر له من إنصافه وخلو كلامه من أي طعن خفي في شخص النبي- ﷺ- ما قاله: (وهكذا نهض محمد رسول الإسلام ليدعو بني جنسه إلى دين واحد هو دين الإله الواحد، وليوقظ جزءا من آسيا وأفريقيا، وليحرر من عبودية الجامدين كل الذين يفهمون رسالته الحقيقية، ولكي يحرر فارس التي كان النعاس يشملها، ولينعش المسيحية الشرقية التي شوهتها المجادلات البيزنطية الخالية من الحماسة، ومن الاعتقاد المجرد من الوحدة).[1]

ولكن أيضاً في كلامه هذا إشارة خفية إلى إنكار عالمية الإسلام وتشويهها، وذلك من خلال إشارته الى المناطق التي أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعوها إلى الإسلام ، وكذلك دعوة أبناء جنسه إلى هذا الدين

ويقول كذلك: (كان محمد ﷺيعد نفسه وسيلة لتبليغ الوحي، وكان مبلغ حرصه أن يكون أمينا مصغياً أو سجلاً صادقاً أو حاكياً معصوماً لما يسمعه من كلام الظل الساطع والصوت الصامت للكلام القديم على شكل دنيوي، لكلام الله الذي هو أم الكتاب، للكلام الذي تحفظه ملائكة كرام في السماء السابعة. ولا بد لكل نبي من دليل على رسالته، ولابد له من معجزة يتحدى بها..).[2]

---

[1]اميل درمنجم حياة محمد ص 270

[2] المرجع السابق ص271

المبحث الثاني

كتب السيرة وتقويمها، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: السيرة النبوية لابن اسحاق تقويم الكتاب، وكيف تعامل هيكل معه ومدى أخذه منه.

المطلب الثاني: السيرة النبوية لابن هشام تقويم الكتاب، وكيف تعامل هيكل معه ومدى أخذه منه.

المطلب الثالث: المغازي للواقدي وتقويم الكتاب، وكيف تعامل هيكل معه ومدى أخذه منه.

المطلب الرابع: تاريخ الأمم والملوك للطبري وتقويم الكتاب، وكيف تعامل هيكل معه ومدى أخذه منه.

المطلب الأول: السيرة النبوية ابن اسحاق تقويم الكتاب، وكيف تعامل معه ومدى اخذ هيكل منه.

اعتنى الدكتور محمد حسين هيكل بكتاب السيرة النبوية لابن إسحاق وملخص هذا الكتاب لابن هشام، وصرح هيكل في أكثر من موضع من كتابه نقله عنه وأحيانا لم يكن يصرح بنقله عنه، وتقسيم كتاب "حياة محمد" تابع لتقسيم سيرة ابن اسحاق في الغالب، وكذلك إيراده الأخبار والأحداث نقلا عن ابن إسحاق أو من نقل عن ابن اسحاق.

ابن اسحاق

قبل الخوض في الحديث عن تقويم كتاب السيرة النبوية لابن إسحاق سأورد تعريفاً موجزاً لاسم ابن إسحاق وحياته وشيوخه وتلاميذه وأقوال العلماء فيه.

هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار القرشي، المطلبي مولاهم، المدني.[1]

موقف العلماء منه

تباينت أقوال العلماء في ابن إسحاق إلى موقفين هما:

1- الموقف الأول المتهم له بالكذب والدجل والتشيع ويمثل هذا الموقف الإمام مالك بن أنس، وهشام بن عروة بن الزبير، قال الذهبي:(وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثنا أبو بكر بن خلاد الباهلي، سمعت يحيى بن سعيد يقول:سمعت هشام بن عروة يقول: تحدث ابن إسحاق عن امرأتي فاطمة بنت المنذر، والله إن رآها قط. قلت: هشام صادق في يمينه، فما رآها، ولا زعم الرجل أنه رآها، بل ذكر أنها حدثته، وقد سمعنا من عدة نسوة، وما رأيتهن.وكذلك روى عدة من التابعين عن عائشة، وما رأوا لها صورة أبدا. قال عبد الله بن أحمد: فحدثت أبي

[1] ينظر شمس الدين الذهبي سير أعلام النبلاء 44/13 والزركلي الاعلام 28/6 وابن سيد الناس عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير 15/1 والكامل في الضعفاء ابن عدي 102/6

بحديث ابن إسحاق، فقال: ولم ينكر هشام؟ لعله جاء، فاستأذن عليها، فأذنت له -يعني: ولم يعلم-.... ثم قال: وقال مالك، وذكره، فقال: دجال من الدجاجلة).[1]

ورد ابن سيد الناس على الطعون الموجهة لابن اسحاق باستفاضة على طريقة المحدثين ويرد أحيانا بما لا داعي له.[2]

2- الموقف الثاني المعدل له و لحديثه ويمثل هذا الاتجاه الإمام الزهري وابن المديني والشافعي يقول الزهري عنه: لا يزال بالمدينة علم جم ما دام فيهم ابن إسحاق.

وقال الشافعي: من أراد أن يتبحر في المغازي، فهو عيال على محمد بن إسحاق.

قال الذهبي :(وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء، لأشياء منها: تشيعه، ونسب إلى القدر، ويدلس في حديثه، فأما الصدق فليس بمدفوع عنه).[3]

فهذه جملة من أقوال أهل العلم ممن وثقوه وأثنوا عليه، وعبارة الذهبي هي أرجح ما قيل فيه ،وهي خلاصة أقوال العلماء بعد عرضها وموازنتها ومناقشتها.

روى له الإمام مسلم في صحيحه مقرونا بآخر، وأخرج له أصحاب السنن الأربعة، وأخرج له الإمام االبخاري في صحيحه تعليقا.[4]

تقويم الكتاب

ينقسم كتاب ابن إسحاق إلى ثلاثة أقسام وهي:

1- قسم المبدأ منذ زمن آدم عليه السلام وإلى زمن ما قبل ولادة النبي- ﷺ-، واعتمد في إيراد الأخبار على مصادر إسرائيلية وكان يروي هذه الروايات عن وهب بن منبه وكعب الأحبار

---

[1] الذهبي سير أعلام النبلاء 46/13

[2] ابن سيد الناس عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير 15/1 وما بعدها

[3] الذهبي سير أعلام النبلاء وقال أيضا(وقال العجلي: مدني، ثقة. وقال النسائي، وغيره: ليس بالقوي. وقال أبو زرعة: هو صدوق. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه.13)/46 وما بعدها

[4] فاروق حمادة مصادر السيرة النبوية وتقويمها ص89

وغيرهما ممن دخلوا في الإسلام من اليهود والنصارى، وعرض كذلك في هذا الكتاب لتاريخ القبائل العربية، ويندر أن تجد في هذا الجزء أخبارا يرويها بسنده.[1]

2- القسم الثاني المبعث وفي هذا القسم يورد سيرة النبي– ﷺ– وهجرته، وينفرد في هذا القسم بإيراد المعاهدة التي كتبها النبي عليه الصلاة والسلام بينه وبين اليهود والمشركين في المدينة ويتميز هذا القسم بما يلي:

- الغالب في هذا القسم أنه يروي الأحداث بأسانيده، وأحيانا يرسل بعض الأحداث ونادراً ما يسوق الخبر دون سند.
- يعتمد في معلوماته على مجهولين فيقول: (حدثني بعض أهل العلم)[2]، أو (حدثني بعض بني فلان)، أو (حدثني بعض أهل مكة)[3]، أو (حدثني من لا أتهم)[4]أو(زعم رجال من بني فلان).
- إذا شك في صحة الرواية عبر عن ذلك بقوله: (فيما يذكرون)[5]، أو (فيما يزعمون)[6].
- وإذا أورد أكثر من رواية ولم يستطع الترجيح ختم كلامه بقوله:(فالله أعلم أي ذلك كان)[7].
- يجمع الروايات أحياناً مع بعضها دون تمييز لها، ويقدم بذكر الأسانيد مجموعة، ويسوق ملخصها.[8]

---

[1] فاروق حمادة مصادر السيرة النبوية وتقويمها من ص 87– 92 وبحث الدكتور رياض هاشم هادي والدكتور نضال مؤيد مال الله منهجية ابن اسحاق في تدوين السيرة النبوية

[2] ابن اسحاق السيرة النبوية 91/2 و199/4 و301/3

[3] المرجع السابق 178/4 و182/4

[4] المرجع السابق 237/5 و314/3و315/3

[5] المرجع السابق 10/1

[6] المرجع السابق 1/1 و11/1و193/4 وغيرها في أكثر من 17 موضع

[7] المرجع السابق 22/1 و200/4

[8] المرجع السابق 314/3

- يستشهد بالآيات القرآنية، ويذكر أسباب النزول، ويشرح بعض المعاني في الآيات، وأحياناً يقدم بين يدي الروايات بتمهيد من عنده يلخص فيه الخبر، أو يبين سبب الحادثة التاريخية ونتيجتها.
- إلا أن دمجه للروايات وجمع الأسانيد وسياقها مساقاً واحداً دون تمييز ألفاظ الرواة لقي نقداً من نقاد الحديث، لأنه يجمع بين رواية الثقة وغير الثقة ويسوقها مساقاً واحداً، دون أن يميز بين الحروف وألفاظ الرواة، فيختلط قول الثقة مع غيره.
- وقد تفرد ابن إسحاق بروايات منها الصحيح ومنها الضعيف.
- كما أن له روايات شاذة خالف بها الروايات الصحيحة مثل ما أورده من أن القراء الذين قتلوا في بئر معونة أربعون رجلاً، والذي في صحيح البخاري أن عددهم سبعون. 1
- ومثل قوله: إن أصحاب الحديبية سبعمائة، والذي في الصحيحين أنهم ألف وأربعمائة.
- وخالف ابن إسحاق البخاري في أن عدد أصحاب الرجيع كانوا ستة بيد أنّ البخاري روى بإسناده المتصل أنّ عددهم كان عشرة.2
- يهتم ابن إسحاق بتحديد أسماء متعلقة بالنبي - ﷺ-مثل إخوانه من الرضاعة[3]، ويهتم كذلك بتحديد أماكن الغزوات والمواضع التي نزل بها النبي ﷺ، واهتم بالتواريخ الزمنية المتعلقة بالغزوات وغيرها.
- اهتم بالأنساب عامة وما يتعلق بالصحابة خاصة مثل أنساب الأنصار والصحابيات وأمهات المؤمنين.

---

[1] صحيح البخاري 1500/4 باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة وحديث عضل والقارة وعاصم بن ثابت وخبيب وأصحابه

[2] المرجع السابق نفس الصفحة.

[3] ابن اسحاق السيرة النبوية 25/1

- اهتم بالأعداد عامة وخاصة مثل أعداد من حضر بالغزوات ومن استشهد ومن هاجر إلى الحبشة والى المدينة وغيرها.
- استخدم ابن إسحاق لغة سهلة واضحة مفهومة، وكان لا يستخدم الألفاظ الغريبة ليسهل إيصال المعلومة بسهولة إلى القارئ.[1]
- لم يهمل ابن إسحاق إيراد الغيبيات والمعجزات بشكل غير مفصل في أعقاب الحوادث العامة.
- أورد كثيرا من الأشعار أنكرها العلماء ومن العلماء الذين أنكروا عليه مهذب سيرته ابن هشام رحمه الله تعالى إذ يقول: (وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البَكّائي – شيخ ابن هشام وأحد رواة السيرة عن ابن إسحاق – بروايته)[2]

3- القسم الثالث المغازي ويورد فيه غزوات النبي – ﷺ– وما يتعلق بها وهو يستخدم الأسلوب نفسه في قسم المبعث المتعلق بالأسانيد وبغيرها.[3]

أما ما يتعلق بالمبدأ فلا يضر السيرة النبوية شيء إذا أصاب أو اخطأ، لأنها أخبار من مضى.[4]

وما أورد من أخبار في القسم الثاني والثالث مصدراً بالأسانيد إن كان موافقا لما عند غيره من المحدثين فمقبول وما خالف فيه فمردود، وما انفرد فيه بأخبار مصدرا بالأسانيد فيعتمد عليه ويقبل بعد التحقق من عدالة الرواة مع أنه هو في نفسه ثقة قال ابن حجر:

(والحكم بكون الذي في السير أثبت مما في الصحيح مردود ولا سيما مع إمكان الجمع)[1].

---

[1] الدكتور رياض هاشم هادي والدكتور نضال مؤيد مال الله منهجية ابن اسحاق في تدوين السيرة النبوية ص46

[2] ابن هشام السيرة النبوية ص5

[3] فاروق حمادة مصادر السيرة النبوية وتقويمها من ص 87– 92 وبحث الدكتور رياض هاشم هادي والدكتور نضال مؤيد مال الله منهجية ابن اسحاق في تدوين السيرة النبوية

[4] المرجع السابق الأول ص90

ويقول الخطيب البغدادي: (أخبرنا أبو عمر بن مهدي فيما أجاز لنا روايته عنه قال أنبأنا محمد بن أحمد بن يعقوب قال أنبأنا جدي قال سمعت محمد بن عبد الله بن نمير وذكر بن إسحاق فقال إذا حدث عمن سمع منه من المعروفين فهو حسن الحديث صدوق وإنما أوتي من أنه يحدث عن المجهولين)[2]وقال أيضا :(كانوا يطعنون عليه بشيء من غير جنس الحديث).

ويبدو لي انه يقصد تحديثه عن أهل الكتاب لان السير غالبا كان يرويها بالسند، وقد يكون كما قال الذهبي التشيع والقدر والله أعلم .

وبهذا المنهج يحاول ابن إسحاق أن يجمع بين منهج المحدثين القائم على الأسانيد ومنهج الإخباريين المتحررين من الالتزام بالأسانيد، ولعل هذا من أسباب القبول الذي لقيته سيرته لدى العامة والعلماء.

واختم هذا بقول الإمام ابن عدي وهو من هو في نقد الرجال إذ يقول:

(ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن كتب لا يحصل منها شئ فصرف أشغالهم حتى اشتغلوا بمغازي رسول الله ﷺومبتدأ الخلق ،فهذه فضيلة لابن إسحاق سبق بها ثم بعده صنف قوم آخرون ولم يبلغوا مبلغ ابن إسحاق فيه وقد فتشت أحاديثه الكثيرة فلم أجد في أحاديثه ما يتهيأ أن يقطع عليه بالضعف وربما أخطأ أو وهم في الشئ بعد الشئ كما يخطئ غيره ولم يتخلف عنه في الرواية عنه الثقات والأئمة وهو لا بأس به)[3]

وفي تقديري لكتاب السيرة النبوية لابن اسحاق أرى أن له أهميته البالغة في سيرة النبي صلوات الله عليه وسلامه، فقد اشتمل على جملة من الأحداث التي كانت مصدراً خصباً لأحداث السيرة النبوية ، والتي اعتمد عليها علماء الأمة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ابن

---

[1] ابن حجر فتح الباري 431/7

[2] الخطيب البغدادي تاريخ بغداد 227/1

[3] ابن عدي الكامل في ضعفاء الرجال 112/6

اسحاق كغيره من المحدثين والإخباريين ينقلون أحداث السيرة النبوية بالأسانيد دون حكم على الرواية التي يوردونها ، ولكن كلام الأئمة كابن عدي يُشعر بالارتياح من هذا الكتاب فيما أورد والله أعلم.

وكيف تعامل الدكتور هيكل مع كتاب السيرة النبوية ومدى أخذه منه

كان موقف الدكتور هيكل من كتاب السيرة النبوية لابن إسحاق متباينا، فما يوافق(البحث العلمي الحديث) يأخذ به، بصرف النظر عن اتصال الإسناد أو انقطاعه أو الصحة أو الضعف أو المخالفة للصحيحين أو غيرها، وما يخالف البحث العلمي الحديث يطرحه وإن كان موافقا ومجمعا عليه عند الأمة جميعا.

وسأذكر بعض المواضع التي وافق فيها منهج الدكتور هيكل ما أورده ابن إسحاق وهي كما يلي:

- موافقته لابن إسحاق في قصة نزول الوحي على رسول الله -ﷺ- في غار حراء؛ إذ أن هيكل نقل عن ابن اسحاق ما أورده أن النبي عليه الصلاة والسلام نائم قال الدكتور هيكل: (و فيما هو نائم بالغار يوما جاءه ملك و في يده صحيفة)[1]....

ثم قال كذلك روت كتب السيرة الأولى، و عليه ابن إسحاق.[2] و كذلك روى كثير من المحدثين.

- وكذلك استشهاده في بيان عمر النبي -عليه الصلاة والسلام -حين وضع الحجر الأسود مكانه لأنّ هذا الشيء ليس فيه مخالفة لمنهج الدكتور هيكل يقول:(اختلف في سن محمد

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص188

[2] وهذا القول ثابت عن ابن اسحاق، قال ابن هشام (قال ابن إسحاق حدثني وهب بن كيسان قال قال عبيد.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءني جبريل وانا نائم بنمط..)ابن هشام السيرة النبوية 70/2،و قال ابن كثيربعد ايراد هذه القصة معلقا عليها (ويحتمل أن هذا المنام كان بعد ما رآه في اليقظة صبيحة ليلتئذ. ويحتمل أنه كان بعده بمدة.)ابن كثير السيرة النبوية403/1،

حين بناء الكعبة و حين حكمه بين قريش في أمر الحجر، فقيل: كان ابن خمس و عشرين، و قال ابن إسحاق: كان ابن خمس و ثلاثين.)[1]

وكذلك الحال في الاختلاف في يوم مولد النبي عليه الصلاة والسلام يقول هيكل: (كذلك اختلف في تاريخ اليوم من الشهر الذي- ولد فيه؛ فقيل: ولد لليلتين خلتا من شهر ربيع الأوّل، وقيل لثماني ليال، وقيل لتسع. والجمهور على أنه ولد في الثاني عشر من شهر ربيع الأوّل، وهو قول ابن إسحاق وغيره.)[2]

- يستشهد بقول ابن إسحاق في قصة شق صدر النبي عليه الصلاة والسلام وذلك أنه أورد روايتين في سبب إعادة حليمة السعدية النبي عليه الصلاة والسلام ليشكك بقصة شق صدر النبي عليه الصلاة والسلام يقول هيكل:(ويروى عن حليمة أنها قالت عن نفسها و زوجها.

«فخرجت أنا و أبوه نحوه، فوجدناه قائما ممتقعا وجهه، فالتزمته و التزمه أبوه، فقلنا له: مالك يا بنيّ؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقّا بطني فالتمسا فيه شيئا لم أدر ما هو». ورجعت حليمة ورجع أبوه إلى خبائهما. وخشي الرجل أن يكون الغلام أصابته الجن. فاحتملاه إلى أمه بمكة. ويروي ابن إسحاق في هذه الواقعة حديثا عن النبيّ بعد بعثه. لكن ابن إسحاق يحتاط بعد أن يقص هذه القصة ويذكر أن السبب في ردّه إلى أمه لم يكن حكاية الملكين وإنما كان، على ما روته حليمة لآمنة، أنّ نفرا من نصارى الحبشة رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه، فنظروا إليه وسألوها عنه وقلّبوه ثم قالوا: لنأخذن هذا الغلام فلنذهب به إلى ملكنا و بلدنا؛ فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره؛ ولم تكد حليمة تنفلت به منهم.)[3]

وأما مخالفته لابن إسحاق فسأورد مثالا على ذلك وهو:

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص178

[2] محمد حسين هيكل حياة محمد ص154

[3] المرجع السابق ص156

- أراد أن ينكر بعضا من معجزات النبي – ﷺ– في غزوة تبوك ويثبت اختلافا بين الإمام مسلم وابن إسحاق قال الدكتور هيكل :(وقد وقع مثل هذا الاختلاف على ما حدث أثناء مسيرة جيش العسرة إلى تبوك؛ فقد روى مسلم[1] في صحيحه عن معاذ بن جبل أنّ النبي قال لمن سار معه إلى تبوك: إنكم ستأتون إن شاء اللّه غدا عين تبوك و إنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار: فمن جاءها منكم فلا يمسّ من مائها شيئا حتى آتي....)[2]

وبعد الرجوع إلى صحيح الإمام مسلم وسيرة ابن هشام الذي أورد هذه القصة عن ابن إسحاق يتبين لي أن ما أورده مسلم معجزة غير التي ذكرها ابن إسحاق، وليس اختلافا بين الروايات كما ادعى هيكل.

وما أنكر هاتين المعجزتين إلاّ لأنه ألزم نفسه حين كتب هذا الكتاب ألاّ يقبل أي معجزة، لأن الأخذ بالمعجزات عنده يخالف المنهج العلمي الحديث المقرر من الغرب الذي سلكه، وحاول أن يشكك الناس من خلال إيراده للقصة التي ذكرناها في موافقته لابن إسحاق في حادثة شق صدر النبي– عليه الصلاة والسلام– ويتبين أن ابن إسحاق لم يكن متشككا ولا مترددا في حادثة شق صدر النبي –عليه الصلاة والسلام– وإنما كان عنده سببان في إعادة حليمة السعدية للنبي –عليه الصلاة والسلام– إلى أمه.

ومن خلال اطلاعي على كتاب "حياة محمد" لهيكل تبين لي أنه لا يذكر عمن نقل الأخبار والأحداث إلا نادراً ، وما يذكره يكون في المتن لا في الهامش ، ومن خلال الدراسة تبين لي أن هيكل اعتمد على ما أورده في كتابه على كتاب السيرة النبوية لابن اسحاق والسيرة النبوية لابن هشام ولكنه لا يحيل إليهم غالباً .

[1] صحيح مسلم 60/7 باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

[2] محمد حسين هيكل حياة ص91

فعامة كتاب "حياة محمد" مأخوذ من السيرة النبوية لابن اسحاق وابن هشام ولكنه لا يصرح بالنقل عنهم .

المطلب الثاني: السيرة النبوية لابن هشام تقويم الكتاب، وكيف تعامل معه هيكل ومدى أخذه منه

اهتم الدكتور هيكل بكتاب السيرة النبوية لابن هشام اهتماماً فيه زيادة على كتاب السيرة النبوية لابن إسحاق، وذلك لأن ابن هشام حذف كثيرًا من الأخبار والأحداث التي يرى فيها هيكل أنها تخالف المنهج العلمي الغربي الذي اعتمده الدكتور هيكل.

ابن هشام هو عبد الملك بن هشام بن أيوب أبو محمد الذهلي العلامة، النحوي، الإخباري،، السدوسي – وقيل: الحميري – المعافري، البصري، نزيل مصر.[1]

هذب السيرة النبوية، وسمعها من زياد البكائي صاحب ابن إسحاق، وخفف من أشعارها، وروى فيها مواضع عن عبد الوارث بن سعيد، وأبي عبيدة، رواها عنه: محمد بن حسن القطان، وعبد الرحيم بن عبد الله بن البرقي، وأخوه؛ أحمد بن البرقي. وله مصنف في أنساب حمير وملوكها.[2]

هذب ابن هشام سيرة ابن إسحاق وبين منهجه فيها وطريقة عمله فيها رحمه الله تعالى.

وتقويم كتابه كما يلي:

- اختصر سيرة ابن إسحاق فأغفل ذكر ما جاء في المبدأ ولم يتعرض إلاّ لذكر نبي الله إسماعيل بن إبراهيم –عليهما السلام – ومن ولَد رسول الله– صلى الله عليه وسلم– من ولده وأولادهم لأصلابهم الأول فالأول من إسماعيل إلى –رسول الله صلى الله عليه وسلم –، وما يعرض من حديثهم، وترك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار.[3]

---

[1] الذهبي سير أعلام النبلاء 419/19، ابن خلكان: وفيات الأعيان 1: 365 ابن العماد: شذرات الذهب 2: 45، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر 2: 31، 32، السيوطي: بغية الوعاة 315، حاجي خليفة: كشف الظنون 318

[2] الذهبي سير أعلام النبلاء 419/19

[3] عبدالملك بن هشام السيرة النبوية 109/1

- ترك كل خبر لا يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له ولا شاهداً عليه.
- انتقد ابنَ إسحاق بحذف أشعار لم يقبلها العلماء، وكذلك حذف بعض الأخبار والأحاديث يشنع عليه فيها، وحذف بعض الأخبار التي لها علاقة بالحكام وذكر مساوئ بعض الناس.
- حافظ ابن هشام فيما يبدو على نص ابن إسحاق، وذلك أنه يقدم له بقوله: قال ابن إسحاق، ثم يورد نص كلام ابن إسحاق. ومثال ذلك (قال أبو محمد عبد الملك بن هشام حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي بهذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– إلى آدم عليه السلام وما فيه من حديث إدريس وغيره)[1].
- وإذا عقب عليه فإنه يفصل ذلك بقوله: قال ابن هشام. وإذا كان لديه رواية تخالف قول ابن إسحاق فإنه يسوقها بسنده هو ومثال ذلك (قال ابن هشام وحدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي عن شيبان ابن زهير بن شقيق بن ثور عن قتادة بن دعامة أنه قال: إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن تارح...)[2].
- وغالب إضافاته هي في تصحيح الأنساب، أو شرح بعض الجمل والاستشهاد لذلك بالشعر.[3]
- حدث عن المجاهيل واستخدم عبارة (وحدثني من أثق به من أهل الرواية في إسناد له).[4]

---

[1] عبدالملك بن هشام السيرة النبوية 106/1

[2] المرجع السابق نفس الصفحة

[3] ومثال ذلك في بيان عدد من شهد بدرا من الأوس فجميع من شهد بدرا من الأوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ثم من الأنصار ثم من الخزرج ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بني الحارث بن الخزرج ثم من بني امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج.......
ومن بني زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد قال ابن هشام ويقال جلاس وهو عندنا خطأ وأخوه سماك بن سعد رجلان المرجع السابق 247/3

[4] المرجع السابق 80/5

- روى أخباراً بأسانيده منها ما هو متصل و المنقطع ومعضل ومثال المعضل:(قال ابن هشام وحدثني أبو عبيدة عن أبي عمرو المدني قال لما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة أخذ منهم نحواً من أربعمائة رجل من اليهود وكانوا حلفاء الأوس على الخزرج فأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بأن تضرب أعناقهم فجعلت الخزرج تضرب أعناقهم ويسرهم ذلك فنظر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى الخزرج ووجوههم مستبشرة ونظر إلى الأوس فلم ير ذلك فيهم فظن أن ذلك للحلف الذي بين الأوس وبين بني قريظة ولم يكن بقي من بني قريظة خلا اثنا عشر رجلا فدفعهم إلى الأوس...).[1] فإنه أسقط ما بين أبي عمرو المدني والنبي صلى الله عليه وسلم.
- اهتم بإيراد الروايات والإكثار منها سواء من رواية ابن إسحاق أو من روايته هو بسنده.[2]

ومن خلال اطلاعي على كتاب السيرة النبوية لابن هشام اتضح لدي أن هذا الكتاب له من الأهمية ما يجعله من أهم كتب السير ، وإن كان اختصاراً لكتاب السيرة النبوية لابن اسحاق ، ولكن له فيه عمل واضح ومنهج دقيق قد يصل به أن يكون أفضل من كتاب ابن اسحاق ، لما حقق فيه وهذب وزاد على ما عند ابن اسحاق .

وكيف تعامل الدكتور هيكل معه ومدى أخذه منه.

كان موقف الدكتور هيكل في التعامل مع سيرة ابن هشام فيه زيادة اهتمام من سيرة ابن إسحاق.[3]

فيثني على ابن هشام بعدم إيراده لكثير من المعجزات التي وردت بالأسانيد الصحيحة وذكرها أهل السير غيره؛ إذ يقول:(فقديمها أقل رواية للخوارق من متأخرها. و ما ورد من الخوارق

[1] سيرة ابن هشام 327/3

[2] المرجع السابق 245/2

[3] محمد حسين هيكل حياة محمد ص24

في الكتب القديمة أقل بعدا عن مقتضى العقل مما ورد في كتب المتأخرين ، هذه سيرة ابن هشام أقدم السير المعروفة اليوم تغافل كثيرا مما ذكره أبو الفداء في تاريخه، و مما ذكره القاضي عياض في كتاب الشفاء، و مما ذكر في كتب المتأخرين جميعا. و كذلك الشأن في كتب الحديث و اختلافها؛ فبعضها يروي قصة من القصص، و بعضها يغافلها و بعضها يضعفها)[1].

يريد الدكتور هيكل أن يجعل ابن هشام هو المرجع الأهم الذي يجب أن يعتمد في إيراد المعجزات والغيبيات ، وكل ما ورد عند غيره يجب ينظر فيه ، ولو أنّ ابن هشام ذكر كل ما يتعلق بالمعجزات لكان له موقف آخر منه.

ومثال ذلك في الثناء عليه في ما نقل الدكتور هيكل عن ابن هشام في عدم إيراده معجزة حدثت مع رسول الله– صلى الله عليه وسلم– في هجرته على باب غار ثور من نسيج العنكبوت وبيض الحمامة أراد أن يشكك في ثبوتها بعدم ورودها عند ابن هشام في سيرته، يقول الدكتور هيكل :(على أن هذه المعجزة لم ترد في سيرة ابن هشام، بل كل ما أورد هذا المؤرخ في سياق قصة الغار ما يأتي: «عمدا إلى غار بثور– جبل أسفل مكة– فدخلاه و أمر أبو بكر ابنه عبد اللّه أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر..).[2]

وهذه الرواية مروية عند الإمام أحمد في المسند قال أحمد(حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر قال وأخبرني عثمان الجزري أن مقسما مولى بن عباس أخبره عن بن عباس : في قوله { وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك } قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي صلى الله عليه و سلم وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل أخرجوه فاطلع الله عز و جل نبيه

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص42

[2] المرجع السابق ص290

على ذلك فبات علي على فراش النبي صلى الله عليه و سلم تلك الليلة وخرج النبي صلى الله عليه و سلم حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبي صلى الله عليه و سلم فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا أين صاحبك هذا قال لا أدري فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل خلط عليهم فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل ها هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث ليال)[1]، وذكرها كذلك عبدالرزاق في المصنف .

وحينما يكون الأمر عند ابن هشام يخالف منهج الدكتور هيكل يضرب بكلامه عرض الحائط ويعرض عنه ويسوق الأدلة محاولة لإبطال ما ورد عن ابن هشام ويطالب ابن هشام بضرورة التحقيق وإعمال قواعد الجرح والتعديل.

ومثال ذلك حينما أورد ابن هشام أحاديث الإسراء والمعراج وذكر المعجزات في ذلك قام الدكتور هيكل بنقلها ثم عقب عليها بقوله:

(و أنت واجد في غير ابن هشام من كتب السيرة و في كتب التفسير أمورا أخرى غير هذه، و من حق المؤرخ أن يتساءل عن مبلغ التدقيق و التمحيص في أمر ذلك كله، و ما يمكن أن يسند منه إلى النبيّ بسند صحيح؛ و ما يمكن أن يكون من خيال المتصوّفة و غيرهم. و إذا لم يكن المجال ها هنا متسعا للحكم في ذلك أو لاستقصائه).[2]

[1] مسند احمد 342/1 مسند عبدالله بن عباس وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط☹ إسناده ضعيف. عثمان الجزري قال أحمد: روى أحاديث مناكير زعموا أنه ذهب كتابه وقال ابن أبي حاتم: سألت عنه أبي فقال ما أعلم روى عنه غير معمر والنعمان، وقد أخطأ الهيثمي وتابعه أحمد شاكر وحبيب الرحمن فظنوه عثمان بن عمرو بن ساج الجزري المترجم في التهذيب وقال ابن كثير في تاريخه: وهذا إسناد حسن ! وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار)، ومصنف عبدالرزاق 348/5 باب من هاجر الى الحبشه

[2] محمد حسين هيكل حياة محمد ص266

إذن كان الدكتور هيكل مكثراً في النقل عن ابن هشام ، وكان يتفاوت نقله عنه بحسب الموضوع فما يوافق المنهج العلمي الحديث يأخذ به ، وما يخالفه يرده بصرف النظر عن صحة إسناده أو ضعفه ، فالأمر راجع عنده إلى موافقة المنهج الذي تبناه في كتابه .

المطلب الثالث: المغازي للواقدي تقويم الكتاب، وكيف تعامل معه هيكل وأخذ منه.

من المراجع التي اعتمدها الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه "حياة محمد" المغازي للواقدي، وإن لم يكن بذلك الاهتمام الذي اهتمه بكتابي السيرة النبوية لابن إسحاق وابن هشام رحمها الله تعالى،وقد أبدى اهتمامه فيه.[1]

ولكنه ما أشار إليه من خلال مطالعتي لكتابه إلا في موضعين الموضع الأول منتقدا له ولغيره، يعيب على كتاب السير والمحدثين عدم دقتهم في رواية الأخبار والأحاديث، ويعيب عليهم عدم المصداقية في النقد فقد كانوا حسب رأيه يخافون من الخلفاء فلا يكتبون ولا يتكلمون إلاّ حسب رأي الخليفة، وبذلك يكون أصحاب السير غير موضوعيين لم يطبقوا المنهج الذي يجب عليهم فيه أن يعرضوا الخبر على القرآن فإن خالف ردَّ وإن وافق اعتمد، وهذا المنهج ذاته هو النقد العلمي الحديث الغربي حسب كلامه.[2]

والموضع الثاني الذي أشار فيه إلى الواقدي حين عرض لصلح الحديبية وذكر بنوده وذكر مدة الصلح واختلاف المؤرخين فيه يقول هيكل (ثم كتبت العهدة بين الطرفين و فيها أنهما تهادنا عشر سنين، في رأي أكثر كتّاب السيرة، وسنتين في قول الواقدي)[3]

من هو الواقدي ؟

هو محمد بن عمر بن واقد الأسلمي مولاهم الواقدي، المديني، القاضي، صاحب التصانيف والمغازي، العلامة، الإمام، أبو عبد الله، أحد أوعية العلم على ضعفه، المتفق عليه، ولد: بعد العشرين ومائة.[1]

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص37

[2] المرجع السابق ص 68

[3] المرجع السابق 382

قال الذهبي عنه: (وجمع فأوعى، وخلط الغث بالسمين، والخرز بالدر الثمين، فاطرحوه لذلك، ومع هذا، فلا يستغنى عنه في المغازي، وأيام الصحابة، وأخبارهم)[2]

وقال أبو زرعة: ترك الناس حديث الواقدي.

ولم يرو له في الكتب الستة إلا عند ابن ماجة قال الذهبي:(حدثنا ابن أبي شيبة، حدثنا شيخ لنا، فما جسر ابن ماجه أن يفصح به، وما ذاك إلا لوهن الواقدي عند العلماء).[3]

وقال الحافظ ابن حجر:(متروك مع سعة علمه).[4]

وكان هناك موقف آخر لبعض العلماء في توثيق الواقدي نقله الذهبي وتحمس ابن سيد الناس في الدفاع عن الواقدي في كتابه "عيون الأثر" ومما قاله: (وكثيراً ما انقل عن الواقدي من طريق محمد بن سعد وغيره أخبارا ولعل كثيرا منها لا يوجد عند غيره فإلى محمد بن عمر انتهى علم ذلك أيضا في زمانه)[5].

وفي الجملة فهو حجة في السير والمغازي والأنساب ، وضعيف في رواية الأحاديث النبوية.

تقويم كتاب المغازي للواقدي

- ومنهج الواقدي ربما يكون منفرداً عن غيره إذ أنه تتبع أماكن الغزوات وكان يسأل أهل الذين استشهدوا في الغزوات قال الواقدي:(ما أدركت رجلا من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا سألته هل سمعت أحدا من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل فإذا أعلمني

---

[1] الذهبي سير أعلام النبلاء 480/17 ابن خلكان وفيات الأعيان 348/4 وعبدالحي الحنبلي شذرات الذهب 18/2

[2] الذهبي سير أعلام النبلاء 481/17

[3] المرجع السابق نفس الصفحة

[4] ابن حجر العسقلاني تقريب التهذيب 498/2

[5] ابن سيد الناس عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير 27/1

مضيت إلى الموضع فأعاينه ولقد مضيت إلى المريسيع فنظرت إليها، وما علمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أعاينه أو نحو هذا الكلام).[1]

وقال ابن سيد الناس:(وقال ابن منيع سمعت هرون الفروى يقول رأيت الواقدي بمكة ومعه ركوة فقلت أين تريد قال أريد أن أمضى إلى حنين حتى أرى الموضع والوقعة، وقال إبراهيم الحربى:سمعت المسيبى يقول رأيت الواقدي يوما جالسا إلى اسطوانة في مسجد المدينة وهو يدرس فقلنا له أي شئ تدرس فقال حزبى من المغازى.).[2]

وقد أثنى الدكتور فاروق حمادة على منهج الواقدي في توثيقه للأخبار ، وطريقته في البحث عن المعلومة وما تفرد به عن غيره فيقول :

(وهذا منهج جد دقيق، فلا غرابة إذا تفرد بمعلومات دون غيره في هذا العلم الذي تخصص فيه،وكان يجلس في المسجد يقرئه الناس حزبا حزبا كما يقرئ غيره القران والحديث).[3]

- تفرد الواقدي بروايات في المغازي لم يروها احد إلا هو أوصلها بعضهم إلى الآلاف من الروايات، يقول ابن كثير عن هذه الزيادات:

(والواقدي عنده زيادات حسنة، وتاريخ محرر غالباً فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار وهو صدوق في نفسه مكثار).[4]

- ولكنه إذا خالف في ما أخرجه أصحاب الكتب الستة يرد.
- كان يسوق أكثر من رواية ذات الأسانيد المتعددة مدمجة ببعضها، على أسلوب ممتع سهل.

---

[1] المرجع السابق ص27

[2] ابن سيد الناس عيون الأثر ص27

[3] مصادر السيرة النبوية وتقويمها فاروق حمادة ص95

[4] ابن كثير البداية والنهاية 288/3

- مراعاة ترتيب تفاصيل الحادثة التاريخية، فيذكر أولا عنوانها، ثم يأتي على ذكر أميرها وتاريخها المحدد1.
- ذكر أسباب النزول حيث ضمن بعض الغزوات آيات من القرآن الكريم رافقت نزول الغزوة، ومن الأمثلة على ذلك: غزوة أحد، صلح الحديبية، غزوة تبوك.2
- استخدم بعض المقاطع الشعرية في بعض الأحيان.[3]
- الإكثار من إيراد عبارات (والثابت عندنا) (المجتمع عليه عندنا)، (القول الأول أثبت عندنا)، (الأمر المعروف عندنا)، وهذا في الواقع يبرز رأيه الصريح في تقويم الأخبار واختيار الأفضل منها.[4]

وقد كان جمع من أهل العلم يعتمدون على الواقدي في تحقيق كثير من مسائل السيرة النبوية والمغازي أمثال ابن حجر وقد قال (وفي مغازي الواقدي أن أول صدقة موقوفة كانت في الإسلام أراضي مخيريق (بالمعجمة مصغر) التي أوصى بها إلى النبي ﷺ فوقفها النبي ﷺ)[5]

ومن خلال اطلاعي على هذا الكتاب ، وأقوال أهل العلم فيه خاصة، تبين لي أهمية هذا الكتاب من حيث هو أولاً ، والمادة التي حواها إذ أنه تميز بمنهج غاية في الدقة من حيث التحري والتفتيش عن المعلومة لديه من خلال الوقوف على موقع الحدث ، وأشخاصها أو من يخصهم ، مما يجعله ذا أهمية بين كتب السيرة النبوية ، ومن خلال وقوفي على كلام نقاد الحديث ورأيهم فيه يتبين لدي أن الحكم على كتابه فيما يأتي :

---

[1] الواقدي المغازي ج 1 ص 12 . 13

[2] المرجع السابق المغازي ج 1 ص 329 / ج 2 ص 618 / ج 3 ص 1022 . 1060

[3] المرجع السابق ج 1 ص 185 . 187 / ج 3 ص 955 . 956

[4] ينظرالدكتور عبدالعزيز بن سليمان بن ناصر السلومي الواقدي وكتابه المغازي منهجه ومصادره ص 170 وما بعدها ط1 الجامعة الإسلامية

[5] ابن حجر فتح الباري 402/5

أ- ما أورد في كتابه من أخبار السيرة النبوية وأخبار الصحابة والمغازي والفتوحات فأنه يقبل منه ويعتمد عليه ، إلا إذا خالف غيره ممن هو أوثق منه .

ب- ما أورد في كتابه من الأحكام الفقهية والأحاديث النبوية فيقارن بغيره فان كان موافقاً يؤخذ به وإلا فيرد .

المطلب الرابع: تاريخ الأمم والملوك للطبري وتقويم الكتاب، وكيف تعامل معه هيكل وأخذ منه.

أبدى الدكتور هيكل اهتماماً بكتاب تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري في أكثر من موضع من كتابه لاحتواء الكتاب على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من جملة موضوعات الكتاب، وكان موقف الدكتور هيكل من كتاب تاريخ الأمم والملوك كموقفه من كتاب الواقدي وكتاب ابن هشام وابن إسحاق، وهذا الموقف قائم على أن الخبر إذا خالف المنهج العلمي الحديث من وجهة نظره يرد مهما كانت صحته، وإذا وافق الخبر المنهج العلمي الحديث يقبل مهما بلغت درجته في الضعف وإن كان موضوعا.

من هو الطبري ؟

الطبري: هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، وقيل: يزيد بن كثير بن غالب: مؤرخ،مفسر ،محدث،مقرئ،فقيه،أصولي، من أكابر الأئمة المجتهدين.ولد في آمل عاصمة إقليم طبرستان[1] فنسب إليها ، في أواخر سنة 224 أو أول سنة 225هـ.[2]

أثنى عليه الذهبي[3] وابن عساكر والخطيب البغدادي[4]،وابن كثير وياقوت الحموي وغيرهم الكثير من أهل العلم؟

تقويم كتاب تاريخ الأمم والملوك

يهتم كثير من الكتاب المعاصرين في التاريخ عامة وسيرة رسول لله صلى الله عليه وسلم خاصة في النقل من كتاب "تاريخ الأمم والملوك" للإمام ابن جرير الطبري يظنّون أن إيراد الطبري لخبر من الأخبار كاف لتحميل هذا الإمام مسئولية الخبر الذي أورده، واعتباره هو المصدر لهذا

---

[1] وطبرستان تقع جنوبي بحر قزوين

[2] الذهبي سير أعلام النبلاء 300/27

[3] الذهبي سير أعلام النبلاء 301/27

[4] الخطيب البغدادي تاريخ بغداد 163/2

الخبر، وأن الأخبار التي يوردها سواء كلها في ميزان الصحة عنده، وأن عزوهم الخبر إلى الطبري ودلالتهم على موضعه من تاريخه تتم بها مهمتهم في الاستدلال، وتبرأ بذلك ذمتهم من عهدة هذا الخبر، ويبقى الطبري هو المتحمّل لمسئولية ما يترتب على ذلك في الحكم على أحداث التاريخ وعلى أقدار رجاله وتصرفاتهم.

فإن هذا الفهم الذي توصل إليه كثير من المعاصرين لا يغني عنهم شيئا، ذلك أنّ هذا العالم أشار في مقدمته انه لم يحقق كل ما ورد في الكتاب من أخبار إنما العهدة على الذين رووا له هذه الأخبار وعلى القارئ أن يحقق ويدقق قال ابن جرير:

(وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه دون ما أدرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أنباء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم إلا بإخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا)[1]

- اعتمد الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك على مصادر لها قيمتها العلمية ووزنها عند العلماء المحققين فمنها كتاب "المغازي" لمؤرخ المدينة موسى بن عقبة ألأسدي المتوفي سنة 140 هـ، وهو الذي يقول فيه الإمام مالك: "عليكم بمغازي ابن عقبة فإنه ثقة، وهي أصح

---

[1] أبو جعفر الطبري تاريخ الأمم والملوك 13/1

المغازي".[1] وابن عقبة من تلاميذ عروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص الليثي. ومن طبقة تلاميذه العراقيين سيف بن عمر التميمي الكوفي المتوفى بعد سنة 170 هـ،.[2]

ومن خلال عدد من المؤرخين استمدّ أبو جعفر الطبري معلوماته في تاريخه بما سجله وحفظه من جهود شيوخه وشيوخ شيوخه ومن سبقهم إلى زمن التابعين والصحابة، فلم يترك مهماً من أخبار سلف الأمة مما أُثِر عن الأئمة الذين سمَّيْنا بعضهم إلا وقد دوّن طرفاً منه، ناسِباً كل خبر إلى صاحبه وإلى من يرويه عنهم صاحب ذلك الخبر من شيوخه وأسلافهم.

- ولكنه مع ما نقل عن العلماء المعتبرين المثقلين في ميزان الجرح والتعديل اعتمد في نقله على بعض الوضاعين والمتهمين والضعفاء في نقله للأخبار مثل أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي الذي قال فيه الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال: "إخباريٌّ تالف لا يوثَق به، تركه أبو حاتم وغيره. وقال ابن معين: ليس بثقة. وقال مرة: ليس بشيء. وقال ابن عدي: شيعي محترق صاحب أخبارهم. مات قبل السبعين ومائة"[3].

فقد نقل الطبري من أخباره في مئات المواضع.

وهذا أنموذج واحد فقط من بين المئات الذين حدث عنهم واعتمد عليهم الطبري في تاريخه ممن طعنوا وجرحوا، ولا يمكن الوثوق بخبر في تاريخ الطبري إلاّ بعد الرجوع إلى أقوال العلماء المختصين بالنقد والعلل والجرح والتعديل لمعرفة رأيهم في رجال إسناد الخبر الوارد في تاريخ الطبري، وكذلك مقارنة الأخبار التي عنده بما عند أهل الحديث من الصحاح والمسانيد والمستخرجات وغيرها.

---

[1] الذهبي سير أعلام النبلاء 141/11

[2] الطبري تاريخ الأمم الملوك 141/1

[3] انظر الذهبي ميزان الاعتدال 419/3

-نقل الروايات المتداولة في عصره فيما يخص أخبار السابقين في تاريخ الأمم السابقة وتاريخ المسلمين قبل عصره.[1]

-واتسم هذا النقل بتعدد الروايات والعناية بالسند والعنعنة مثل ما كان سائدا في علم الحديث أي يقول " حدثنا فلان عن فلان عن فلان ".

-الروايات التي نقلها الطبري عن خلق العالم والأمم السابقة، وخصوصاً الفراعنة تمتلئ بالخرافات وفيها خطأ كبير[2]، ولا يعيب هذا الطبري في شيء،لأنه أوضح منهجه هو تدوين الروايات دون نقدها و التمييز بينها من حيث الصحة و الخطأ، ولأن هذا النقل للروايات المتداولة في عصر الطبري يتيح لنا الحكم على ثقافة العصر وتصوراته وأفكاره عن السابقين. [3]

-وما يتعلق بتاريخ ما شاهده وكان حاضرا لم ينقل بالسند والعنعنة وفى سنة 251 كان الطبري شاباً معاصراً للأحداث وكان ينقل من خلال المشاهدة والمعاينة وليس عن طريق الروايات والإسناد والعنعنة، ومع ذلك استطرد في رصد أحداث ذلك العام الذي شهد صراعات مختلفة في داخل عاصمة الخلافة العباسية ومحاولات لخلع الخليفة المستعين وأسهب الطبري في تسجيل أحداث هذا العام حتى ملأ حوالي سبعين صفحة.[4]

ومن خلال وقوفي على هذا الكتاب "تاريخ الأمم والملوك"، يظهر جليها أن الطبري كان مهتماً بالأخبار السابقة من خلق السماوات والأرض وإلى خلق آدم ومن بعده ، إلى تاريخ الأمم من بعد نوح عليه السلام ،وتاريخ الأنبياء والمرسلين ، وتاريخ العرب قبل الإسلام ، وبعد مجيء الإسلام ، وهذا يشير إلى أن الكتاب موسوعة بتاريخ البشرية ، وكان عامة الأخبار فيه مروية بالإسناد

---

[1] احمد صبحي منصور منهج الطبري في تاريخه ص1

[2] ينظر الطبري تاريخ الأمم والملوك1 /231

[3] أحمد صبحي منصور منهج الطبري في تاريخه ص1

[4] كتب عن منهجية الإمام الطبري في تاريخه محب الدين الخطيب وهي منشوره على شبكة الانترنت بعنوان منهجية الإمام الطبري محب الدين الخطيب وهي عدة صفحات

فبعضـها يوثـق فيـه والآخـر لا يوثـق فيـه ،فـلا يكفـي الإحالـة عليـه كمرجـع مـن المراجـع التاريخيـة والسيرة النبويـة ،فـلا بـد مـن الوقـوف علـى حقيقـة السـند الـذي أورده مـن حيـث صـحته وعدمـه حتـى يصح إيراد الخبر من هذا الكتاب .

وبعد هذا العرض لتقويم كتاب تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري يتضح موقف الدكتور هيكل واعتماده عليه في بعض الأخبار فهو يحتج بـه ويستند عليه كما اشرنا سابقا فـي قصـة شق صـدر النبـي ﷺ محاولا حشد أي خبـر ضـعيف أو غيـر ضـعيف ليسقط قصـة شـق صـدر النبـي ﷺ وهو في صغره قال هيكل (و كذلك يرويها الطبري، لكنـه يحيطها بالريبـة؛ إذ يذكرها فـي هذه السنة من حياة محمد، ثم يعود فيذكر أنها وقعت قبيل البعث و سنّه أربعون سنة)[1].

وسيأتي بيانها في الفصل الرابع للوقوف على حقيقة هذا الكلام الذي أورده .

ويشير إلى الإمام الطبري والى غيره في روايتهم لقصة الغرانيق دون تمحيص وتحقيق قال هيكل:(هنا يرد حديث الغرانيق الذي أورده ابن سعد في طبقاته الكبرى و الطبري في تاريخ الرسل و الملـوك، كمـا أورده كثيـرون مـن المفسـرين المسـلمين و كتـاب السـيرة، و الـذي أخـذ بـه جماعـة مـن المستشرقين و وقفوا يؤيدونه طويلا.)[2]

وكذلك ينقل عن الطبري دون ذكر له أو إشارة له وخاصة في ما قبل مولد النبي – ﷺ– . لم يكثر هيكل من النقل عن كتاب "تاريخ الأمم والملوك" إلا فـي مـا أشـرت إليـه، ولعلـه نقـل عنـه ولكنه لم يصرح بالنقل عنه والله اعلم .

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص127

[2] المرجع السابق ص176

المبحث الثالث

كتب التفاسير، وفيه مطلبان

المطلب الأول: تفسير جامع البيان في تفسير القران للطبري ومنهجه في الكتاب.

المطلب الثاني: موقف هيكل من هذا الكتاب، وحجم ما استفاد منه في كتابه.

المطلب الأول: المطلب الأول تفسير جامع البيان في تفسير القران للطبري ومنهجه في الكتاب.

يعد الإمام الطبري شيخا للمفسرين فتفسيره "جامع البيان في تفسير القران" من أجل التفاسير وأعلاها قدرا، حوى المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن صحابته رضوان الله عليهم، وعن التابعين وتابعيهم ممن عرفوا بالتفسير بالمأثور، ولا يزال مع كثرة المصنفات في تفسير القرآن بعده مهيمناً على كتب التفسير لرسوخ مؤلفه، ولمنهجه الدقيق الذي انتهجه في تصنيفه.

تميز تفسير الطبري بعدد من العلوم، ففيه الأسانيد، وتفاسير السلف، والتفسير الإجمالي، والغريب، والنحو، والقراءات، وتوجيهها، والأحكام الفقهية، والقواعد العلمية والترجيحية، وحجج الترجيح والرد على الأقوال، والتعليق على أقوال المفسرين واللغويين، إلى غير ذلك من منثورات الفوائد.

يقول الشيخ محمود شاكر (كتابُ تفسير الطبري). وما بي من حاجةٍ لبيان قيمته العلمية، وما فيه من مزايا يندر أَن توجدَ في تفسيرٍ غيرِه. وهو أعظم تفسير رأيناه، وأعلاه وأثبتُه. استحقَّ به مؤلفُه الحجةُ أن يسمَّى (إمامَ المفسّرين).[1]

يقول ابن تيمية :(تفسير محمد بن جرير الطبري وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدرا).[2]

وقد تلقاه علماء الأمة بالقبول والوصف الحسن والذكر الطيب مع الأخذ بما جزم وادعى الإجماع فيه، مع مناقشته بما يصلح أن يناقش.

وأثنى عليه السيوطي[3] والنووي[4].

---

[1] ابن جرير الطبري جامع البيان في تفسير القران 6/1 تحقيق احمد محمد شاكر

[2] ابن تيمية مقدمة في أصول التفسير ص23

[3] السيوطي الإتقان في علوم القران 472/2

[4] محمد حسين الذهبي التفسير والمفسرون 24/4

وقد ذكر الدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار منهج الإمام الطبري ملخصا من بحث بعنوان " ملخص في منهج الطبري في تفسيره" ومما جاء فيه:

ومن عادته أن يُترجم لكل قولٍ بقوله: فقال بعضهم ....، ثمَّ يقول: ذكر من قال ذلك، ثمَّ يذكر أقوالهم مسندًا إليهم بما وصله عنهم من أسانيد.، ثمَّ يقول: وقال غيرهم، وقال آخرون ...، ثمَّ يذكر أقوالهم، فإذا انتهى من عرضِ أقوالِهم، رجَّحَ ما يراه صوابًا، وغالبًا ما تكون عبارته: قال أبو جعفر: والقول الذي هو عندي أولى بالصواب، قول من قال، أو يذكر عبارة مقاربةً لها، ثمَّ يذكر ترجيحَه، ومستندَه في الترجيحِ، وغالبًا ما يكون مستندُه قاعدةً علميَّة ترجيحيَّةً، وهو مما تميَّزَ به في تفسيرِه.[1]

اعتمدَ أقوال ثلاث طبقات من طبقات مفسري السلف، وهم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين، ولم يكن له ترتيب معيَّن يسير عليه في ذكر أقوالهم، وإن كان يغلب عليه تأخير الرواية عن ابن زيد. ويحرص على ذكر ما ورد عنهم بالإسناد إليهم، ولو تعدَّدت الأسانيد في القول الواحد. . وقد يورد قول الواحد منهم ويعتمده إذا لم يكن عنده غيره. وكان لا يبين درجة إسناد الآثار إلا نادرًا، ولم يكن من منهجه نقد أسانيد التفسير، كما أنه لم يعمد إلى ما يقال من طريقة: من أسندك فقد أحالك.[2]

وكان في الغالب لا يفرق بين طبقات السلف في الترجيح، وقد يقدم قول أتباع التابعين أو التابعين على قول الصحابي. وإن كان في بعض المواطن يقدم قول الصحابة، خصوصًا فيما يتعلق بالنُّزول. يقدم قول الجمهور على قول غيرهم، وقد يعدُّه إجماعًا، ويَعُدُّ القول المخالف لهم شاذًّا. يَعُدُّ عدم قول السلف بقولٍ دلالة على إجماعهم على تركه، ويرجح بهذه الحجة عنده. لم

---

[1] مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ملخص في منهج الطبري في تفسيره ص3

[2] المرجع السابق نفس الصفحة

يلتزم بالأخذ بقول الصحابي في الغيبيات. لم يُعْرِضْ عن مرويات بني إسرائيل لأنه تلقاها بالآثار التي يروي بها عن السلف، وقد يبني المعنى على مجمل ما فيها من المعنى المبيِّن للآية . يؤخر أقوال أهل العربية، ويجعلها بعد أقوال السلف، وأحيانًا بعد ترجيحه بين أقوال السلف. لا يقبل أقوال اللغويين المخالفة لأقوال السلف، ولو كان لها وجه صحيح في المعنى.[1]

---

[1] المرجع السابق ص5

المطلب الثاني: موقف هيكل من كتاب جامع البيان في تفسير القران،وحجم ما استفاد منه في كتابه.

نقل الدكتور هيكل عن تفسير الإمام الطبري دون أن يصرح بنقله عنه في أكثر من موضع من كتابه، ولكنه جعله من مراجعه التي يرجع إليها في بداية كتابه ونهاية كتابه في مراجعه وهذا من شأنه أنه قليلاً ما يذكر من أين أخذ المعلومة.

ومن المواضع التي نقل فيها من تفسير الطبري دون الإشارة إليه في باب السمو في التسامح أساس السلام يقول الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ النَّصارى وَ الصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ)[1]

يقول هيكل في تفسيره لهذه الآية (أرأيت في باب التسامح أفسح من هذا الأفق!! من آمن باللّه و اليوم الآخر و عمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم، لا فرق بين المؤمنين و من لم تبلغهم دعوة الإسلام على حقيقتها من غير تشويه من اليهود و النصارى و الصابئين)[2]، وهذا المعنى الذي ذهب إليه إنما هو جزء مما فسره الإمام الطبري لا كله فقد ذكر الطبري أن من أرجح الأقوال في الصابئين أنهم يقولون لا إله إلا الله ولا دين ولا كتاب لهم. وذكر كذلك قولين في معنى هذه الآية على العموم.

فالقول الأول: أن من آمن بالله واليوم الآخر من المسلمين واليهود والنصارى والصابئين وعمل صالحا فلا بد أن يكون إيمانهم بالله واليوم الأخر مرافقا مع الإيمان بالرسول محمد- ﷺ-.

---

[1] سورة البقرة 62

[2] محمد حسين هيكل حياة محمد ص578

والقول الثاني: إن الذين آمنوا من هذه الأمة، والذين هادوا، والنصارى، والصابئين – من آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخر – فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وهذا ما يراه الطبري صوابا.

وهذا القول الثاني الذي اعتمده الطبري ونقله الدكتور هيكل يشعر بشيء من الريبة من كلام الدكتور هيكل إذ أنّ كلامه يوحي أنّ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من اليهود والنصارى والصابئين بعد دعوة نبينا محمد ﷺ، وبقي على ما هو عليه من اليهودية أو النصرانية أو غيرها وقد بلغته الدعوة فإنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فهذا لا يستقيم إنما المعنى أنه من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من اليهود والنصارى والصابئين قبل بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، إذ بعد بعثته صلى الله عليه وسلم لا يقبل إلا الإسلام قال الله تعالى (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[1].

وهذا قول سيدنا عبدالله بن عباس إنّ هذه الآية منسوخة قال الطبري عن ابن عباس قوله:(إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين) إلى قوله:(ولا هم يحزنون). فأنزل الله تعالى بعد هذا:(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [آل عمران: 85]

وهذا الخبر يدل على أن ابن عباس كان يرى أن الله جل ثناؤه كان قد وعد من عمل صالحا – من اليهود والنصارى والصابئين – على عمله، في الآخرة الجنة، ثم نسخ ذلك بقوله:(ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه).[2]

---

[1] سورة آل عمران 85

[2] الطبري جامع البيان في تفسير القران 155/2

وجاء في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– أَنَّهُ قَالَ « وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِىٌّ وَلاَ نَصْرَانِىٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ».[1]

فالآية السابقة التي يخبر الله فيها انه من يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه إي عمل، وهذا الخطاب النبوي الذي هو قاطع لكل قول ورأي يخالفه، فمن لم يؤمن بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مؤمنا بالله وبنبيه الذي أرسل إليه ويعمل صالحا فلن يقبل منه والله اعلم.

فلا مساومة في النصوص القطعية، ولا مداهنة للغرب والشرق على مصلحة الثوابت والنصوص القطعية، فكان الدكتور هيكل يريد أن يعترف باليهودية والنصرانية والصابئين إن هم آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحا دون أن يؤمنوا بدعوة نبينا محمد –ﷺ–.

ونقل كذلك عن الطبري في تفسير قوله تعالى من سورة الروم(الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)

إذ أن الدكتور هيكل نقل عن الطبري تفسيره لهذه الآيات على نحو ما ذكر[2]

ونقل الدكتور هيكل كذلك عن الطبري قصة الغرانيق التي أنكرها هيكل وخصص لها فصلا كاملا وذكرها في كتابه نحواً من سبعة عشر موضعاً، وأنكر على من رواها دون نقد، والغريب أنّ الإمام الطبري يرويها في كتابيه التفسير والتاريخ دون تمحيص أو تحقيق أو نقد من طريق محمد بن إسحاق مع ابن إسحاق قال: أنها من وضع الزنادقة.

---

[1] صحيح مسلم 92/1 باب وُجُوبِ الإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ –صلى الله عليه وسلم– إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ. مسند احمد 317/2 مسند أبي هريرة سنن النسائي الكبرى 126/10 سورة هود قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ}.ومسند الطيالسي291/1 مسند أبي موسى الأشعري

[2] محمد حسين هيكل حياة محمد ص24

ونقل الدكتور هيكل عن تفسير الإمام الطبري غير الذي ذكرت، ويتضح من خلال نقله عن الطبري طريقته في الاستفادة من هذا الكتاب وهي على النحو التالي:

- لم يشر في نقله صراحة إلى كتاب جامع البيان في تفسير القرآن إلاّ في مراجعه في بداية الكتاب ونهايته والمواضع التي أشرت إليها.
- أكثر من النقل عن هذا الكتاب وأستشهد به فيما يراه موافقاً لمنهجه.
- كان ينتقي من التأويلات ما يراه مناسبا لمنهجه العام دون إشارة إلى بقية التأويلات الأخرى.
- أشار في موضوع قصة الغرانيق إلى أنّ بعض المفسرين رووا هذه القصة منتقداً لهم أنهم ما نقدوها نقداً علميا وكان ممن رووا هذه القصة الإمام الطبري دون نقد.
- الواضح أنه لم يكن اهتمامه بالأسانيد إنما كان اهتمامه بالموضوع ذاته هل يقبله النقد العلمي الحديث أم لا.

المبحث الرابع

كتب المدرسة الإصلاحية، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: الإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده.

المطلب الثاني: مدى أخذ واستفادة هيكل من كتاب الإسلام والنصرانية.

المطلب الثالث:أوجه الشبه بين المدرسة الإصلاحية(العقلية) والمدرسة الذاتية.

المطلب الأول: الإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده

اهتم الدكتور محمد حسين هيكل بكتابات المدرسة الإصلاحية عامة وكتابات الشيخ محمد عبده خاصة، وذلك لأنه يعتبره ملهماً له في كثير من القضايا التي عالجها هيكل في كتابه، وجعل هيكل كُتب الشيخ محمد عبده من مراجعه التي رجع إليها واعتمد على أفكارها،لأنه يرى بهذه الكتب موافقة لمنهجه الذي اعتمده في كتابه وهو عرض أحداث السيرة النبوية على المنهج العلمي الغربي الحديث.

تمهيد

من هو محمد عبده؟

الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله التركماني وُلد في عام (1266هـ / 1849م)وتوفي (8 من جمادى الأولى 1323 هـ / 11 من يوليو 1905م) لأب تركماني الأصل، وأم مصرية تنتمي إلى قبيلة بني عدي العربية، ونشأ في قرية صغيرة من ريف مصر هي قرية محلة نصر بمحافظة البحيرة.[1]

وقد قام محمد عبده بكتابة وتأليف وشرح العديد ،وكما أن للإمام محمد عبده العديد من الفتاوى[2].

هُوجم الشيخ محمد عبده كثيراً واتُهم بأنه ينكر وجود الله . بناء على مهاجمته لطريقة المتكلمين، إلا أن الشيخ رشيد يقول إن الأستاذ الإمام كان يدعو لمذهب السلف.[3]

---

[1] الزركلي الأعلام 252/6وعبد الحليم الجندي: الإمام محمد عبده، مكتبة مدبولي،1994،ص(5-15).عمر رضا كحالة معجم المؤلفين 272/10

[2] أحمد عبد التواب عرض نقدى لكتاب: "الإسلام و النصرانية مع العلم و المدنية" تأليف الإمام محمد عبده ص4

[3] مجلة المنار (29/ 290) و31/ 123) وتفسير المنار محمد رشيد رضا (1/ 395) ومحمد رشيد رضا تاريخ الأستاذ الإمام (1/ 778)

أنكر أحاديث سحر النبي ﷺ ونسب رشيد رضا رد هذه الرواية للأستاذ الإمام وكان لا يثق بأحاديث أشراط الساعة م،[21] [3].

لقد دار حول الشيخ محمد عبده جدل واسع بين متهم له بالعمالة للانجليز و حضور المحافل الماسونية وغيرها من الأوصاف البذيئة، ومنهم من ناقش فكره واستخرج كل هفوة ليتوصل إلى ، ومنهم من جعله إماماً في الإصلاح صاحب منهج تجديدي ذا نظرة ثاقبة ورأي جدير بالاهتمام ، ومنهم من ناقش فكره بأدب جم فلم ينف عنه غيرته على الإسلام وهي واضحة المعالم في كتبه، وأبرز الهفوات التي لا يمكن إغفالها وغض الطرف عنها معملاً منهج العلماء المحققين في ذلك.[4]

كتاب الإسلام والنصرانية

يُعد كتاب "الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية" من أهم الكتب في الآثار الفكرية المتميزة في الفكر السياسي بصفة عامة وفى فكر الإمام محمد عبده بصفة خاصة.[5]

---

[1] محمد عبده: تفسير جزء عم (ص:183 . 184) ط. الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة، ط. الثانية، بمطبعة مجلة المنار، مصر، 1329هـ ومجلة المنار (14/ 623)

[2] محمد رشيد رضا تفسير المنار (9/ 506)

[3] محمد عبده رسالة التوحيد 157

[4] فهد الرومي منهج المدرسة العقلية في التفسير 142-152

[5] احمد عبدالوهاب عرض نقدى لكتاب: "الإسلام و النصرانية مع العلم و المدنية" تأليف الإمام محمد عبده ص1وقد كتب الإمام محمد عبده هذا الكتاب في البداية في صورة مقالات نشرها في مجلة المنار، وذلك رداً على المفكر الماروني اللبناني " فرح انطون " سنة 1902م أي قبل وفاة الإمام بثلاث سنوات حيث زعم المفكر اللبناني " فرح انطون " (أن النصرانية كانت أكثر تسامحا مع العلم و الفلسفة من الإسلام ولذلك نهضت أوروبا المسيحية بينما ضاق صدر الإسلام بالعلم و الفلسفة فكان الجمود والتخلف اللذان أصابا حضارة الإسلام) وفي هذا الكتاب قام الإمام محمد عبده بإجراء مقابلة بين الدينيين الإسلامي والمسيحي وأوضح أثرهما في العلم والمدنية.

المحتوى العام لهذا الكتاب

هذا الكتاب يشتمل على مقدمة و أربعة أقسام و خاتمة، ويدور الكتاب بوجه عام حول رد الإمام على أربعة أمور (شبهات) رئيسية زعمها فرح انطون وقد تمثلت تلك الشبهات فيما يأتي:

- الشبهة الأولى: أن المسلمين قد تسامحوا لأهل النظر منهم ولم يتسامحوا لمثلهم من أرباب الأديان الأخرى.
- الشبهة الثانية: أن من الطوائف الإسلامية طوائف قد اقتتلت بسبب الاعتقادات الدينية.
- الشبهة الثالثة: أن طبيعة الدين الإسلامي تأبى التسامح مع العلم و طبيعة الدين المسيحي تيسر لأهله التسامح مع العلم.
- الشبهة الرابعة: أن إيناع ثمر المدنية الحديثة إنما تمتع به الأوروبيون ببركة التسامح الديني المسيحي.

ومن خلال دراستي لهذا الكتاب وقفت على جملة من القضايا البالغة في الأهمية منها:

- الوقوف على حقيقة أصول الإسلام وما أنتجت هذه الأصول الإسلامية المتميزة من نموذج حضاري متميز في تاريخها ومن علاقة متميزة بين الدولة و الدين.[1]
- بيان أصول النصرانية و ما صنعته تلك الأصول من اضطهاد للعلم والعلماء و الرجعية و التخلف و جمود دخلت بالحضارة الأوروبية عصورها المظلمة والتي لم يخرجها منها سوى

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب قد تعرض للتزوير والتزييف بدأ بالطبعة التي أصدرتها دار الهلال في ستينيات القرن العشرين وقد اتخذ هذا التزوير عدة أشكال حيث لم يتوقف عند تزوير العنوان فحسب بل امتد الأمر إلى تزوير المضمون والمحتوى وبالتالي تزوير رسالة الكتاب التي يهدف إليها

[1] محمد عبده الإسلام والنصرانية ص69-77

حضارة الإسلام. فالإسلام هو الذي صنع الإصلاح الديني الاوروبي و فتح به باب أمام أوروبا إلى النهضة الحضارية الحديثة.[1]

- جاء هذا الكتاب فكر مقارن بين الإسلام و النصرانية و حضارة الإسلام و الحضارة الأوروبية.[2]
- بيان التاريخ الإسلامي و تاريخ أوروبا النصرانية.[3]
- أشاد بتسامح الإنجليز ومعرفتهم بطرق احترام من تسوسهم (تحتلهم).[4]
- حدد في هذا الكتاب أن الإيمان بالله لا يعتمد في إثباته إلاّ على الدليل العقلي.[5]
- أشار إلى أنّ أسباب تقدم أوروبا هي اقتباسهم من حضارة الإسلام.[6]
- جاء في هذا الكتاب إن من أصول الإسلام تقديم العقل عند تعارضه مع النقل.[7]
- أشار إلى رأي بعض المستشرقين في الفكر الإسلامي وسعت عقول علماء الإسلام ونظرتهم للعلم.[8]
- وجه طلاب العلم إلى إعادة النظر في كتب السلف الصالح ، وترك الجمود ومحاولة إيجاد بيئة علمية لا تُهمل الماضي ولا تترك الحاضر.[9]

[1] محمد عبده الإسلام والنصرانية ص28-40
[2] محمد عبده الإسلام والنصرانية ص20 وما بعدها
[3] المرجع السابق ص84--88
[4] المرجع السابق ص196
[5] المرجع السابق69
[6] المرجع السابق ص168
[7] المرجع السابق ص70
[8] المرجع السابق ص130-132
[9] المرجع السابق ص181

إن لهذا الكتاب ميزات لا يمكن إنكارها وصورة مشرقة في الدفاع عن الإسلام وبيان أُصوله، وبيان أُصول النصرانية وجمود فكرهم وعصبيتهم وأفكارهم الحاقدة على الإسلام، ويظهر في الجانب الآخر تعاطفه مع احتلال الانجليز لأنهم يحترمون عقائد المسلمين ، وكذلك بعض الهفوات التي لا تعبر عن الفكر الصحيح المتوائم مع العقيدة الصحيحة.

المطلب الثاني: مدى أخذ واستفادة هيكل من كتاب الإسلام والنصرانية.

نقل الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه "حياة محمد" عن كتاب "الإسلام والنصرانية" للشيخ محمد عبده في موضعين هامين وخطيرين جدا هما:

1- الموضع الأول الذي نقله الدكتور هيكل من كتاب الإسلام والنصرانية كان يدور حول فكرة أن الإسلام والإيمان بالله والإيمان بوحدانية الله لا يمكن إثباته إلاّ من خلال الأدلة العقلية لا غيرها من الأدلة الأخرى وخاصة المعجزات، وهذا ما يريد أن يتوصل إليه هيكل أنّ الإيمان بالإسلام والوحدانية لا يثبت إلا بالقرآن فهو المعجزة الوحيدة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم، فالقران عند المدرسة الإصلاحية والمدرسة الذاتية دليل عقلي يقول هيكل: (و قال الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في أول كتاب (الإسلام و النصرانية): «فالإسلام في هذه الدعوة و المطالبة بالإيمان باللّه ووحدانيته لا يعتمد على شي ء سوى الدليل العقلي و الفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري...).[1]

وهذا الذي ذكره الشيخ محمد عبده وأقره هيكل غير مسلم به ، وذلك أن النبوة تثبت بالمعجزات والدلائل العقلية ، وقد بين علماء الأمة هذه القضية تحت عنوان :

هل المعجزة هي التي تثبت صدق دعوى النبي أم لا ؟

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص70 ومحمد عبده الإسلام والنصرانية ص64

ذهب أكثر أهل العلم إلى أن صدق النبوة محصور في الإتيان بمعجزة وقد صرح الإمام الباقلاني بذلك حيث قال (يجب أن يعلم أن صدق مدعي النبوة لم يثبت بمجرد دعواه، وإنما يثبت بالمعجزات)[1]، ويقول أيضا:(وقد اتفق على أنه لا دليل يفصل بين الصادق والكاذب في ادعاء الرسالة إلا الآيات المعجزة)[2].

وهذا ما أشار إليه إمام الحرمين الجويني قريباً من كلام الباقلاني[3]، وهو قول التفتزاني [4]، وهذا ما تحدث عنه الرازي بكتابه محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين بشيء من الاختصار،[5] و هذا ما أكّده الإيجي في أن مسلك الاستدلال بالمعجزة على نبوة النبي – ﷺ– " هو العمدة ".[6]

إذن عامة المحققين ذهبوا إلى أنّ إثبات النبوة لا يكون إلاّ بالإتيان بالمعجزة.

بينما ذهب بعض المحققين إلى أن الدلالة على النبوة ليست محصورة في دلالة المعجزة، وذكروا طرقًا أخرى، لكنهم جعلوها مكملة لدلالة المعجزة.[7]

2- ينقل هيكل في الموضع الآخر عن كتاب الإسلام والنصرانية وصفاً لأطوار فكر المسلمين وكيف كان ناصع البياض ثم انحرف بعامل القوة والخلافة يقول هيكل:

(كيف انقلب الأمر في تفكير المسلمين من هذا المنطق السليم الواضح إلى اعتقادات لا تتفق معه في شي ء؟ وندع الكلمة الآن في شيء من التفصيل إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده؛ إذ يقول في كتاب «الإسلام و النصرانية» ما نصه:

---

[1] الباقلاني الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص20.

[2] الباقلاني البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات ص(38).

[3] الجويني الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الدين ص(331).

[4] التفتزاني شرح المقاصد 180/2.

[5] انظر الرازي: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين. ص(310).

[6] الإيجي المواقف في علم الكلام. (356–357).ص(357)وص(349)وص(357).

[7] ينظر ابن أبي العز الحنفي شرح العقيدة الطحاوية (140/1).

«كان الإسلام دينا عربيّا، ثم لحقه العلم فصار علما عربيّا بعد أن كان يونانيّا، ثم أخطأ خليفة في السياسة فاتخذ من سعة الإسلام سبيلا إلى ما كان يظنه خيرا له. ظن أن الجيش العربي قد يكون عونا لخليفة علويّ؛ لأن العلويين كانوا ألصق ببيت النبيّ صلى اللّه عليه و سلّم. فأراد أن يتخذ له جيشا أجنبيّا من الترك و الديلم و غيرهم من الأمم التي ظن أنه يستعبدها بسلطانه، و يصطنعها بإحسانه، فلا تساعد الخارج عليه و لا تعين طالب مكانه من الملك، و في سعة أحكام الإسلام ما يبيح له ذلك. هنالك استعجم الإسلام و انقلب عجميّا.

.... فكل ما يعاب الآن على المسلمين ليس من الإسلام و إنما هو شي ء آخر سمّوه إسلاما)[1]

وينقل عنه كذلك تفسير قوله تعالى (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعاءً وَ نِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ)سورة البقرة171.

و يفسر الشيخ محمد عبده هذه الآية فيقول: «إن الآية صريحة في أن التقليد بغير عقل و لا هداية هو شأن الكافرين، و إن المرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه و عرفه بنفسه حتى اقتنع به. فمن ربّي على التسليم بغير عقل، و العمل و لو صالحا بغير فقه، فهو غير مؤمن. فليس القصد من الإيمان أن يذل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان، بل القصد منه أن يرتقي عقله و ترتقي نفسه بالعلم فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضي للّه، و يترك الأشر لأنه يفهم سوء عاقبته و درجة مضرّته».

و هذا الذي قاله الشيخ محمد عبده تفسيراً لهذه الآية قد جاء به القرآن صريحا في آيات كثيرة غيرها.[2]

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص570-573 ومحمد عبده الإسلام والنصرانية ص134- 137

[2] محمد حسين هيكل حياة محمدص520

المطلب الثالث: أوجه الشبه بين المدرسة الإصلاحية(العقلية) والمدرسة الذاتية.

كانت المدرسة الإصلاحية سابقة للمدرسة الذاتية، فالمدرسة الذاتية امتداد للمدرسة الإصلاحية من حيث الأفكار والمعتقدات والمنهج.

أوجه الشبه بين المدرستين.

1- إثبات أنّ القرآن الكريم هو المعجزة الوحيدة للنبي ﷺ فقط.

قال السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار[1]: (أهمّ ما ينكره الأزهريون و الطّرقيون على هيكل أو أكثره مسألة المعجزات أو خوارق العادات.. ، بما أثبت به أن القرآن وحده هو حجة اللّه القطعية على ثبوت نبوة محمد- ﷺ- بالذات، و نبوّة غيره من الأنبياء و آياتهم بشهادته لا يمكن في عصرنا إثبات آية إلا بها، و أن الخوارق الكونية شبهة عند علمائه لا حجة؛ لأنها موجودة في زماننا ككل زمان مضى).[2]

وهذا ما تعتقده المدرسة الذاتية والإصلاحية أنّ القرآن معجزة النبي -ﷺ- الوحيدة التي تحدى بها النبي صلى الله عليه وسلم البشرية.

2- تأويل المعجزات التي حدثت مع النبي- صلى الله عليه وسلم -وقبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بتأويلات غريبة.

قال الشيخ محمد رشيد رضا: (وأما تلك العجائب الكونية فهي مثار شبهات وتأويلات كثيرة في روايتها وفي صحتها وفي دلالتها وأمثال هذه الأمور تقع من أناس كثيرين في كل زمان،

---

[1] (في عددها الذي صدر في 3 من مايو سنة 1935)

[2] انظر محمد حسين هيكل حياة محمد 34

والمنقول منها عن صوفية الهنود والمسلمين أكثر من المنقول عن العهدين: العتيق والجديد، وعن مناقب القديسين ؛ وهي من منفرات العلماء عن الدين في هذا العصر)[1].

رأى الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا أن قصة إحياء الموتى مع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام حين أمرهم بذبح البقرة وأن يضربوها ببعض أجزائها أن هذا من باب التشريع لا من باب المعجزات[2].

وفي قصة أصحاب الفيل يرجحون أن سبب هلاكهم هو الجدري لا الحجارة التي جاءت من سجيل [3]، وتنكر هذه المدرسة معجزة انشقاق القمر مدعية أن الأحاديث الواردة مختلفة ومضطربة.[4]

وفي الحديث عن معجزة انشقاق القمر يرى الشيخ المراغي وهو من أعلام المدرسة الإصلاحية ، أن الإخبار في القرآن الكريم عن هذه المعجزة أمر مستقبلي لعدة أسباب ذكرها في تفسيره ، وكأنّه ما اطلع على صحيح البخاري وما جاء فيه من أحاديث تدل على هذا الحدث الخارق للعادة.[5]

وغيرها الكثير من التفسيرات الغريبة للمعجزات التي فسرتها المدرسة الإصلاحية والذاتية.

3- الوحي عند المدرسة الإصلاحية عرفان يجده الإنسان بنفسه، والمدرسة الذاتية تارة تنفي الوحي وتارة تأوله بالمنامات ثم عرفان يستطيع الشخص الوصول إلى التفسير الحقيقي للأمر النازل من الله عزّ وجل، فهم في النهاية يتفقون على أنه عرفان ذاتي من الشخص نفسه.

---

[1] محمد رشيد رضا تفسير المنار 128/11

[2] ينظر المرجع السابق 288/1-291

[3] محمد عمارة، الأعمال الكاملة ج 3، ص 373

[4] ينظر فهد الرومي منهج المدرسة العقلية في التفسير ص583

[5] ينظر تفسير المراغي 77/27

عرف الشيخ محمد عبده الوحي بأنه " عرفان يجده الشخص من نفسه..."[1]

وقال الشيخ رشيد رضا: (ووحي الله تعالى إلى أنبيائه علم يخصهم به من غير كسب منهم ولا تعلم من غيرهم، بل هو شيء يجدونه في أنفسهم من غير تفكر ولا استنباط مقترنا بعلم وجداني ضروري بأن الذي ألقاه في قلوبهم هو الرب القادر على كل شيء)[2].

وهناك أوجه تشابه بين هاتين المدرستين لا تخص السيرة النبوية مثل حجية أحاديث الآحاد وموقف المدرستين منها، وكان كل طرف من هاتين المدرستين يدافع عن أفكار الآخر بكل ما أوتي من قوة.

[1] محمد عمارة الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده،ط2، 1979، ج3، ص415

[2] تفسير المنار 184/1

الفصل الرابع

دراسة تطبيقية للمنهج الذاتي في قراءة السيرة النبوية من خلال كتاب حياة محمد لمحمد حسين هيكل، وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول: الوحي في كتاب حياة محمد والموقف العلمي منه.

المبحث الثاني: المعجزات في كتاب حياة محمد وموقفه منها.

المبحث الثالث: الإسراء والمعراج في كتاب حياة محمد.

المبحث الرابع: موقف هيكل من الشؤون الاجتماعية في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المبحث الخامس: الأخطاء في تفسير بعض القضايا في كتاب حياة محمد، والتفسيرات الغريبة التي نُسبت إليه.

المبحث الأول: الوحي في كتاب حياة محمد، والموقف العلمي منه، وفيه مطلب واحد.

المطلب الأول: رؤية محمد حسين هيكل للوحي ومناقشة رؤيته .

المطلب الأول: رؤية محمد حسين هيكل للوحي .

تحدث الدكتور محمد حسين هيكل عن الوحي في أكثر من موضع من كتابه، وكان يدرك حقيقة الإدراك أن الوحي لا مجال لإنكاره أو إخضاعه على شرطه الذي ألزم به نفسه في كتابه أن يعرض كل حادثة من السيرة النبوية على المنهج العلمي الحديث، وآخر ما توصل أليه أنّ الوحي فوق العلم لا مجال للمناهج ولا للعقول أنّ تفسره أو تدركه.

ومع هذا فقد وصف الوحي أنه سموّ روحيّ اختص اللّه به أنبياءه ليلقي إليهم بحقائق الكون اليقينية العليا كي يبلغوها للناس.

ويصف الوحي كذلك بأنه ظاهرة نفسية شاذة في تقدير علمه و ما وصل إليه حتى اليوم.[1]

و مع دفاعه عن المطاعن التي طعنها المستشرقون في الوحي بأنه حالة من الصرع كان يصاب بها النبي عليه الصلاة والسلام، و أن أعراض الصرع كانت تبدو عليه؛ إذ كان يغيب عن صوابه، و يسيل منه العرق، و تعتريه التشنجات و تخرج من فمه الرّغوة، حتى إذا أفاق من نوبته تلا على المؤمنين به ما يقول إنه وحي اللّه إليه، في حين لم يكن هذا الوحي إلا أثرا من نوبات الصرع، فالدكتور هيكل وصف الوحي بأنه سمو روحي ولم يبين ما هو السمو الذي كان يحصل مع النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه لم يطلع على وصف النبي عليه الصلاة والسلام لما كان يحصل معه وقت نزول الوحي عليه.[2]

ثم يضيف أنّ اختصاص الله عزّ وجل لأنبيائه بالوحي ليلقي إليهم الحقائق الكونية اليقينية العليا، ليبلغوها إلى الناس.[3]

---

[1] ينظر محمد حسين هيكل حياة محمد ص58

[2] ينظر المرجع السابق ص 57

[3] ينظر المرجع السابق ص58

وهل وحي الله عز وجل إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو فقط حقائق يقينية عليا عن الكون، ليس فيها تشريع ولا أحكام، ولا أخبار ما مضى ولا أخبار ما سيأتي، ولا توجيهات إلى النبي ﷺ وإلى الأمم جميعا، لقد حجر واسعا وما وفق إلى الوصف الدقيق أو التعريف العلمي المجمع عليه عند العلماء المحققين.

وكيف يكون الوحي ظاهرة نفسية شاذة على حد قوله في تقدير العلم، لا يمكن تفسيرها، فهذا الوصف زيادة في الخبط والعشواء، لم يكن الوحي حالةً نفسيةً شاذةً من منظور العلم الدقيق الموافق للشرع عند علماء الإسلام، أما العلم الذي عند الغرب والمستشرقين فهو كذلك فالوحي ظاهرة نفسية شاذة تعرض للنفس.

وكيف يمكنه أن يقول: إنّ الوحي ظاهرة نفسية شاذة، وقبلها يقول سمو روحي فأيُ خلط وتناقض هذا بين المصطلحات ،فالسمو الروحي والظاهرة النفسية الشاذة لا يستقيمان.

لم يدافع الدكتور هيكل عن الوحي بمنظور علماء الإسلام المحققين وإنما أخذ جزئية ليدافع عن الوحي وخلط بكلام عام غير علمي.

ويصف الوحي كذلك أنه نشاط روحيّ قوي قاهر يصل صاحبه بالملأ الأعلى عن شعور تام و إدراك يقيني، ليبلغ من بعد ما أوحي إليه.[1]

ينتقل الدكتور هيكل بوصف الوحي من السمو الروحي والظاهرة النفسية الشاذة إلى النشاط الروحي القوي القاهر، لكن ما هو هذا النشاط الروحي القوي القاهر الذي كان يحصل مع النبي – ﷺ– الذي يصله بالملائكة فهم الملأ الأعلى، وهو مدرك للأمور من حوله وما يجري معه وما يشاهد ثم يبلغ ما أوحي إليه إلى الناس.

---

[1] ينظر محمد حسين هيكل حياة محمد ص58

يتساءل الدكتور محمد عبدالله دراز حول هذه القضية إذ يقول: (هل كانت شيئًا متكلفًا مصنوعًا وطريقة تحضيرية يستجمع بها الفكر والروية؟ أم كانت أمرًا لا دخل فيه للاختيار؟ وإذا كانت أمرًا غير اختياري فهل كان لها في داخل النفس منشأ من الأسباب الطبيعية العادية، كباعثة النوم، أو من الأسباب الطبيعية الشاذة، كاختلال القوى العصبية؟ أم كانت انفعالًا بسبب خارجي منفصل عن قوى النفس؟.

وإن نظرة واحدة نلقيها على عناصر هذه الظاهرة لتهدينا إلى أنها لا يمكن أن تكون صناعة وتكلفًا، وبخاصة لو تأملت تلك الأصوات المختلطة التي كانت تسمع عند الوجه النبوي الشريف. وأيضًا لو كانت صناعة وتكلفًا لكانت طوع يمينه فكان لا يشاء يومًا أن يأتي بقرآن جديد إلا جاء به من هذا الطريق الذي اعتاده في تحضيره).[1]

ومما يدلنا على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن متكلفاً ولا صانعاً للتكلف ،أنه كان في أوقات بأمس الحاجة إلى لقاء الوحي ليبين له ما خفي عنه وما غاب عنه ، مثل ما حدث معه في حادثة الإفك وبقي أربعين يوما لا يأتيه الفصل في هذه القضية ، ولما كان انقطع عنه الوحي فترة في بداية الدعوة كما أخرج البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبدالله أنه سمع رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ(فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَجَئِثْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} إِلَى قَوْلِهِ {فَاهْجُرْ}– قَالَ أَبُو سَلَمَةَ وَالرِّجْزَ الأَوْثَانَ ، ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ).[2]

[1] محمد عبدالله دراز النبأ العظيم ص101

[2] البخاري الصحيح 202/6 باب قوله {والرجز فاهجر}.

إن القول الفصل في قضية الوحي مرده إلى كلام الله عز وجل وما صح من حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي تحدث بنفسه عن حقيقة الوحي ، وواقع كان الصحابة يشاهدونه أمام أعينهم ، ولا يمكن للعقول بمفردها أن تهتدي إلى نور معنى الوحي الرباني ، لأنها قاصرة ومحدودة عن الوصول إلى حقيقتها ومفهومها.

وإن صاحب الرسالة المعصوم ﷺيفصل القول في مسألة الوحي فلا نشاط روحي ولا ظاهرة نفسية شاذة ولا سمو روحي ولا غيرها من الألفاظ، إذ روى المحدثون عن أُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:

(أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ: " أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول " قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا).[1]

إذن الحالة التي كان يمر بها النبي ﷺ وقت نزول الوحي عليه هي:

1- الحالة الأولى: هي الحالة الشديدة التي يحس فيها النبي صلى الله عليه وسلم الوحي مثل صلصلة الجرس وهو صوت وقوع الحديد بعضه على بعض أو كل صوت له طنين وقيل هو صوت متدارك لا يدرك في أول وهلة والجرس الجلجل الذي يعلق في رؤوس الدواب.

---

[1] صحيح البخاري 2/1 باب بدء الوحي ، وصحيح مسلم 82/7 باب عَرَقِ النَّبِىِّ –صلى الله عليه وسلم– فِى الْبَرْدِ وَحِينَ يَأْتِيهِ الْوَحْىُ، وموطأ مالك باب ما جاء في القران 202/1، و سنن الترمذي 597/5 باب ما جاء كيف كان ينزل الوحي على النبي صلى الله عليه و سلم وسنن النسائي 146/2 باب ما جاء في القران ومسند احمد 158/6 مسند السيدة عائشة.

والحاصل أن الصوت له جهتان جهة قوة وجهة طنين[1] وهذا ما أراد أن يوصله النبي ﷺ إلى السائل بأقرب ما يمكن أن يفهمه ويدركه.

2- الحالة الثانية يأتي الوحي متمثلاً برجل فيكلمه كلاماً عادياً فيفهم النبي -ﷺ- منه ويبلغ إلى الناس.

وهذا الوصف من النبي عليه الصلاة والسلام نفسه أما من كان يشاهد الوحي ونزوله فيصفه بوصف آخر فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان النبي -ﷺ- إذا أنزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدوي النحل فأنزل عليه يوما فمكثنا ساعة فسري عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وأرضنا وارض عنا ثم قال- ﷺ- أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ { قد أفلح المؤمنون } حتى ختم عشر آيات.[2]

ويناقش الشيخ صبحي الصالح موضوع استعمال الألفاظ التي استخدمها البعض بدل الوحي نحو الكشف والحدس والشعور والإلهام والظاهرة النفسية إذ قال: (نرى لزاما علينا -خشية أن نقع في اللبس من أثر استعمال الكلمات في غير مواضعها- أن نقصي عن ظاهرة الوحي لفظ الكشف الذي كنا فيه، وما يشبهه من ألفاظ الإلهام والحدس الباطني والشعور الداخلي أو

---

[1] ابن حجر فتح الباري 19/1

[2] سنن الترمذي 326/5 سورة المؤمنون ومسند احمد 34/1 مسند عمر بن الخطاب تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف ولكن اعتمده بالشرح الإمام ابن حجر اذ قال (وأما فنون الوحي فدوي النحل لا يعارض صلصلة الجرس لأن سماع الدوى بالنسبة إلى الحاضرين كما في حديث عمر يسمع عنده كدوي النحل والصلصلة بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه و سلم فشبهه عمر بدوى النحل بالنسبة إلى السامعين وشبهه هو ﷺ بصلصلة الجرس بالنسبة إلى مقامه) فتح الباري 19/1، وقال المباركفوري (وَحَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ هَذَا أَخْرَجَهُ أَيْضًا أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَفِي سَنَدِهِ يُونُسُ بْنُ سَلِيمٍ الصَّنْعَانِيُّ قَالَ فِي الْمِيزَانِ فِي تَرْجَمَتِهِ حَدَّثَ عَنْهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَتَكَلَّمَ فِيهِ وَلَمْ يَعْتَمِدْ فِي الرِّوَايَةِ وَمَشَاهُ غَيْرُهُ، وَقَالَ الْعُقَيْلِيُّ: لَا يُتَابَعُ عَلَى حَدِيثِهِ وَلَا يُعْرَفُ إِلَّا بِهِ انْتَهَى. وَقَالَ فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ: قَالَ النَّسَائِيُّ هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ لَا نَعْلَمُ أَحَدًا رَوَاهُ غَيْرَ يُونُسَ. وَيُونُسُ لَا نَعْرِفُهُ وَذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي الثِّقَاتِ)تحفة الاحوذي 13/9.

"اللاشعور" التي يتغنى بها شبابنا المثقفون محاكاة للأعاجم والمستعجمين، ويحاولون بها أو ببعضها أن يفسروا بسذاجة عجيبة ظاهرة الوحي عند النبيين وعند محمد خاتم النبيين. ما أيسر أن نثبت مدلول الكشف لكل من يدعيه، ثم ننكر عليه مدلول الوحي ولو ظل يدعيه.

إنه يخلو من الدلالة النفسية الواضحة المحددة؛ لأنه غالبا ما يكون ثمرة من ثمار الكد والجهد أو أثرا من آثار الرياضة الروحية أو نتيجة للتفكير الطويل، فلا ينشئ في النفس يقينا كاملا ولا شبه كامل، بل يظل أمرا شخصيا ذاتيا لا يتلقى الحقيقة من مصدر أعلى وأسمى).[1]

فالوحي لا يأتي بالنشاط الروحي ولا بالكد والجهد وزيادة العبادة أو زيادة الانقطاع عن الناس، ولا بالتفكير الطويل أو غيرها من الأمور التي يتوهم أن توصل إليه، ولا يمكن اعتبار الكشف أو ما شابهها عند من يدعيها أنها شبيهة للوحي الذي اختص الله به أنبيائه.

ثم يقول الشيخ صبحي (وطبيعة الحقائق الدينية والأخبار الغيبية في ظاهرة الوحي تأبى الخضوع لهذه الأساليب "اللاشعورية" التي تستشف حجاب المجهول بالفراسة الذكية الخفية والحدس الباطني السريع. مثلما تأبى الخضوع لمقاييس الحس الظاهرة التي تخترق حرمات المجهول بالأدلة المنطقية والاستنباط المتروي البطيء، وإنما تخضع لتصور حوار علوي بين ذاتين: ذات متكلمة آمرة معطية، و ذات مخاطبة مأمورة متلقية)[2].

ثم ينتقل الدكتور هيكل في الحديث عن مقدمات نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وهو التحنث في غار حراء، ولكنه مع حديثه يخلط في تفسيره للتحنث بين الحق والباطل إذ أنه يدعي أنّ النبي -ﷺ- كان يطيل الصوم ويتجه إلى الله عزّ وجل ويتأمل ويتفكر وهو لا يعلم أنّ ما يقوم به من رياضة روحية إنما هي تهيئة من الله سبحانه وتعالى وتوفيق لنبيه ﷺوتجهيز

---

[1] صبحي الصالح مباحث في علوم القران ص22

[2] المرجع السابق ص 25

ليتلقى النبأ العظيم انه رسول الله قال هيكل: (و شارف محمد الأربعين، و ذهب إلى حراء يتحنث و قد امتلأت نفسه إيمانا بما رأى في رؤاه الصادقة، و قد خلصت نفسه من الباطل كله، و قد أدّبه ربه فأحسن تأديبه، و قد اتجه بقلبه إلى الصراط المستقيم و إلى الحقيقة الخالدة، و قد اتجه إلى اللّه بكل روحه أن يهدي قومه بعد أن ضربوا في تيهاء الضلال. و هو في توجّهه هذا يقوم و يرهف ذهنه و قلبه، و يطيل الصوم، و تثور به تأملاته، فينحدر من الغار إلى طرق الصحراء، ثم يعود إلى خلوته ليعود فيمتحن ما يدور بذهنه و ما يتبين له في رؤاه. و لقد طالت به الحال ستة أشهر، حتى خشي على نفسه عاقبة أمره، فأسرّ بمخاوفه إلى خديجة و أظهرها على ما يرى، و أنه يخاف عبث الجن به. فطمأنته الزوج المخلصة الوفيّة، و جعلت تحدثه بأنه الأمين، و بأن الجن لا يمكن أن تقترب منه، و إن لم يدر بخاطرها و لا بخاطره أن اللّه يهيئ مصطفاه بهذه الرياضة الروحية إلى اليوم العظيم، و إلى النبأ العظيم، يوم الوحي الأول، و يهيئه بها إلى البعث و الرسالة)[1].

لم يكن التحنث في غار حراء رياضة روحية توصل إلى الوحي والنبأ العظيم (النبوة)، وقد أخذت هذه القضية مساحة هامة عند العلماء هل كان عليه الصلاة والسلام متعبدا قبل البعثة ؟ وبماذا ؟ والى غيرها من الأسئلة التي أجابوا عنها بالدليل والحجة والبرهان.

قال القاضي عياض: (ولا خلاف بين أهل التحقيق أنه قبل نبوته ﷺ وسائر الأنبياء منشرح الصدر بالتوحيد، والإيمان بالله، لا يليق به الكفر ولا الشك في شيء من ذلك ولا الجهل به، ولا خلاف في عصمتهم من ذلك – خلافا لمن جوَّزه.... بل تظاهرت الأخبار الصحيحة عنه ﷺ وعن غيره من الأنبياء بصحة معرفتهم لله وهدايتهم من صغرهم وتجنُّبهم عبادة غير الله).[2]

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص148

[2] القاضي عياض إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم 315/1

وعن حقيقة التحنث في غار حراء ومعنى التحنث قال العلماء:

(يتحنَّثُ) أي يتعبد قال البدر العيني:

(تحنث تعبد مثل تحنف وفلان يتحنث من كذا بمعنى يتأثم فيه وقال السهيلي التحنث التبرر تفعل من البر ،والتحنث بالثاء المثلثة لأنه من الحنث والحنث الحمل الثقيل ، وسئل ابن الأعرابي عن قوله يتحنث فقال لا أعرفه وسألت أبا عمرو الشيباني فقال لا أعرف يتحنث إنما هو يتحنف من الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام قلت قد وقع في سيرة ابن هشام[1] يتحنف بالفاء)[2]

واختلف العلماء هل كان متعبداً صلى الله عليه وسلم بشريعة أم لا ؟

أجاب عن هذا الإمام القاضي عياض إذ قال (فقال بعضهم: إنه غير متعبد أصلاً، ثم اختلف هؤلاء: هل ينتفي ذلك عقلاً أم نقلاً ؟ فقال بعض المبتدعة: ينتفي عقلا ؛ لأن في ذلك تنفيرًا عنه، وغضب من قدره إذا تنبَّأ عند أهل تلك الشريعة التي كان من جملتهم، ومن كان تابعا فيبعُد منه أن يكون متبوعا. وهذا خطأ، والعقل لا يحيل هذا.

وقال الآخرون من حذاق أهل السنة: إنما ينتفي ذلك من جهة أنه لو كان لنُقِلَ، ولتداولته الألسن، وذكر في سيرته، فإن هذا مما جرَت العادةُ بأنه لا ينكتم. وقال غير هاتين الطائفتين: بل هو مُتعبَّدٌ، ثم اختلفوا أيضا: هل كان متعبداً بشريعة إبراهيم أو غيره من الرسل ؟ فقيل في ذلك أقوال).[3]

---

[1] ابن هشام السيرة النبوية 69/2

[2] العيني عمدة القارئ شرح صحيح البخاري 128/1 وقال في معناه القاضي عياض المعلم شرح صحيح مسلم 314/1، النووي المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 287/1، ابن الأثير النهاية في غريب الحديث 1060/1، وابن بطال شرح صحيح البخاري 53/1، ابن حجر في فتح الباري 23/1.

[3] القاضي عياض المعلم شرح صحيح مسلم 317/1

ويضيف ابن حجر فقال (وهو أنه صلى الله عليه و سلم هل كان قبل أن يوحى إليه متعبدا بشريعة نبي قبله؟ : قال الجمهور لا لأنه لو كان تابعا لاستبعد أن يكون متبوعا ،ولأنه لو كان لنقل من كان ينسب إليه ،وقيل نعم ،واختاره ابن الحاجب، واختلفوا في تعيينه على ثمانية أقوال أحدها آدم حكاه ابن برهان، الثاني نوح حكاه الآمدي، الثالث إبراهيم ذهب إليه جماعة واستدلوا بقوله تعالى (ثم أوحينا إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفا)، الرابع موسى، الخامس عيسى، السادس بكل شيء بلغه عن شرع نبي من الأنبياء وحجته(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)، السابع الوقف واختاره الآمدي ،ولا يخفى قوة الثالث ولا سيما مع ما نقل من ملازمته للحج والطواف ونحو ذلك مما بقي عندهم من شريعة إبراهيم والله أعلم وهذا كله قبل النبوة)[1].

فما قاله الدكتور هيكل في قصة تحنث النبي ﷺ في غار حراء من الصيام، والرياضة الروحية وغيرها يتنافى مع ما قاله علماء ومحققو هذه الأُمة في حقيقة التحنث أو التحنف.

ثم اعتمد في إيراد قصة أول نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم على رواية ابن هشام[2] التي رواها من طريق ابن إسحاق وهي طريق مقطوعة، وحاصلها أن الوحي نزل على رسول الله ﷺ في غار حراء وهو نائم وجاء فيها ما جاء في الروايات التي تتحدث أن الوحي نزل عليه وهو في اليقظة، لكن فيها بعض الألفاظ التي تشعر بضعفها وعدم دقتها وأنها رويت بالمعنى قال هيكل (و فيما هو نائم بالغار يوما جاءه ملك و في يده صحيفة، فقال له: اقرأ. فأجاب مأخوذا: ما أقرا! فأحس كأن الملك يخنقه ثم يرسله و يقول له: اقرأ. قال محمد: ما أقرأ! فأحس كأن الملك يخنقه كرّة أخرى، ثم يرسله و يقول: اقرأ. قال محمد– و قد خاف أن يخنق مرّة أخرى– ماذا أقرأ؟!...).[3]

---

[1] ابن حجر فتح الباري 717/8

[2] أشرت إليها في الفصل الأول

[3] محمد حسين هيكل حياة محمد ص148

فهذه الرواية تدل على أنها رويت بالمعنى والدليل على ذلك أنها قالت إن جبريل عليه الصلاة والسلام خنق النبي ﷺ، والنبي عليه الصلاة والسلام كأنه أحس بالخنق، وفي الكرة الثالثة قبل أن يخنقه خاف النبي صلى الله عليه وسلم ؟، وهذا يتنافى مع الروايات الصحيحة التي تروي القصة بدقتها ولفظها قال البخاري... حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: " ما أنا بقارئ "، قال: " فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني...[1].

والغط معناه كأنه أراد ضمي وعصري، والغط حبس النفس ومنه غطة في الماء أو أراد غمني.[2]

ويؤيد هذا المعنى الذي ذهب إليه هيكل ما روى أبو داود الطيالسي في مسنده قال (حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرني أبو عمران الجوني، عن رجل، عن أُم المؤمنين عائشة قالت، إن رسول الله ﷺ اعتكف هو وخديجة شهرا، فوافق ذلك رمضان، فخرج رسول الله ﷺ وسمع: السلام عليكم قالت: فظننت أنه فجأه الجن، فقال: « أبشر، فإن السلام خير» ثم رأى يوما آخر جبريل عليه السلام على الشمس جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب، فهبت منه، قالت: فانطلق يريد أهله، فإذا هو بجبريل عليه السلام بينه وبين الباب قال: « فكلمني حتى أنست به، ثم وعدني موعدا » قال: « فجئت لموعده، واحتبس علي جبريل، فلما أراد أن يرجع إذا هو به وبميكائيل عليه السلام، فهبط جبريل إلى الأرض وبقي ميكائيل بين السماء والأرض » قال: « فأخذني جبريل فصلقني لحلاوة القفا، وشق عن بطني، فأخرج منه ما شاء الله ثم غسله في طست[3] من ذهب ثم

---

[1] صحيح البخاري 3/1 رقم 3
[2] ابن حجر فتح الباري 24/1
[3] إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه

أعاده فيه، ثم كفأني كما يكفأ الإناء، ثم ختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم، ثم قال لي: (اقرأ باسم ربك)[1]، ولم أقرأ كتابا قط، فأخذ بحلقي حتى أجهشت بالبكاء، ثم قال لي: (اقرأ باسم ربك الـــذي خلـــق خلـــق الإنســـان مـــن علـــق) إلـــى قولـــه تعـــالى: (ما لم يعلم)، قال: فما نسيت شيئا بعد، قال: ثم وزنني برجل فوزنته، ثم وزنني بآخر فوزنته، ثم وزنني بمائة، فقال ميكائيل: تبعته أمته ورب الكعبة، قال: ثم جئت إلى منزلي فما يلقاني حجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله حتى دخلت على خديجة، فقالت: السلام عليك يا رسول الله »[2]

والحديث حسن الإسناد كما حكم ابن حجر على هذا الحديث[3].

وفي هذه الرواية التي تقول فيها السيدة عائشة رضي الله عنها إن النبي ﷺ قال اخذ جبريل بحلق النبي ﷺ حتى أجهشت بالبكاء أي النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف يمكن أن تقول هذا السيدة عائشة وهي من روت الحديث الذي عند البخاري، إلا أن تكون هذه الرواية مروية بالمعنى على ما يبدوا، ثم إن أبا داود الطيالسي قال في سند هذا الحديث حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرني أبو عمران الجوني، عن رجل، عن عائشة، ففي سند هذا الحديث رجل مبهم غير معلوم وهذا يؤكد أن هذا الحديث فيه علة، لكن الإمام ابن حجر يقول إن إسناده حسن ولعله اطلع على شيء لم أطلع عليه.

وعلى الرغم من اطلاع هيكل على صحيح مسلم الذي أورد أيضا حديث نزول الوحي على جبريل على النبي ﷺوهو في غار حراء على نحو ما أخرج البخاري، إلا أنه اعتمد رواية ابن هشام السالفة الذكر، لأن هذه الرواية تتفق مع منهجه الذي اعتمده في كتابه.

---

1 سورة: العلق آية رقم: 1

2 مسند الطيالسي 125/3

3 ابن حجر فتح الباري 24/1

وقد عرف العلماء المحققون الوحي فكانت عباراتهم في المعنى اللغوي قريبة من بعضها ، فالقول الجامع في معنى الوحي اللغوي: (انه الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه اليه، بحيث يخفى على غيره).[1]

وأما المعنى الاصطلاحي فقد تباينت أقوال العلماء في تعريف الوحي وان كان في حاصلها تتفق في معناً واحد وهو : (إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه)[2]

ولقد فند العلماء المحققون الشبهات التي دارت حول الوحي قديما وحديثا برد علمي دقيق وكان ممن انبرى لهذه المهمة الشيخ محمد رشيد رضا فقد ذكر شبهات المستشرقين والرد عليها، وكذلك ذكر الدكتور محمد عبدالله دراز في كتابه النبأ العظيم الشبهات دون الإشارة إلى أصحابها ورد بطريقة علمية فائقة نقل عنه فيما بعد الدكتور فضل حسن عباس، ومحمد عبدالعظيم الزرقاني ومناع القطان وغيرهم.

---

[11] فضل حسن عباس إتقان البرهان في علوم القران67/1 وينظر ابن منظور لسان العرب، مادة و ح ي 379/15. الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب الياء فصل الواو 410/4. محمد عبدالله دراز المختار من كنوز السنة النبوية ص2. مناع القطان مباحث في علوم القران39. الراغب الأصفهاني مفردات غريب القران ص858 والرازي مختار الصحاح 740

[2] ابن حجر فتح الباري 14،15/1، كتاب الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله– ﷺ – . الزرقاني مناهل العرفان في علوم القران 63/1، محمد عبدالله دراز المختار من كنوز السنة النبوية ص2 ، فضل حسن عباس إتقان البرهان في علوم القران 67/1 ومناع القطان مباحث في علوم القران29

المبحث الثاني

المعجزات في كتاب حياة محمد وموقفه منها، وفيه ثلاثة مطالب.

تمهيد تعريف المعجزة لغة واصطلاحا.

المطلب الأول: موقف هيكل من المعجزات.

المطلب الثاني: موقف هيكل من حادثة طير الأبابيل.

المطلب الثالث: موقف هيكل من حادثة شق الصدر لنبي صلى الله عليه وسلم في صغره.

تمهيد تعريف المعجزة لغةً واصطلاحاً

المعجزة لغةً: أصل المعجزة من (العَجْز) "والعَجْزُ الضعف [1]

والعَجْزُ: "نقيض الحزم"[2]، "والعَجْزُ: أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره... وصار في العرف اسماً للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة، "[3]، وجاء في معنى الإعجاز "الفوت والسبق[4] ، وغالب هذه المعاني الواردة في المعجزة تدل على ضعف الخصم وتأخره وعدم قدرته على المواجهة بالشيء المتحدى به.[5]

المعجزة اصطلاحاً:

إطلاق لفظ (المعجزة) على ما يأتي به النبي لإظهار صدقه في دعواه للنبوة، لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا على ألسنة الأئمة المتقدمين ،وإنما الذي ورد لفظ الآية، والبينة، والبرهان.

فالمعجزة هي: "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة[6].

---

[1] الجوهري الصحاح 883/3-884.

[2] ابن عباد المحيط في اللغة 241/1.

[3] الفيروز آبادي بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز- 22/4، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة ط 1389هـ-1969م.

[4] الأزهري تهذيب اللغة 340/1.

[6] اللقاني جوهرة التوحيد 2/ 791 ، الجرجاني التعريفات ص282 ، السيوطي الإتقان في علوم القران 311/2

المطلب الأول: موقف هيكل من المعجزات، ومناقشة موقفه.

كان موقف هيكل من المعجزات واضحاً لا لبس فيه، ينكرها ويسوق الأدلة التي تؤيد موقفه ويذكر العلماء الذين أيدوه في هذه الفكرة محاولاً إقناع الناس أنّ يأخذوا برأيه، ويعيب على العلماء الذين أوردوا هذه المعجزات من محدثين وأصحاب السير ومؤرخين معللاً ذلك بعلل كثيرة، وينتقد من ينتقده ويعيب عليهم أنهم انتقدوه قال هيكل (وعلى هذا الأساس أبدى بعضهم ملاحظات في أكثرها رفق و مجادلة بالتي هي أحسن ابتغاء الوصول إلى الحق، و في بعضها عنت أو جهل لا يرضي أيهما لنفسه من أوتي حظّا من العلم. أما الذين جادلوا في رفق فتنصرف أكثر ملاحظاتهم إلى أننا لم نذكر ما ورد في كتب السيرة و الحديث من المعجزات).[1]

وكان من الذين انتقدوا هيكل شيخ الإسلام مصطفى صبري في كتابه موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين إذ أنه ناقش إنكار هيكل للمعجزات برفق وكان يصفه بالباشا ومعالي ويفند أقواله بالحجة والدليل العلمي الرصين.[2]

تحدث هيكل عن المعجزات وخوارق العادات مبتدئاً حديثه أنّ أصحاب السير كانوا يُزيدون و يُنقصون في إيراد هذه المعجزات دون مسوّغ إلا في اختلاف الأزمان التي صنفت هذه الكتب فيها، قديمها أقل رواية للخوارق من متأخرها، وما ورد من الخوارق في الكتب القديمة أقل بعداً عن مقتضى العقل مما ورد في كتب المتأخرين .

وبناء على ذلك فلا بد من إعمال مقياس النقد العلمي الحديث على هذه الأخبار فما يوافق المنهج العلمي الحديث يؤخذ به وما خالف يرد.

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص61

[2] مصطفى صبري موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين 1/27-28

الأسباب التي دعته إلى إنكار المعجزات هي:

1- أنّ إيراد المعجزات من الأسباب التي اتخذها خصوم الإسلام حجة على الإسلام وأهل الإسلام، ولو أن العلماء الذين ذكروا هذه المعجزات كانوا في هذا الزمان لأعرضوا عن ذكرها واكتفوا بالقران فهو المعجزة الوحيده لسيدنا محمد- ﷺ-، وأخذوا برأي العلماء وقولهم في نفي هذه المعجزات ،أمثال الشيخ الغزالي و محمد عبده و المراغيّ و سائر المدققين من الأئمة في هذا الزمن على حسب رأيه.[1]

ولو أردنا أن نسأله ما هو الشيء الذي ورد في الشرع الإسلامي ولم يُطعن فيه ؟

من القرآن الكريم أولاً الذي يقول إنه المعجزة الوحيدة لنبينا محمد -ﷺ- ألم يقل خصوم الإسلام والمستشرقون إنه متناقض ومختلق من محمد -ﷺ-، ومن خصوم الإسلام من يقول أنه خليط من كتب اليهود والنصارى، ومنهم من يقول إنه غير منتظم وغير مرتب،ولم يبق مسألة واحدة تتعلق بالقرآن وعلومه إلاّ طعن أعداء الإسلام فيها.[2]

فهل إذا طعن خصوم الإسلام بالقرآن وعلومه وجعلوها حجة على أهل الإسلام نلغي هذا القرآن ؟ ونقول لا حاجة لنا به لأن خصومنا ينكرونه، فأي منهج هذا، إن هذا سبب واه ضعيف ولكن الأمر أكبر من ذلك.

إن العبارة التي يرددها في كتابه القرآن المعجزة الوحيدة لسيدنا محمد ﷺ ليقف خلفها شيء كبير، ألا وهو إنكار السنة النبوية لأن غالب معجزات النبي -ﷺ- ورد من طريق السنة النبوية، إنّ هذه العبارة توحي أنه لا يعترف إلاّ بالقرآن الكريم.

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص70

[2] ينظر كتاب محمد عبدالعظيم الزرقاني مناهل العرفان في علوم القران 79/1

2-إن الروايات التي أوردها العلماء تتحدث عن المعجزات وكان ظنهم أن هذه المعجزات تزيد الإيمان بدعوة رسول الله- ﷺ- وتزيد الإيمان بالله وتثبت القلوب، لكن على حسب رأيه خاب ظنهم فإنها أصبحت السبب في الزيغ وتبديل العقائد، وكان يكفي العلماء أن يذكروا ما في كتاب اللّه من آيات بينات و حجج دامغة.[1]

هذا كلام فيه نظر وحاصله الوصول إلى إنكار المعجزات النبوية مهما بلغت من القوة في الإسناد والمتن .

يقول سعيد حوى: (إن مما يعرف به الإنسان أنه رسول الله هو أن تظهر معه آثار قدرة الله. فتظهر على يديه خوارق لعادات هذا الكون وقوانينه وأسبابه هذا الكون مما لا يمكن أن يكون للجهد البشري فيه تعلق، فيعرف الناس بذلك أن هذا الإنسان رسول الله. بدليل أنها ظهرت معه آثار قدرة الله. وتقوم بذلك حجة الله على خلقه بأنه أرسل رسولاً، وتقوم بذلك حجة الرسول على الخلق بأنه صادق في دعوى الرسالة، ولا يكون لأحد عذر في عدم متابعة الرسول بعد ذلك.

... وكما تقوم الحجة على من عاصر الرسول ﷺ تقوم على مَن بعدهم بثبوت معجزاته تاريخياً إذ الثابت تاريخياً كالثابت مشاهدة في إقامة الحجة.... ولم يوجد رسول أبداً في تاريخ العالم كانت له معجزات كثيرة ثابتة ثبوتاً تاريخياً يتحدى أدق معايير النقد التاريخي مثل ما كان لخاتم رسل الله محمد صلى الله عليه وسلم. فإن معايير النقد التي وضعها علماء المسلمين لاستخلاص الوقائع الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وصل إليها العالم قط ولا يرقى إلى نتائجها شك).[2]

---

[1] ينظر محمد حسين هيكل حياة محمد ص72

[2] سعيد حوى الرسول صلى الله عليه وسلم ج2/309-310

لا بل يذهب هيكل إلى أكثر من ذلك إذ قال :(وكانت حياة النبيّ، في سموّها البالغ غاية السمو، هي التي دعت إلى الإيمان من آمن منهم. و إن كتب السيرة جميعا لتذكر أن طائفة من الذين آمنوا برسالة محمد قبل الإسراء قد ارتدّت عن إيمانها حين ذكر النبيّ أن اللّه أسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك حوله. و لم يؤمن سراقة بن جعشم، لمّا اتّبع محمدا حين هجرته إلى المدينة ليأتي أهل مكة به حيّا أو ميتا طمعا في مالهم، على رغم ما روت كتب السيرة من معجزة اللّه في سراقة و في جواده. و لم يذكر التاريخ أن مشركا آمن برسالة محمد لمعجزة من المعجزات).[1]

يَستَدل على أن المعجزات سبب لزيغ القلوب والردة، وذلك كان في حادثة الإسراء والمعراج، وهذا سراقة ما آمن يوم الهجرة النبوية على ما روي من معجزات يومها في كتب السيرة النبوية، وما ذكرت كتب التاريخ أن مشركا آمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب معجزة على حسب رأيه.

أما الروايات التي وردت أنّ بعض من أسلم ارتد يوم أن حدّث النبي– ﷺ– برحلة الإسراء فهي موقوفة على الحسن البصري قال في قوله تعالى: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس (الإسراء 60)، قال: أسري به عشاء إلى بيت المقدس، فصلى فيه، فأراه الله ما أراه من الآيات، ثم أصبح بمكة، فأخبرهم أنه أسري به إلى بيت المقدس، فقالوا: يا محمد ؟ ما شأنك أمسيت فيه، ثم أصبحت فينا تخبرنا أنك أتيت بيت المقدس ؟ فعجبوا من ذلك حتى ارتد بعضهم عن الإسلام[2].

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص73

[2] ابن هشام السيرة النبوية 245/2، الطبري تهذيب الآثار 282/6 .

الحسن البصري يرى أن سبب نزول هذه الآية هو من ارتد يوم الإسراء والمعراج فنزلت هذه الآية ومدار الخلاف حول رؤيا النبي ﷺ هل هي فتنة للناس أي لمن أسلم أم للكفار أم للجميع ؟

الحسن البصري يرى أنها للمسلمين فإنها امتحنت قلوبهم فأبو بكر الصديق رضي الله عنه اثبت الناس إيمانا صدق بما حدث به رسول الله –ﷺ– وعلى قول الحسن البصري ارتد بعض من أسلم.

وأورد الطبري في تفسيره أن الفتنة كانت كذلك للمشركين وهذا الرأي أيضا للحسن البصري قال الحسن، في قوله:(وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال: قال كفار أهل مكة: أليس من كذب ابن أبي كبشة أنه يزعم أنه سار مسيرة شهرين في ليلة.[1]

ويرى قتادة أن الفتنة كانت للكفار قال الطبري عن قتادة(وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال: الرؤيا التي أريناك في بيت المقدس حين أُسري به، فكانت تلك فتنة الكافر.[2] وقال كذلك (ذُكر لنا أن ناسا ارتدّوا بعد إسلامهم حين حدثهم رسول الله ﷺ بمسيره، أنكروا ذلك وكذّبوا له، وعجبوا منه، وقالوا: تحدّثنا أنك سرت مسيرة شهرين في ليلة واحدة)[3].

قال الطبري هذه الآية إنما نزلت في ذلك، وإياه عنى الله عزُ وجلّ بها، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وما جعلنا رؤياك التي أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس، إلا فتنة للناس: يقول: إلا بلاء للناس الذين ارتدّوا عن الإسلام، لمَّا أُخبروا بالرؤيا التي رآها، عليه

[1] الطبري جامع البيان في تفسير القران 481/17
[2] المرجع السابق نفس الصفحة
[3] المرجع السابق نفس الصفحة

الصلاة والسلام وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله ﷺ تماديا في غيهم، وكفرا إلى كفرهم.[1]

وحاصل القول إن هذه الرؤيا كانت فتنة للمسلمين وللكافرين، وأما ما ورد أنّ بعض الناس ارتدوا هي أخبار موقوفة على بعض التابعين الذين لم يشهدوا تلك الواقعة وإنما رُوي لهم وأُخبروا بها، ولو وضعت هذه الروايات في ميزان الجرح والتعديل لاعتبرت مرسلة.

وقد حقق هذه المسألة الشيخ سعد الحميد على نحو ما عرضت سابقاً في سؤال وجه إليه وحاصل القول في جوابه أن الروايات الواردة في هذا الموضوع ضعيفة السند ومنكرة المتن.[2]

وأما قول هيكل إن التاريخ لم يذكر أنّ أحداً لم يسلم بسبب معجزة ، فهذا كلام غير صحيح وغير دقيق، وأول سؤال يمكن أن يطرح هل قرأت كل كتب الحديث والسير والتاريخ حتى تجزم بهذا الكلام؟

ويرد كلامه حديث ابن عمر رضي الله عنهما إذ قال... كنا مع النبي ﷺ في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا قال له النبي ﷺ أين تريد قال إلى أهلي قال هل لك في خير قال: وما هو قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله قال: من شاهد على ما تقول ؟ قال: هذه الشجرة، فدعاها رسول الله وهو بشاطئ الوادي فأقبلت تخدّ الأرض خداً حتى جاءت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه فقال إن يتبعوني آتك بهم وإلا رجعت إليك فكنت معك.[3]

---

[1] الطبري جامع البيان في تفسير القران 484/17

[2] ينظر موقف الإسلام اليوم الشيخ سعد الحميد وفقه الله وحفظه في إجابة سؤال في موقع الإسلام اليوم: السؤال ما صحة حديث ارتداد بعض الصحابة عقب حادثة الإسراء والمعراج، بعد إخبار النبي صلى الله عليه وسلم لهم بها؟

[3] مسند أبي يعلى 34/10 قال حسين سليم أسد: إسناده حسن والطبراني المعجم الكبير 62/11 والبيهقي دلائل النبوة 13/6 الدارمي السنن 22/1 و ابن حبان الصحيح 434/14

وجاء كذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: بم أعرف أنك رسول الله ﷺ؟ فقال: إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتؤمن بي ؟ قال: نعم. فدعاه فجعل ينقز (أي يثب) حتى أتاه فقال: ارجع فعاد إلى مكانه فأسلم الأعرابي.[1]

وأخرج البزار وابن ماجه عن بريدة بن الخصيب رضي الله عنه قال: سأل أعرابي النبي ﷺ آية (أي علامة) تدل على أنه رسول الله فقال له: قل لتلك الشجرة: رسول الله يدعوك. فدعاها فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله فقالت: السلام عليك يا رسول الله. قال الأعرابي: مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت فقال الأعرابي: ائذن لي أسجد لك، أي بعد أن آمن به صلى الله عليه وسلم كما صرح به في رواية فقال له ﷺ: " لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ". فقال الأعرابي: فأذن لي أقبل يديك ورجليك فأذن له.[2]

فهذه ثلاثة أحاديث مختلفة تدل على أن أشخاصا طلبوا بينات ومعجزات على صدق دعوة النبي –ﷺ– وأجابهم النبي ﷺ وأظهر المعجزة المناسبة لذلك السؤال الذي طلب منه.

وإنني أجزم أن هيكل كان يقول كلاماً ليس دقيقاً، ولم يكن له اطلاع واسع على كتب المحدثين أو حتى السير أو التاريخ، ولو أردت أن أجمع ما ذكره الإمام ابن كثير في البداية والنهاية حول إسلام بعض الصحابة بسبب المعجزات لوجدناه أورد الكثير مما ذكرته سابقا.

3- الروايات التي وردت بخصوص المعجزات لا يقرها العقل ولا العلم لان مضرة هذه الروايات واضحة ملموسة.

[1] الترمذي السنن 549/5 وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب صحيح،والحاكم في المستدرك على الصحيحين 676/2وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه وقال الذهبي قي التلخيص: على شرط مسلم،والطبراني في المعجم الأوسط 179/5

[2] ابن ماجة السنن 581/5 وقال محقق الكتاب انه حديث صحيح، والبزار في المسند 343/10

أما إنّ العلم لا يقرها فهذا غير منضبط لأن العلم الذي يتحدث عنه غير الذي نتحدث عنه فعلمه أوروبي إستشراقي ،وإن كان يدعي أنه يكره الاستشراق ويقاومه، فلو كان يدعي علم أهل الإسلام ما قال هذا الكلام، فإن علم أهل الإسلام علم أسانيد ومتون ونقد وجرح وتعديل، أما علم الاستبصار والتحسس ورأي الفكر والعقل المنحرف فهو غير مقبول يقول سعيد حوى : (ولا يفوتنا هنا ونحن ننقل نوعاً آخر من أنواع معجزاته– ﷺ– أن نشير مرة ثانية إلى أن هذه النقول هي أدق نقول تاريخية في العالم. لأن معايير النقد التي وضعت لاستخراج صحيحها لا مثيل لها أبداً. مع ملاحظة أنها منقولة في النهاية عن الصحابة الذين كانوا يعتقدون أن الكذب على رسول الله ﷺ من أكبر الكبائر، وقد رباهم رسول الله ﷺ على الصدق، وما كان أحدهم يسكت على باطل رآه. فلو حدث أن صحابياً أخطأ في النقل فإنهم جميعاً كانوا يردون عليه إذا بلغهم خطؤه، وإذن فنحن إذ ننقل هذه النقول ننقلها باطمئنان الواثق إلى ما بين يديه، ولئن كان في الأخبار المروية عن الرسول ﷺ ما هو ضعيف فالعلة تكمن في أجيال ما بعد الصحابة وعلماء النقد عند المسلمين ما تركوا أمثال هذه تمر).[1]

وأما القول إنّ العقل لا يقرها ، فانه لا يفرق بين خارق العادة الممكن وخارق العقل المستحيل فإن هناك أموراً يستحيل وقوعها في العقل، وهناك أمور يمكن وقوعها بالعادة مثل المعجزات، فالله عزّ وجل واضع سنن الكون، فكيف تقيدون قدرة الله عز وجل بنظام هو وضعه وهو له القدرة المطلقة في هذا الوجود.[2]

[1] سعيد حوى الرسول صلى الله عليه وسلم ج2ص334

[2] مصطفى صبري موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين 48/1

إن العقل الذي يتحدث عنه الذي لا يقر المعجزات هو عقل سقيم ومريض. وكل اعتمادهم في ذلك على المستشرقين وقال شيخ الإسلام مصطفى صبري: (وليتهم قلدوا من علماء الغرب المتكلمين بمنطق العقل) [1]أي في الحديث عن المعجزات.

يقول سعيد حوى:

(إن المعجزة حجة على صحة الدعوة. غير أن بعض الناس يحاول أن يتهرب من حجيتها بذكر أشياء خارقة للعادة تظهر على يد غير الرسل، يراها الناس ثم يعتبر ذلك دليلاً على أنه لم تقم عليه الحجة بالمعجزة، والحقيقة أن هناك أشياء كثيرة يراها الناس خارقة للعادة وليست كذلك. والمعجزة تختلف عن كل هذه الأشياء وبهذا تقوم الحجة على الناس)[2].

إن العلم والعقل السليم لا ينكران المعجزات لإمكانية وقوعها عقلاً وشرعاً.

ثم إنّ جمعاً من المعتزلة الذين قرروا عقائدهم على أساس العقل أولاً كانوا يقرون بالمعجزات إجمالاً ولا ينكرونها أو يتأولونها تأويلاً باطلاً، فما من مفردة من مفردات عقائد الدين إلا عرضوها على العقل.

ومثال ذلك معجزة انشقاق القمر فالزمخشري مُنظر من منظري المذهب الاعتزالي العقلي يذهب إلى أنّ انشقاق القمر آية نيرة ومعجزة جليلة ويرد على من ينكرها بأنها لم تحدث وكذلك هو موقف القاضي عبد الجبار إذ يتحدث عن معجزات رسول الله – ﷺ– التي ثبت سندها فيقول: ومن ذلك انشقاق القمر لأن القران قد دل على كونه فهو بمنزلة التواتر وحصول الإجماع.[3]

وقال الزمخشري: (إن قلت ما معجزة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟

---

[1] المرجع السابق 47/1

[2] سعيد حوى الرسول ج2ص340

[3] القاضي عبدالجبار المغني في أبواب العدل والتوحيد 416/16

قلت القرآن ونحوها من انشقاق القمر وحنين الجذع وتسبيح الحصى وغيرها).[1]

المطلب الثاني: موقف هيكل من حادثة طير الأبابيل

أنزل الله عزّ وجل سورة خالدة تبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها تتحدث للناس جميعاً عن قصة أصحاب الفيل، محذرة كل من يريد أن يقترب من بيته الحرام بالأذى، وتبرز جوانب العظمة الربانية في كيفية إظهار قوته على من يريد أن يتمادى ويطغى، فبحجارة من سجيل نقلتها طير الأبابيل أهلكهم الله.

لقد تواترت القصة من خلال ما ذكر الله عزّ وجل، ومن خلال ما تناقله أهل مكة الذي أصبح ذلك اليوم تاريخاً لهم، وقد كان ميلاد رسول الله – ﷺ– مؤرخاً بعام الفيل. وكان كتاب السيرة النبوية يذكرون قصة أصحاب الفيل كما أخبر الله عنها وكما تناقلها الرواة جيلا عن جيل، لكن كان للدكتور هيكل مع قصة أصحاب الفيل وهلاكهم موقف آخر إذ أنه ساق القصة كما ذكرها أصحاب السير، ولكن لما وصل إلى قصة هلاك أبرهة وجيشه أشار إلى أنّ هلاكهم كان بسبب مرض الجدري ولم يشر إلى الطير التي حملت حجارة من سجيل قال هيكل: (فلما انصرفوا وخلت مكة منهم وآن لأبرهة أن يوجّه جيشه ليتمّ ما اعتزم فيهدم البيت و يعود أدراجه إلى اليمن، كان وباء الجدريّ قد تفشى بالجيش و بدأ يفتك به؛ و كان فتكه ذريعا لم يعهد من قبل قطّ. و لعل جراثيم الوباء جاءت مع الريح من ناحية البحر، و أصابت العدوى أبرهة نفسه، فأخذه الروع و أمر قومه بالعودة إلى اليمن.

وفر الذين كانوا يدلّون على الطريق و مات منهم من مات. و كان الوباء يزداد كل يوم شدّة و رجال الجيش يموت منهم من يموت كل يوم بغير حساب. و بلغ أبرهة صنعاء و قد تناثر جسمه من المرض، فلم يقم إلا قليلا حتى لحق بمن مات من جيشه)[1].

---

[1] الزمخشري المنهاج في أصول الدين ص21

والعجيب أنه بعد ذكره لسبب الهلاك ذكر سورة الفيل إذ قال:(و بذلك أرّخ أهل مكة بعام الفيل هذا، و خلده القرآن بذكره: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ).

لقد ذكرت بعض المراجع أن من أسباب هلاك جيش أبرهة هذه القصة التي أوردها هيكل قال المقريزي: (وخرج عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما أرسل الله على أصحاب الفيل جعل لا يقع حجر على واحد منهم إلا تفطّر جسده، فذلك أول ما كان الجدري، فأرسل الله سيلا فذهب بهم فألقاهم في البحر.

وعن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء أصحاب الفيل حتى نزلوا الصّفاح، فأتاهم عبد المطلب جد النبي –ﷺ– فقال: إن هذا بيت الله لم يسلط عليه أحد، قالوا: لا نرجع حتى نهدمه، فكانوا لا يقدمون فيلهم إلا تأخر. فدعا الله بالطير الأبابيل، فأعطاها حجارة سودا عليها الطين، فلما حاذتهم صفّت عليهم ثم رمتهم، فما بقي منهم أحد إلا أخذته الحكة، فكان لا يحك إنسان منهم جلده إلا تساقط لحمه)[2].

وقال الكلاعي :(وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحدا إلا هلك وليس كلهم أصابت،وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة كلما سقطت أنملة منها أتبعتها مدة تمث قيحا ودما حتى قدموا به

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص120

[2] المقريزي إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع 82/4

صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون ويقال إنه أول ما رئيت الحصبة و الجدري بأرض العرب ذلك العام وإنه أول ما رئي بها مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشر ذلك العام)[1].

وذكر الإمام البيهقي هذه القصة بسنده إلى عكرمة في قوله تعالى (طيراً أبابيل) يقول كانت طيراً نشأت من قبل البحر لها مثل رؤوس السباع لم تر قبل ذلك ولا بعده فأثرت في جلودهم أمثال الجدري فإنه لأول ما رؤي الجدري).[2]

ويمكن أن نعتذر لهيكل انه حين قرأ هذه الروايات أخطأ في صياغتها، ويمكن أنه يعتقد ما كتب ولكن من أين له بهذه الرواية التي كتبها أن الريح جاءت من تلقاء البحر وحملت الجدري معها وهنا يبرز الخلط والزيادة في القصة، ولا يمكن حمل حسن النية في كتابته لهذه القصة، فلا يجوز العدول عن ظاهر الكلام لمعنى مجازي إلا بقرينة، فكيف إذا كانت القرينة تمنع من ذلك؛ لأن المقام مقام إعجاز، والنص صريح بذكر طير الابابيل .

ولعل الدكتور هيكل نقل هذا الكلام عن الشيخ محمد عبده الذي كان يقول بهذا الكلام يقول الشيخ محمد عبده :(وفي اليوم الثاني فشا في جند الحبشي داء الجدري والحصبة، قال عكرمة: وهو أول جدري ظهر في بلاد العرب، وقال يعقوب بن عتبة فيما حدث: إن أول ما رؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام..هذا ماتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به.. فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض وأن تكون هذه الحجارة من الطين اليابس الذي تحمله الريح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فإذا اتصل

---

[1] الكلاعي الاندلسي سليمان بن موسى الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء 81/1 والسيوطي الخصائص الكبرى 73/1 ومحمد بن يوسف الصالحي الشامي سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد 220/1

[2] البيهقي دلائل النبوة 123/1

بجسد دخل في مسامه فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه، وإن كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، وإن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنه، وهو فرق وجماعات لا يحصي عددها إلا بارئها.هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير السورة وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته!)[1]

وقد فند فهد الرومي كلام الشيخ محمد عبده بقوله (وما زعمه الإمام من كون الروايات اتفقت على ما ذكر غريب في باب العلم وعجيب في تفسير القرآن،بل الروايات مختلفة في ذلك،وكذا أمر الجدري لم تتفق الروايات على وقوعه في جيش أبرهة، بل لم تشر أي رواية إشارة صريحة إلى وقوعه فيهم إلا رواية عكرمة.ثم إن القضية ليست في وقوع الجدري في جيش أبرهة أو عدم وقوعه، فهذا أمر لم يشر إليه القرآن لا بإثبات ولا نفي،بل القضية هي تأويل الطير على أنه البعوض أو الذباب، وتأويل الحجارة من سجيل بالجراثيم).[2]

ورد كذلك محمد حسين الذهبي على الشيخ محمد عبده في موقفه من هذه القصة قائلاً (وهنا أيضاً نجد الأستاذ الإمام قد خالف طريقته في مبهمات القرآن فراح يخوض في التفصيلات والجزئيات، ثم جوَّز أن تكون الطير هي ما يُسمى اليوم بالميكروبات، كما جوَّز أن تكون الحجارة هي جراثيم بعض الأمراض، وهذا ما لا نُقره عليه، لأن هذه الجراثيم التي اكتشفها الطب الحديث لم يكن للعرب علم بها وقت نزول القرآن، والعربي إذا سمع لفظ الحجارة في هذه السورة لا ينصرف ذهنه إلى تلك الجراثيم بحال من الأحوال، وقد جاء القرآن بلغة العرب، وخاطبهم بما يعهدون ويألفون)[3].

---

[1] محمد عمارة الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده 5/528-529.

[2] فهد الرومي منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ص: 724-725.

[3] محمد حسين الذهبي التفسير والمفسرون 5/34

وقد أنكر عدد من كتاب السيرة النبوية على من ينكرون قصة طير الأبابيل فقال محمد الطيب النجار :(وبذلك يتبين لنا مدى الخطأ الذي وقع فيه بعض العلماء الذين أنكروا الطير والحجارة، وقالوا إن الله –عز وجل– يريد بالطير الرياح المتجمعة، وبالحجارة ذرات التراب التي حملت ميكروب الجدري، فإنه لم يعهد في لغة العرب أن يقال عن الرياح: إنها طير أبابيل أي جماعات من الطير، ولا ينبغي أن يقال ذلك إلا بطريق مجازي بعيد، ولا يصح أن يلجأ إلى مثل هذا المجاز ما دامت الحقيقة غير مستحيلة على قدرة الله1، وكذلك الذرات من التراب، لا يقبل في لغة العرب أن يقال عنها حجارة من سجيل، أي من طين مطبوخ بالنار وهو الآجر، وإذا كانت الريح قد حملت ميكروب الجدري فلماذا هلك الأحباش وحدهم، ولم يهلك معهم العرب؟.

وإذا كان حادث الفيل قد وقع عام ميلاد الرسول –ﷺ– فمن المعقول أن "سورة الفيل" قد نزلت على الرسول –ﷺ– في وقت كان يعيش فيه من أهل مكة أناس رأوا حادث الفيل بأعينهم، وبعضهم من أعداء الرسول –ﷺ– فلو لم تكن الطيور طيورًا حقيقية والحجارة حجارة حقيقية لظهر من العرب من يسارع إلى تكذيب هذه السورة، ويعلن ذلك على رءوس الأشهاد وينتهزها فرصة في الكيد لمحمد –ﷺ– والطعن عليه.

ولكن الواقع أن "سورة الفيل" قد نزلت، فتلقاها العرب بالقبول؛ لأنها تقرر حقيقة معروفة عندهم لا شك فيها ولا يجرؤ أحد على إنكارها.)[1].

وقد أطال أحمد بن محمد فكير النفس والمناقشة وذكر من اعتقد ما قاله هيكل في هذه القصة من أصحاب المدرسة العقلية والذاتية والرد عليهم في بحثه الكتابة العربية المعاصرة في السيرة النبوية ، قضايا وملاحظات.[2]

---

[1] محمد الطيب النجار القول المبين في سيرة سيد المرسلين 25/1

[2] احمد بن محمد فكير الكتابة العربية المعاصرة في السيرة النبوية ، قضايا وملاحظات ص35

المطلب الثالث: موقف هيكل من حادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم في صغره

إن أيَ معجزة أو أي حدث خارج عن المألوف في سيرة النبي -ﷺ- يحشد له هيكل الأدلة والبراهين التي يمكن أن يرى فيها أملاً بإبطال هذه المعجزة، وتقويضها لأن هذه المعجزات والخوارق تنقض المنهج الذي يسير عليه في كتابه وهو عرض حقائق الدين على منهج الغرب في البحث العلمي مهما كانت النتائج.

لقد عرض الدكتور هيكل لقصة شق صدر النبي - ﷺ- وهو في بني سعد محيطاً القصة بالريبة والشك ومستدلاً بالمستشرقين والمفكرين من العرب وجامعاً الأدلة على أنّ هذه القصة توهم وكذب وافتراء وليست بحقيقة قال هيكل: (في هذه الفترة و قبل أن يبلغ الثالثة تقع الرواية التي يقصونها من أنه كان مع أخيه الطفل من سنّه في بهم لأهله خلف بيوتهم؛ إذ عاد أخوه الطفل السعديّ يعدو و يقول لأبيه و أمه: ذلك أخي القرشيّ قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه، فهما يسوطانه و يروى عن حليمة أنها قالت عن نفسها و زوجها. «فخرجت أنا و أبوه نحوه، فوجدناه قائما ممتقعا وجهه، فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: مالك يا بنيّ؟ قال:جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقّا بطني فالتمسا فيه شيئا لم أدر ما هو و رجعت حليمة ورجع أبوه إلى خبائهما. و خشي الرجل أن يكون الغلام أصابته الجن. فاحتملاه إلى أمه بمكة). [1]

ثم ذكر أن هذه القصة رواها ابن إسحاق ولكن ابن إسحاق لا يرى أن هذا سبب وجيه لإرجاع النبي ﷺ إلى أُمه فهو يحتاط بعد أن يقص هذه القصة و يذكر أن السبب في ردّه إلى أمه لم يكن حكاية الملكين و إنما كان على ما روته حليمة لآمنة، أنّ نفرا من نصارى الحبشة رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه، فنظروا إليه و سألوها عنه و قلّبوه ثم قالوا: لنأخذن هذا الغلام فلنذهب

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص127

به إلى ملكنا و بلدنا؛ فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره؛ و لم تكد حليمة تُقلت به منهم على حسب رأي هيكل.

ويشير هيكل إلى أن الطبري كذلك يرويها ، لكنه يحيطها بالريبة؛ إذ يذكرها في هذه السنة من حياة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يعود فيذكر أنها وقعت قبيل البعث و سنّه أربعون سنة حسب رأي هيكل. ثم يواصل الطعن في هذه القصة مستخدماً أوهن الأدلة ليقنع الناس بتلفيق هذه القصة وزيادتها في سيرة رسول الله ﷺ ويجعلها أنها من نسج خيال المحدثين وكتاب السيرة النبوية، ومن خلال خصوم هذا الدين يريد أن يستدل بهم على كذب هذه القصة إذ قال: (لا يطمئن المستشرقون و لا يطمئن جماعة من المسلمين كذلك إلى قصة الملكين هذه و يرونها ضعيفة السند ، فالذي رأى الرجلين في رواية كتّاب السيرة إنما هو طفل لا يزيد على سنتين إلا قليلا، و كانت كذلك سن محمد يومئذ. و الروايات تجمع على أن محمدا أقام ببني سعد إلى الخامسة من عمره. فلو كان هذا الحادث قد وقع و سنّه سنتان و نصف سنة، و رجعت حليمة وزوجها إذ ذاك به إلى أمه، لكان في الروايتين تناقض غير مقبول. و لذلك يرى بعض الكتّاب أنه عاد مع حليمة مرة ثالثة، ولا يرضى المستشرق سير و ليم موير أن يشير إلى قصة الرجلين في ثيابهما البيضاء و يذكر أنه إن كانت حليمة و زوجها قد نبها لشيء أصاب الطفل فلعله نوبة عصبية أصابته، ولم يكن لها أن تؤذي صحته لحسن تكوينه. و لعل آخرين يقولون: إنه لم يكن في حاجة إلى من يشقّ بطنه أو صدره ما دام اللّه قد أعده من يوم خلقه لتلقي رسالته.

ويرى در منجم أن هذه القصة لا تستند إلى شي ء غير ما يفهم من ظاهر الآيات: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَ وَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ. الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) «الشرح 3» و أن ما يشير القرآن إليه إنما هو عمل روحيّ بحت، والغاية منه تطهير هذا القلب و تنظيفه ليتلقى الرسالة القدسية خالصا و يؤدّيها مخلصا تمام الإخلاص محتملا عبء الرسالة المضني.

وإنما يدعو المستشرقين و يدعو المفكرين من المسلمين إلى هذا الموقف من ذلك الحديث أن حياة محمد كانت كلها إنسانية سامية، وأنه لم يلجأ في إثبات رسالته إلى ما لجأ إليه من سبقه من أصحاب الخوارق. وهم في هذا يجدون من المؤرخين العرب والمسلمين سندا حين ينكرون من حياة النبي العربيّ كل ما لا يدخل في معروف العقل، و يرون ما ورد من ذلك غير متفق مع ما دعا القرآن إليه من النظر في خلق اللّه، و أن سنّة اللّه لن تجد لها تبديلا، غير متفق مع تعبير القرآن للمشركين أنهم لا يفقهون أن ليست لهم قلوب يعقلون بها)[1].

إذا الدليل القاطع عنده في أن هذه القصة ملفقة وغير صحيحة هو عدم اطمئنان المستشرقين وجماعة من المسلمين إلى هذه القصة، الاطمئنان عند هذه المدرسة ضروري لإنكار أي حدث في سيرة رسول الله ﷺ، والمستشرقون يرون هذه القصة غير صحيحة لأنها ضعيفة السند. فلو أردنا أن نسأله وكيف عرفوا ذلك هل درسوا ونقبوا عن رجال هذه القصة ؟ وهل كان اعتمادهم على إسنادي ابن إسحاق والطبري فقط أم أن المستشرقين ضعفوا سندها أينما وردت ؟.

إن الواضح من كلام هيكل في هذه القصة انه لا يفرق بين المتن والسند والدليل على ذلك انه لما ذكر أقوال المستشرقين مثل موير ومنجم طعنوا في المتن ولم يطعنوا في السند فهذا يعطينا دليلاً على أن هيكل يهم في ما يكتب ولا يعرف المصطلحات العلمية. ولو كان أحد من المؤرخين من المسلمين وأصحاب السير ذكروا دليلاً واحداً لتضعيف هذه القصة لذكره وعلق عليه ووضع له ديباجة ونتائج ليسقط هذه الرواية، وما ذكر أن ابن إسحاق احتاط في هذه الرواية وروى أن سبب إرجاع النبي ﷺ إلى أمه قصة النصارى معه عليه الصلاة والسلام غير صحيح إذ أن ابن إسحاق لم يذكر القصة التي أوردها هيكل بعد حادثة شق صدر النبي ﷺ ولكن ذكر حديث تبع الحميري[2].

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص129

[2] ابن اسحاق السيرة النبوية 11/1

وأما ما ذكر أن الطبري أحاط هذه الرواية بالريبة والشك، وذلك أنه ذكر قصة شق صدر النبي ﷺ وهو في سن الأربعين، ولم يذكر قصة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بني سعد .

ولكن الحقيقة غير ذلك ودليلي على ذلك أن الطبري ذكر ثلاثة أسانيد تروي قصة شق صدر النبي ﷺ[1].

وأما ما ذكر أن الطبري أحاطها بالريبة فهذا فيه نظر، فقد روى أن النبي ﷺ حصل معه شق الصدر وهو في الأربعين قال الطبري :

(وكان رسول الله ﷺ من قبل أن يظهر له جبريل عليه السلام برسالة الله عز و جل إليه فيما ذكر عنه يرى ويعاين آثارا وأسبابا من آثار من يريد الله إكرامه واختصاصه بفضله فكان من ذلك ما قد ذكرت فيما مضى من خبره عن الملكين اللذين أتياه فشقا بطنه واستخرجا ما فيه من الغل والدنس وهو عند أمه من الرضاعة حليمة ومن ذلك أنه كان إذا مر في طريق لا يمر فيما ذكر عنه بشجر ولا حجر فيه إلا سلم عليه).[2]

وأما ما ذكر من أقوال يشكك فيها المستشرقون بهذه القصة فإنها تتساقط وتتهاوى أمام ما أخرجه الأئمة أمثال الإمام مسلم وأحمد وغيرهما من حديث أنس:

(أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال:هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء

[1] الطبري تاريخ الأمم والملوك 1/455-458

[2] الطبري تاريخ الأمم والملوك 1/529

زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا: إن محمدا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره)[1].

فلا داعي للرد على المستشرقين الذين تحدثوا بكلام حول هذه القصة وسأذكر كلام الحافظ ابن حجر حول قصة شق صدر النبي ﷺ إذ قال:

(وقد استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء وقال إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد ولا إنكار في ذلك فقد تواردت الروايات به وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل ولكل منهما حكمة فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس فأخرج علقة فقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا في زمن الطفولة فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ثم وقع شق الصدر عند البعث زيادة في إكرامه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه صلى الله عليه و سلم ،ويحتمل أن تكون الحكمة في انفراج سقف بيته الإشارة إلى ما سيقع من شق صدره وانه سيلتئم بغير معالجة يتضرر بها وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك)[2]

ثم ذكر في موضع آخر فقال (وان شق الصدر وقع أيضا عند البعثة كما أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده وأبو نعيم والبيهقي في دلائل النبوة وذكر أبو بشر الدولابي بسنده انه ﷺ رأى

---

[1] صحيح مسلم 101/1 الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومسند احمد 149/3 حديث انس بن مالك ومسند البزار 342/13 ومستخرج أبو عوانة 173/1 والبيهقي دلائل النبوة 147/1 و ابن ابي شيبة المصنف 294/14

[2] ابن حجر فتح الباري 205/7

في المنام أن بطنه أخرج ثم أعيد فذكر ذلك لخديجة الحديث وتقدم بيان الحكمة في تعدد ذلك ووقع شق الصدر الكريم أيضا في حديث أبي هريرة حين كان ابن عشر سنين وهو عند عبد الله بن أحمد في زيادات المسند وتقدم الإلمام بشيء من ذلك في الترجمة النبوية)[1].

وحاصل القول إن موضوع شق صدر النبي ﷺ ثابت صحيح وقد حدث ثلاث مرات:

الأولى: في طفولته عند حليمة لنزع العلقة التي قيل له عندها هذا حظ الشيطان منك، والحديث في ذلك ثابت صحيح أخرجه مسلم وغيره.

الثانية: عند مبعثه ليتلقي ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير كما أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده وأبو نعيم والبيهقي في دلائل النبوة.[2]

والثالثة: يوم الإسراء والمعراج ليتأهب للمناجاة. وقد ثبتت هذه المرة في الصحيحين وغيرهما.

وما ذكره المستشرق درمنجم أن حادثة شق صدر النبي ﷺ لم تكن حسية إنما كانت روحية بحته نابعة من كلام الله عزوجل في سورة الشرح، وهذا الفهم غير صحيح إذ أن أهل التفسير يرون أن حادثة شق الصدر كانت حسية ومعنوية، قال ابن العربي : (الْآيَةُ الْأُولَى قَوْله تَعَالَى: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَك صَدْرَك }: شَرْحُهُ حَقِيقَةٌ حِسِّيَّةٌ، وَذَلِكَ حِينَ كَانَ عِنْدَ ظِئْرِهِ، وَحِينَ أُسْرِيَ بِهِ، وَشَرَحَهُ مَعْنًى حِينَ جَمَعَ لَهُ التَّوْحِيدَ فِي صَدْرِهِ وَالْقُرْآنَ، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا، وَشَرَحَهُ حِينَ خَلَقَ لَهُ الْقَبُولَ لِكُلِّ مَا أَلْقَى إلَيْهِ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ تَمَامُ الشَّرْحِ وَزَوَالُ التَّرَحِ)[3].

إن الأدلة التي جاء بها هيكل ليبطل صحة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بني سعد تتهاوى أمام الأسانيد الصحيحة والإجماع من العلماء المحققين من محدثين ومفسرين

---

[1] المرجع السابق 481/13

[2] البيهقي دلائل النبوة 142/2

[3] ابوبكر ابن العربي أحكام القران270/9

ومفكرين قدامى ومعاصرين ، فما زال الاعتقاد بصحة هذه القصة يتناقل جيلاً عن جيل إلى زمننا، وكيف يمكن له أن يحط من قدر قدرة الله عزوجل الذي علم البشر في هذا الزمن كيف يشقون عن الصدور ويجرون العمليات الجراحية حتى للأعصاب، وكيف له أن يصدق أنّ عيسى كان يحي الموتى بإذن الله، وكيف أحيى موسى رجلا بعد موته لينطق من هو القاتل، إنه يريد أن يحجر من قدرة الله عزوجل[1].

[1] ينظر عبدالله القصيمي نقد كتاب حياة محمد ص35-41

المبحث الثالث

الإسراء والمعراج في كتاب حياة محمد، وفيه مطلبان

المطلب الأول: موقف هيكل من حادثة الإسراء والمعراج والمعاني المستخلصة من هذه الحادثة.

المطلب الثاني: الإسراء والمعراج عند المحدثين والمحققين من العلماء.

المطلب الأول: موقف هيكل من حادثة الإسراء والمعراج والمعاني المستخلصة من هذه الحادثة.

لا يمكن إعطاء تصور كامل حول موقف هيكل من الإسراء والمعراج إلا حين تقرأ ما كتبه كاملا حول هذه الحادثة، إنه لشيء عجيب غريب أن يبقى الإنسان تبعا لغيره في مقررات دينه خصوصاً إذا كان يتبع شخصاً أو جهة لا تؤمن بما يؤمن به هو، والأعجب من ذلك أنه حين يؤمن بخرافات وأكاذيب ويطلب من غيره أن يحقق ويدقق في ما يروي ويسند. هذا هو حال هيكل في موقفه من حادثة الإسراء والمعراج إذ إنه أراد أن يعرض لموقف كتاب السيرة النبوية من الإسراء والمعراج وكيفية روايتهم لها فراح يأتي بكتابة وموقف المستشرق الفرنسي درمنجم من حادثة الإسراء والمعراج مما جمعه من كتب السيرة النبوية فأي تناقض هذا.

وحين أراد أن يعرض ما كتبه ابن هشام حول السيرة النبوية جاء بجزء بسيط لينتقص منه ويعيب عليه، والغريب أنه ارتضى ما ذكره درمنجم من كذب واضح وافتراء صريح حول حادثة الإسراء والمعراج فهيكل يؤمن بما قاله در منجم كلمة كلمة وإن كان فيه الافتراء الواضح على أصحاب السير والخرافات ، ثم يطالب ابن هشام بالدقة والتحقيق في ما رواه وأخرجه حول ما شاهده رسول الله ﷺ في هذه الحادثة، فهذا الشيء مدعاة للعجب.

يمكن تلخيص موقف هيكل من الإسراء والمعراج أنه يؤمن أنّ هذه المعجزة كانت بالروح فقط وفي حالة النوم لا في الجسد والروح معا، ولا الإسراء بالجسد فقط ولا المعراج بالجسد فقط، على الرغم أنه عرض أن بعض الناس يؤمنون بأن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد، وبعضهم يؤمنون أنّ الإسراء كان بالجسد والمعراج بالروح.

وقد استدل على أن معجزة الإسراء والمعراج كانا بالروح في حالة النوم بما يأتي:

1- الدليل الشرعي استدل هيكل بدليل من سيرة ابن إسحاق وابن هشام على أن الإسراء والمعراج كانت بالنوم قال هيكل فيما ينقله عن ابن إسحاق وابن هشام:(و كان محمد ليلة الإسراء في بيت ابنة عمه هند ابنة أبي طالب، و كنيتها أم هانئ. و قد كانت هند تقول: «إنّ رسول اللّه نام عندي تلك الليلة في بيتي فصلى العشاء الآخرة، ثم نام و نمنا. فلما كان قبيل الفجر أهبّنا رسول اللّه؛ فلما صلّى الصبح و صلينا معه قال: يا أمّ هانئ لقد صلّيت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه، ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين فقلت له: يا نبيّ اللّه لا تحدّث به الناس فيكذّبوك و يؤذوك. قال: و اللّه لأحدّثنهم)[1].

وهذه الرواية الوحيدة التي اعتمدها في كتابه مع كلام درمنجم في حديثه عن الإسراء والمعراج وقد اغفل جميع الروايات الأُخرى التي ذكرها ابن هشام وتتحدث أنّ الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد.

وهذه الرواية من طريق محمد بن إسحاق مقطوعة إذ أنه رواها بلاغاً يقول ابن هشام:(رواية أم هانئ عن الإسراء قال محمد بن إسحاق وكان فيما بلغني عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها واسمها هند في مسرى رسول الله- ﷺ- أنها كانت تقول ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة...)[2]

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص 202 وابن هشام السيرة النبوية 242/2

[2] ابن هشام السيرة النبوية 248/2

إذن الرواية بين ابن إسحاق وبين أم هانئ رضي الله عنها مقطوعة لأنه رواها بلاغاً عن أم هانئ، فكيف يمكن أنّ تقف هذه الرواية أمام ما اتصل سنده من الروايات التي أخرجها البخاري ومسلم وأصحاب المسانيد والسنن وغيرهم.

ولكن روى الطبري عن محمد بن إسحاق هذه الرواية موصولة قال الطبري: (حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن السائب، عن أبي صالح بن باذام عن أمّ هانئ بنت أبي طالب، في مسرى النبيّ ﷺ، أنها كانت تقول: ما أُسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا..)[1]، وهذا إسناد لا يحتج به ففيه محمد بن السائب الكلبي: متروك بمرة ساقط، كما قال ابن كثير.[2]

وورد كذلك متصلا عند الإمام الطبراني وابن مردويه من طريق عبد الأعلى بن أبي المساور عن عكرمة عن أم هانئ قالت بات رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليلة أسري به في بيتي ففقدته من الليل فامتنع مني النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إن جبرائيل أتاني فأخذ بيدي فأخرجني فإذا على الباب دابة دون البغل وفوق الحمار فحملني عليها..[3]

وقال الهيثمي عن هذه الرواية (رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور متروك كذاب)[4].

---

[1] الطبري جامع البيان في تفسير القران 313/17

[2] ابن كثير تفسير القران العظيم 40/5

[3] الطبراني المعجم الكبير 7/1 السيوطي الخصائص الكبرى 302/1

[4] الهيثمي مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 245/1

وورد كذلك موصولاً عند أبي يعلى وابن عساكر من طريق يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن أبي صالح عن أم هانئ قالت دخل علي النبي {صلى الله عليه وسلم} بغلس وأنا على فراشي فقال شعرت أني نمت الليلة في المسجد الحرام فأتاني جبرائيل فذهب بي إلى باب المسجد..[1]

قال الذهبي: (وهو حديث غريب، ألوساوسي ضعيف تفرد به – يعني محمد بن إسماعيل الأنصاري)[2].

إذن لا يوجد رواية واحده صالحة للاعتماد عليها في إنكار هذه المعجزة أو القول أنها كانت في حالت النوم.

وقد طلب من ابن هشام ومن غيره أن يكون دقيقاً فيما يُسند إلى النبي– صلى الله عليه وسلم –إذ قال:(و أنت واجد في غير ابن هشام من كتب السيرة و في كتب التفسير أمورا أخرى غير هذه. و من حق المؤرخ أن يساءل عن مبلغ التدقيق و التمحيص في أمر ذلك كله، و ما يمكن أن يسند منه إلى النبيّ بسند صحيح؛ و ما يمكن أن يكون من خيال المتصوّفة و غيرهم. و إذا لم يكن المجال ها هنا متسعا للحكم في ذلك أو لاستقصائه...)[3]

فهيكل أحق بهذا الكلام أن يطبقه على نفسه أولا ثم يدعو غيره ليطبقه، فهو بحسب بحثي لا يعلم شيئاً من أدوات البحث ألحديثي ولا علوم الجرح والتعديل، ولذلك فهو كثير الخطأ في مثل هذا.

2- الإسراء والمعراج إذا كانت بالروح والجسد فهي معجزة، والمعجزة عنده لسيدنا محمد –ﷺ– القرآن فقط، فالقول إنّ الإسراء والمعراج بالروح والجسد مخالف لمنهج هيكل في كتابه الذي اعتمده وهو إنكار المعجزات يقول هيكل: (فمن شاء أن يرى أن الإسراء و المعراج كانا

---

[1] السيوطي الخصائص الكبرى 305/1

[2] الذهبي سير أعلام النبلاء 201/1

[3] محمد حسين هيكل حياة محمد ص206

بالروح فله من السند ما قدّمنا و ما تكرر في القرآن و على لسان الرسول: (إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ) «الكهف 110»، و أن كتاب اللّه هو وحده معجزة محمد، (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ)النساء48[1].

3-الدليل الثالث أن الوجود كله جمع في روح سيدنا محمد ﷺ، فعلم كل ما في هذا الوجود من أزله إلى أبده، ولم يغب عنه شيء، فإذا كان كذلك فلا حاجة للمسير والذهاب والإياب والارتقاء وغيرها، لأن كل الوجود انطوى في روح سيدنا محمد- صلى ﷺ- حسب رأي هيكل.[2]

وسأشرح هذا الأمر حين الحديث عن الأُمور المستفادة من الإسراء والمعراج حسب رأي هيكل.

الخرافات التي اعتقدها هيكل ونقلها عن المستشرق درمنجم مدعياً أن أصحاب السير نقلوها في حادثة الإسراء والمعراج:

1- قال إن جبريل -عليه الصلاة والسلام - جاء إلى النبي ﷺ بوصف يخالف الأوصاف التي ذكرت في الأحاديث قال هيكل ناقل عن درمنجم:(و قام فإذا أمامه الملك جبريل وضّاء الجبين أبيض الوجه كبياض الثلج مرسلا شعره الأشقر، واقفا في ثيابه المزركشة بالدرّ و الذهب، و من حوله أجنحة من كل الألوان ترعش)[3].

هذا الوصف الذي وصفه لجبريل عليه الصلاة والسلام لم يروه أحد من أصحاب السير أو كتب الحديث بحسب بحثي وهو مخالف للأحاديث الصحيحة التي وردت بوصف جبريل عليه الصلاة والسلام والظاهر أن درمنجم كان يذكر أوصافا من خياله لا من كتب السير فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال ثُمَّ قَالَ حَدَّثَنِى أَبِى عُمَرُ بْنُ

---

[1] المرجع السابق ص207

[2] المرجع السابق ص207

[3] المرجع السابق ص206

الْخَطَّابِ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ...[1]

2-ادعاؤه أن النبي -ﷺ- قيد البراق على أطلال هيكل سليمان قال هيكل: (و بلغ بيت المقدس، فقيّد محمد دابته و صلى على أطلال هيكل سليمان و معه إبراهيم و موسى و عيسى)[2]، وهل حقيقة أن أصحاب السير ذكروا هذا أنه عليه الصلاة والسلام وقف على أطلال هيكل سليمان عليه الصلاة والسلام ؟وهل هناك شيء اسمه هيكل سليمان ؟

إنها رواية يهودية وكلام خبيث أريد به مداعبة مشاعر اليهود لا غير.

3- ذكر أوصافاً للملائكة عليهم السلام وأسماء لهم فيها غرابة ومنها:

- ورأى فيها ملك الموت عزرائيل، بلغ من ضخامته أن كان ما بين عينيه مسيرة سبعين ألف يوم، و من سلطانه أن كانت تحت إمرته مائة ألف فرقة، و كان يسجل في كتاب ضخم أسماء من يولدون و من يموتون.[3]

لم يرد اسم ملك الموت صريحا في كتاب الله عزوجل أو سنة رسول الله- ﷺ-[4]، وهذه الرواية منقولة عن كتاب ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري قال: (لما أسرى بى مررت بملك جالس على سرير من نور وإحدى رجليه في المشرق والأخرى في المغرب وبين يديه لوح ينظر فيه

---

[1] صحيح مسلم 28/1 رقم 102

[2] محمد حسين هيكل حياة محمد ص206

[3] المرجع السابق نفس الصفحة

[4] قال ابن كثير في "البداية والنهاية" (49/1):وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن، ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل، والله أعلم.وقد قال الله تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) السجدة /11..وقال المناوي في "فيض القدير" (32/3) بعد أن ذكر أن ملك الموت اشتهر أن اسمه عزرائيل، قال:ولم أقف على تسميته بذلك في الخبر اهـ. وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-:(ملك الموت): وقد اشتهر أن اسمه (عزرائيل)، لكنه لم يصح، إنما ورد هذا في آثار إسرائيلية لا توجب أن نؤمن بهذا الاسم، فنسمي من وُكِّل بالموت بـ (ملك الموت) كما سماه الله عز وجل في قوله: (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) اهـ."فتاوى ابن عثيمين" (161/3).

والدنيا كلها بين عينيه والخلق بين ركبتيه ويده تبلغ المشرق والمغرب فقلت يا جبريل من هذا فقال هذا عزرائيل تقدم فسلم عليه فتقدمت فسلمت عليه...)[1]

- ورأى ملك الدمع يبكي من خطايا الناس، و ملك النقمة ذا الوجه النحاسي المتصرف في عنصر النار و الجالس على عرش من لهب.

- وقد رأى كذلك ملكاً ضخما نصفه من نار و نصفه من ثلج و حوله من الملائكة فرقة لا تفتر عن ذكر اللّه قائلة: اللهم قد جمعت الثلج و النار! و جمعت كل عبادك في طاعة سنتك.

- وكان في السماء السابعة مقرّ أهل العدل ملك أكبر من الأرض كلها، له سبعون ألف رأس، في كل رأس سبعون ألف فم، في كل فم سبعون ألف لسان، يتكلم كل لسان سبعين ألف لغة، من كل لغة سبعون ألف لهجة، و كلها تسبح بحمد اللّه و تقدّس له.[2]

وهذه الأوصاف التي ذكرها بحسب علمي وبحثي أقرب إلى الخرافات والإسرائيليات منها إلى كتب السيرة والحديث وغيرها، ثم يطالب هيكل من ابن هشام أن يكون محققاً ومصححاً لرواية يمكن أن تكون صحيحة.

4- ذكر أموراً يستحيل أن يكون أحدً ذكرها من علماء الأمة بحسب بحثي قال هيكل:(ثم أحسّ بنفسه يرتفع إلى حيث المولى جلّ شأنه، فأخذه الدّهش و إذا الأرض و السماء مجتمعتين لا يكاد يراهما، و كأنما ابتلعهما الفناء فلم ير منهما إلا حجم سمسمة في مزرعة واسعة. و كذلك يجب أن يكون الإنسان في حضرة ملك العالم)[3].

فهذا كلام غير دقيق فلم ترد رواية تقول إنه رأى الأرض والسماء مجتمعتين لا يكاد يراهما من صغرهما وكأنهما أخذهما الفناء كأنهما حبة سمسم في مزرعة واسعة، هذا كلام من نسج خيال

[1] محب الدين الطبري ذخائر العقبى 65/1

[2] محمد حسين هيكل حياة محمد ص207

[3] المرجع السابق نفس الصفحة

درمنجم ومباركة هيكل، فأين ذهب منهج هيكل انه يخضع نصوص السيرة النبوية للمنهج الحديث العلمي الدقيق،انه لا يطبقه إلا إذا كان الأمر خارج ما يقول أصحاب هذا المنهج من مستشرقين وأتباع لهم.

5- ذكر انه لما وصل إلى حضرة الله حضرة القدس مد الله العلي يده فوضعها على صدره والأخرى وضعها على كتفه، فأحسّ النبيّ كأنه أثلّج إلى فقاره، ثم بسكينة راضية و فناء في اللّه مستطاب.[1]

هذا كذب واضح وافتراء لا يمكن إنكاره من نسج خيال هذا المستشرق لا يعتمد على سند يوصل إلى رسول الله – ﷺ– ولا رأي لعالم، إنه لكلام مستشرق مرجعيته من اليهود والكتب المقدسة، فمرة يقول وقف على أطلال هيكل سليمان ومرة أخرى يجسم الذات الإلهية.

ولو كان الكاتبان درمنجم وهيكل على قيد الحياة وقمنا بتوجيه سؤال لهما، وكيف فني محمد ﷺ بربه سبحانه وتعالى ؟ وما هو أصلاً الفناء المقصود، إنه يعيب على المتصوفة بكثير من المواضع في كتابه ثم يوافق در منجم باستخدامه لمصطلحاتهم ثم يعلق على كلام درمنجم بقوله (هذه رواية المستشرق در منجم عن قصة الإسراء و المعراج. و أنت تقع على ما قصّه منثورا في كثير من كتب السيرة، و إن كنت تجد فيها جميعا خلافا بزيادة أو نقص في بعض نواحيها)[2].

الفوائد التي استفادها هيكل من حادثة الإسراء والمعراج

الشـيء الغريب الذي يمكن أن يحير ويدهش القارئ أن تجد كاتباً يتحدث عن فوائد استنتجها من قصة لا يمكن الربط بين تلك الفائدة وهذه القصة ،وهذا ما حدث مع كاتبنا محمد

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص208

[2] المرجع السابق نفس الصفحة

حسين هيكل، إذ أن الفائدة التي أستخرجها من قصة الإسراء والمعراج لا يمكن عقلاً ولا شرعاً أن تكون صحيحة.

الفائدة هي أنّ الوجود كله أصبح وحدة واحدة انطوت وتجمعت في روح النبي – ﷺ – فلم يعد أمام النبي ﷺ حجب من الزمان والمكان، وتداعت في هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة نبينا محمد ﷺ، و اجتمع الكون كله في روحه، فوعاه منذ أزله إلى أبده، و صوره في تطور وحدته إلى الكمال عن طريق الخير و الفضل و الجمال و الحق في مغالبتها و تغلبها على الشر و النقص و القبح و الباطل بفضل من اللّه و مغفرة.[1]

إذن هذه هي وحدة الوجود كله قد اجتمعت في روح رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب قول هيكل، وهذا الفهم الذي وصل إليه أشار إلى أنه تفرد به دون غيره ممن سبقه، وهو بهذا يكون قد دخل الحاجز الذي لا يسمح له أن يتعداه وهو الغلو في شخص رسول الله – ﷺ– فقد أخرجه عن كونه نبياً بشراً يعلم الغيب بما يُطلعه الله عليه إلى نبي يعلم كل ما في هذا الوجود،وهذا ما يأباه الشرع الشريف والعقل السليم.

لقد جاءت كلمات هيكل تُخرج النبي ﷺ عن كونه نبياً بشراً إلى عالم بالغيب وبكل جزئياته، وليس هذا فقط محصوراً في شخص النبي ﷺ بل يتعداه قال هيكل (و ليس يستطيع هذا السمو إلا قوة فوق ما تعرف الطبائع الإنسانية. فإذا جاء بعد ذلك ممن اتّبعوا محمدا من عجز عن متابعته في سمو فكرته و قوة إحاطته بوحدة الكون في كماله و في جهاده لبلوغ هذا الكمال؛ فلا عجب في ذلك و لا عيب فيه. و الممتازون من الناس و الموهوبون منهم درجات)[2]

---

[1] ينظر محمد حسين هيكل حياة محمد ص209

[2] محمد حسين هيكل حياة محمد ص209

إن كلام الله عزوجل ينقض هذا الفهم الخاطئ فقد أمر الله عزوجل نبيه أن يقول للناس (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)الكهف 110، فرسول الله ﷺ بشر يوحى إليه، فلا يأتي بشيء إلا من وحي الله عزوجل، وهذا من أعظم الأوصاف التي وصف فيها النبي ﷺ.

وقال الله تعالى (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) الأعراف 188، فرسول الله ﷺ لا يعلم الغيب إلا بما يعلمه الله سبحانه وتعالى، ولو كان يعلم ما في هذا الوجود من أزله إلى أبده لما تأخر في البت ببراءة أم المؤمنين عائشة ولعلم أن رعل وذكوان سيغدرون بأصحابه ولعلم ولعلم، لكنه لا يعلم إلا بما يطلعه الله عليه.

فهو في هذا القول يتجه إلى آراء الصوفية الفلاسفة الذين يدعون مثل هذا الكلام لرسول الله عليه الصلاة والسلام،وكذلك يأخذ بكلام الباطنية[1]، ولكن بينه وبينهم فرق أنه يقول إن الوجود كله أصبح مجتمعاً بروح رسول الله – ﷺ– ، بينما الفلاسفة من الباطنية والمتصوفة يقولون إنّ الله عزوجل وجل في كل ذرة من هذا الوجود.

[1] ينظرعبدالله القصيمي نقد كتاب حياة محمد ص12

المطلب الثاني: الإسراء والمعراج عند المحدثين والمحققين من العلماء.

اهتم علماء الأُمة قديماً وحديثاً بمعجزة الإسراء والمعراج،على اعتبار أنها من أعظم المعجزات التي حدثت مع نبينا محمد ﷺ، فهي المعجزة التي خرقت الزمان والمكان والتي تجاوزت كل الحدود البشرية والإمكانات في ذلك الزمان، فكيف يمكن لعقل بدوي في الصحراء أن يؤمن بهذه المعجزة التي أخبر أنه في أثناء ليلة صلى النبي– ﷺ– في المسجد الأقصى ثم عاد إلى مكة، لا يمكن لعقل بدائي أن يؤمن بهذا الكلام إلاّ أن يكون قد اشبع بالإيمان والتسليم المطلق الذي لا يخالجه شك.

لقد سطر المحدثون والمفسرون والشراح والمفكرون هذه المعجزة في كتبهم، وتناقلها المسلمون جيلاً عن جيل، ومن عظمة هذه المعجزة صنف بعض العلماء كتبا خاصة في هذه المعجزة أمثال ابن حجر و السيوطي والشعراوي وغيرهم ممن صنف في صحيح وضعيف الإسراء والمعراج، وقد أدخل بعض الوضاعين أحاديث مكذوبة في موضوع الإسراء والمعراج، ونسبوا بعض الكتب في موضوع الإسراء والمعراج إلى حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه.

ولعل أجمع رواية وأحسنها وأتقنها وأجودها وأسلمها من المعارضة [1]حديث أخرجه الإمامان احمد و مسلم من حديث انس رضي الله عنه قال (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– قَالَ « أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ – وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ – قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ – قَالَ – فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِى يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ – قَالَ – ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِى جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ –ﷺ– اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا

---

[1] السيوطي الاسراء والمعراج ص2

أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِى وَدَعَا لِى بِخَيْرٍ...... ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ -ﷺ-. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ -ﷺ- مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِى إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلاَلِ – قَالَ – فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِىَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَىَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَىَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى -ﷺ- فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّى قَدْ بَلَوْتُ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّى فَقُلْتُ يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِى. فَحَطَّ عَنِّى خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّى خَمْسًا. قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. – قَالَ – فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّى تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً – قَالَ – فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى -ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّى حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ)[1]

فهذا أجمع وأكمل الروايات وأحسنها صياغة، وأسلمها من المعارضة -كما قال السيوطي- ،فهذه الرواية فصلت مسيرة الإسراء والمعراج خطوة خطوة. ولكنها لم تذكر موضوع شق صدر النبي ﷺ في هذه الحادثة وقد رواها الإمام مسلم روى من حديث انس رضي الله عنه كذلك فقال (

---

[1] مسلم بن الحجاج الصحيح 99/1 ومسند احمد 148/3

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « أُتِيتُ فَانْطَلَقُوا بِى إِلَى زَمْزَمَ فَشُرِحَ عَنْ صَدْرِى ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ أُنْزِلْتُ ».[1]

وكذلك أخرج مسلم من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِى وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ -ﷺ- فَفَرَجَ صَدْرِى ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِى صَدْرِى ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِى فَعَرَجَ بِى إِلَى السَّمَاءِ... ».[2] والأمر المهم في هذا المطلب هل كان الإسراء والمعراج في المنام روحاً أم في اليقظة روحاً وجسداً ؟

ذهب جمهور العلماء من محدثين ومفسرين وفقهاء ومتكلمين وغيرهم إلى إن الإسراء والمعراج كانا في اليقظة روحاً وجسداً وكانا في ليلة واحدة [3]

قال النووي (وَالْحَقُّ الَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَر النَّاس، وَمُعْظَم السَّلَف، وَعَامَّة الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ الْفُقَهَاء وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِجَسَدِهِ ﷺ. وَالْآثَار تَدُلّ عَلَيْهِ لِمَنْ طَالَعَهَا وَبَحَثَ عَنْهَا. وَلَا يُعْدَل عَنْ ظَاهِرهَا إِلَّا بِدَلِيلٍ، وَلَا اِسْتِحَالَة فِي حَمْلهَا عَلَيْهِ فَيَحْتَاج إِلَى تَأْوِيل)[4].

قال الحافظ ابن حجر (وقد اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث والى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل)[5].

---

[1] مسلم بن الحجاج الصحيح 101/1
[2] المرجع السابق 102/1
[3] السيوطي الإسراء والمعراج ص32
[4] النووي شرح صحيح مسلم 290/1
[5] ابن حجر فتح الباري 197/7

وقال بهذا الكلام ابن القيم[1]والقرطبي وجاء بكلام نفيس على هذا الموضوع إذ قال: (لكن الذي عليه معظم السلف والخلف أنّه إسراء بجسده، وحقيقتُهُ، في اليقظة إلى آخر ما انطوى عليه الإسراء، وعليه يدلّ ظاهرُ الكتاب وصحيحُ الأخبار، ومبادرةُ قريش لإنكار ذلك وتكذيبه. ولو كان منامًا، لما أنكروه ولما افتُتِنَ به من افتُتِنَ ؛ إذ كثيرًا ما يُرى في المنام أمورٌ عجيبةٌ وأحوالٌ هائلة، فلا يُستبعَد ذلك في النوم، وإنّما يُستبعَد في اليقظة)[2].

إذن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معاً في اليقظة، كما ذهب إليه جمهور العلماء من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وذلك لما يأتي:

1 – أن الله –تعالى– قال: { أسرى بعبده } ولفظ العبد لا يطلق في اللغة على الروح فقط، بل على الإنسان كله: روحه وجسده، كما جاء ذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم مثل قوله تعالى { أرأيت الذي ينهى عبدًا إذا صلى } [العلق: 9، 10] وقوله { وأنه لما قام عبد الله يدعوه } [الجن: 19].

2 – أن الإسراء بالروح فقط ليس أمرًا خارقًا للعادة، بل هو أمر عادي يحصل للناس في فترة النوم حيث تكون للروح جولات بعيدة في الكرة الأرضية تقضيها بوسائل غير عادية في مدة لا تحسب بالزمن العادي لحركة الجسم، ولو كان كذلك فلا داعي لأن يجعله الله تكريمًا للنبي – ﷺ– ويصدّر الخبر بقوله { سبحان } وما فيه من معنى العظمة والجلال الذي يقرن دائمًا بكل أمر عظيم.

3 – أن الله –تعالى– قال { وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس } [الإسراء: 60] أي امتحانًا واختبارًا لهم كيف يصدقونها، وذلك لا يكون إلا إذا تمت الرحلة بالجسد والروح معاً،

[1] ابن القيم زاد المعاد 42/3

[2] القرطبي المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم150/2

فليس في إسراء الروح فقط فتنة ولا غرابة، ولذلك حين سمع المشركون خبرها كذبوا أن تتم في ليلة مع أنهم يقطعون هذه المسافة على ظهور الإبل في أيام عدة.

4 - أن الإسراء بالروح والجسد معًا هو فعل الله - سبحانه - وليس فعل سيدنا محمد - ﷺ- والعقل لا يحيل ذلك على قدرة الله، فهو على كل شيء قدير، وليس هناك ما يمنع قبول الخبر الموثوق به في حصوله بالروح والجسد معًا.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الإسراء والمعراج كانا بروحه في النوم وقال بهذا معاوية وكان يقول إذا سئل عن الإسراء: كانت رؤية من الله صادقة.[1] وقالت عائشة: ما فقدت جسد رسول الله ﷺوإنما أسري بروحه.[2]

أما قول سيدة عائشة رضي الله عنها(ما فُقد جسده الشريف)، فهذا مردود بما يأتي:

1 - أن هذا الحديث ليس ثابتًا عنها؛ لأن سنده فيه انقطاع وراوٍ مجهول،فقد قال الطبري (حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد قال أخبرني بعض آل أبي بكر أن عائشة رضوان الله عليها كانت تقول ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه) [3]

وقال ابن دحية[4]: إنه موضوع.

2 - أنها لم تُحدّث به عن مشاهدة، بل عن سماع؛ لأنها لم تكن قد تزوجته إذ ذاك.

3 - أنها كانت تقول: إن النبي - ﷺ- لم ير ربه رؤية عين؛ وذلك لاعتقادها أن الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد معًا، ولو كان ذلك منامًا أي بالروح فقط لم تنكره، وما دام الحديث المنسوب إلى عائشة غير صحيح فلا داعي للتحايل في تفسيره بقول بعضهم: إن معنى: ما

---

[1] الطبري تهذيب الآثار 447

[2] ابن هشام السيرة النبوية 245/2

[3] الطبري تهذيب الآثار 447/1

[4] ابن دِحية الكلبي الإمام العلامة الحافظ الكبير، أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن محمد، الملقب بالجميل -بتشديد الياء المفتوحة- /تذكرة الحفاظ 143/4

فقد جسده الشريف، ما تركت الروح جسده الشريف والمهم أن الإسراء قد تم، وقد أخبر الله عنه في القرآن الكريم، وهذا هو القدر الواجب اعتقاده، أما أن يكون على كيفية كذا أو كذا فذلك ما لا يتحتم اعتقاده، ولكل أن يختار ما يشاء، مع اعتقاد أن الله على كل شيء قدير، وأن رؤيا الأنبياء حق باتفاق العلماء، ولا داعي للخلاف في هذه النقطة[1]

واستدلوا بقوله تعالى (وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ)الإسراء 60، لأن الرؤيا مصدر الحلميّة، وأما البصرية: فالرؤية بالتاء، وأجيب: بأنه إنما قال «الرؤيا» لوقوع ذلك في الليل، وسرعة تقضيه كأنه منام، وبأن «الرؤيا» و «الرؤية» واحدة كقربى وقربة، ويشهد له قول ابن عباس في الآية- كما عند البخاري-: هي رؤيا عين أريها- صلى الله عليه وسلم- ليلة أسرى به[2]. وزاد سعيد بن منصور عن سفيان في آخر الحديث: وليس رؤيا منام ولم يصرح في رواية البخاري بالمرئي)[3].

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الإسراء إلى بيت المقدس بالجسد والمعراج بالروح [4]

واحتجوا بقوله تعالى: سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى «الإسراء 1»، فجعل المسجد الأقصى غاية الإسراء الذي وقع التعجب به بعظيم القدرة، والتمدح بتشريف النبي- ﷺ- به، وإظهار الكرامة له بالإسراء. قالوا: ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره، فيكون أبلغ بالمدح.[5]

وأجيب: بأن حكمة التخصيص بالمسجد الأقصى سؤال قريش له عنه على سبيل الامتحان عما شاهدوه وعرفوه من صفة بيت المقدس، وقد علموا أنه لم يسافر إليه، فيجيبهم بما عاين ويوافق

---

[1] ينظر القسطلاني المواهب اللدنية بالمنح المحمدية 426/2 المقصد الخامس

[2] البخاري الصحيح 69/5 باب حَدِيثِ الإِسْرَاءِ.

[3] ينظر القسطلاني المواهب اللدنية بالمنح المحمدية 426/2 المقصد الخامس

[4] ينظر السيوطي الاسراء والمعراج 34/1 والقسطلاني المواهب اللدنية 427/2

[5] السيوطي الإسراء والمعراج 34/1

ما يعلمونه، فتقوم الحجة عليهم، وكذلك وقع، ولهذا لم يسألوه عما رأى في السماء، إذ لا عهد لهم بذلك.[1]

وفي تعدد الإسراء والمعراج مرة في اليقظة ومرة في المنام تحدث أهل العلم والقسطلاني وغيره في جواز ذلك أو عدمه [2]، وتحدث عبدالله القصيمي في كتابه مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها حول شبه المعاصرين في أحاديث الإسراء والمعراج وأجاب بأجوبة علمية قوية ترد الخصم.[3]

[1] القسطلاني المواهب اللدنية 428/2

[2] ينظر المرجع السابق نفس الصفحة وما بعدها

[3] ينظر عبدالله القصيمي مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها ص154 وما بعدها

المبحث الرابع

موقف هيكل من الشؤون الاجتماعية في سيرة رسول الله ﷺ، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: موقفه من زواج النبي من زينب بنت جحش.

المطلب الثاني: موقف هيكل من الاشتراكية والفهم الصحيح لها.

المطلب الأول: موقف هيكل من زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضي الله عنها.

تميزت كتابة هيكل في باب زواج النبي – ﷺ– من أم المؤمنين زينب بنت جحش وتبرئته صلى الله عليه وسلم من التهم التي لخصها هيكل من كلام المستشرقين الحاقدين على رسول الله ﷺ، ولكنه ومع هذا أخطأ في جانب من جوانب الرد الذي رده على المستشرقين.

لخص هيكل كلام المستشرقين في هذا الفصل الذين ادعوا فيه كذباً على رسول الله ﷺ أنه رجل نساء ورجل شهوات، وأنه يبيح لنفسه ما لم يبحه لامته، وأنه ﷺ يدخل البيوت دون وجود رجالها فيها، ويطلع على عورات النساء فيها ، وأنه لا تكفيه أربعة نسوة ، بل يريد أن يتزوج من امرأة لها زوج ، هي ابنة عمته زينب بنت جحش ، ويحب أن تطلق من زوجها لأنه رآها في كامل جمالها قد أبدت مفاتنها، فوقع حبها في قلبه ، فصرحت لزوجها أن النبي صلى الله عليه وسلم يريدها زوجة لها ، فينهاه النبي عليه الصلاة والسلام عن ذلك ويقول له أمسك عليك زوجك ، لكن زينب لم تحسن من بعد عشرته فطلقها؛ وأمسك محمد عن زواجها و قلبه في شغل بها حتى نزل قوله تعالى: (وَاذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) «الأحزاب37 .[1]

ثم يستمر في وصف خيال المستشرقين وإطلاق عنان فكرهم ومكرهم في الحالة التي رأى فيها النبي ﷺ زينب بنت جحش من كلام ماجن وفاضح لا يليق بأقل الناس شأنا، فكيف بسيد

[1]ينظر محمد حسين هيكل حياة محمد327

الخلق ﷺ، ويذكر بعد ذلك عدد من المستشرقين الذين ذكروا هذا الكلام مستندين إلى بعض الروايات التي ذكرها أصحاب السير.

ولكنه لما أراد أن ينقض عليهم ويرد على أقوالهم قال هيكل: (فلتكن صحيحة، فماذا فيها مما يطعن على عظمة محمد أو على نبوّته و رسالته؟! إنّ القوانين التي يجري على الناس لا سلطان لها على العظماء، فأولى ألّا يكون لها سلطان على المرسلين والأنبياء.)[1]

ثم يذكر أن القوانين والأنظمة لا تجري على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيقول (ألم ير موسى عليه السلام خلافا بين رجلين هذا من شيعته و هذا من عدوّه، فوكز الذي من عدوّه فقضى عليه، و هذا قتل محرّم في غير حرب و لا شبه حرب، و هذا مخالف للقانون. مع ذلك لم يخضع موسى للقانون و لم يطعن ذلك في نبوّته و لا في رسالته، و لم يطعن في عظمته. و شأن عيسى في مخالفة القانون أكبر من شأن موسى و من شأن محمد و من شأن الأنبياء و المرسلين جميعا. فليس يقف أمره عند بسطة في القوة أو الرغبة، بل خرج بمولده و بحياته على قوانين الطبيعة و سننها جميعا. تمثّل لأمّه مريم روح الرحمن بشرا سويّا، ليهب لها غلاما زكيّا، فعجبت و قالت: أنّى يكون لي غلام و لم يمسسني بشر ولم أك بغيّا! قال الرسول: إن اللّه يريد أن يجعله آية للناس، فلمّا جاءها المخاض قالت: يا ليتني متّ قبل هذا و كنت نسيا منسيا. فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريّا. و أتت به قومها تحمله، فقالوا: لقد جئت شيئا فريّا. فحدثهم عيسى في مهده قال: إني عبد اللّه... إلى آخر ما قال. و مهما يكن من إنكار اليهود لهذا كله، و من نسبتهم عيسى إلى يوسف النّجار نسبة لا يزال بعض العلماء من أمثال رينان يأخذون اليوم بها. فقد كانت عظمة عيسى و نبوّته و رسالته دليل معجزة اللّه فيه و خرقه لنواميس الكون و سنن الطبيعة و قوانين الخلق من أجله. فمن عجب أن يدعوا المسيحيون المبشرون إلى الإيمان بهذا

---

[1] المرجع السابق نفس الصفحة

الخروج على سنة الكون في أمر عيسى، و أن يأخذوا محمدا بما هو دونه، و ما لا يزيد على أنه سمّو من الخضوع لقانون المجتمع يسمح به لكل عظيم، و يسمح به للملوك و رؤساء الدول الذين كان في مقدورنا أن نجبه هذه الأقوال جميعا بهذا الردّ)[1]

مناقشة رأيه :

وبعد الوقوف على هذا العرض الذي قدمه هيكل يتبن لنا أنه أراد أن يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه ما وفق إلى الصواب في مناقشتهم، وذلك أنه اعتمد على تحليله الشخصي وفكره دون أن يورد أدلة واضحة على بطلان قول المستشرقين ، ويكمن الخطر الذي في كلامه من خلال ما يأتي :

أولاً :

لقد كان اعتماد المستشرقين في قصة حب النبي ﷺ لزينب بنت جحش رضي الله عنها على رواية أوردها المفسرون مثل الطبري[2]في تفسير قوله تعالى:(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا)(الاحزاب37) فقد ذكر أكثر من رواية تدل على هذا الأمر.

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد 328

[2] الطبري جامع البيان في تفسير القران 117/19-118

وقام ابن كثير بتحقيق القول في هذه الرواية فقال: (ذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم هاهنا آثارًا عن بعض السلف، رضي الله عنهم، أحببنا أن نضرب عنها صفَحا لعدم صحتها فلا نوردها).[1]

وقال أيضا: (وقد ذكر غير واحد من المفسرين والفقهاء وأهل التاريخ في سبب تزويجه إياها عليه السلام حديثا ذكره أحمد بن حنبل في مسنده تركنا إيراده قصدا لئلا يضعه من لا يفهم على غير موضعه).[2]

وحقق الإمام القرطبي وابن كثير هذه المسألة وبينا أوجه الصواب والخطأ فيها قال القرطبي:

(وروي عن علي بن الحسين: أن النبي ﷺ كان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيدا يطلق زينب، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما تشكى زيد للنبي ﷺ خلق زينب، وأنها لا تطيعه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصية: (اتق الله في قولك وأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم أنه سيتزوجها، وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في شي قد أباحه الله له، بأن قال:" أَمْسِكْ" مع علمه بأنه يطلق. وأعلمه أن الله أحق بالخشية، أي في كل حال.

[1] ابن كثير تفسير القران العظيم 425/6

[2] ابن كثير السيرة النبوية 277/3

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري، والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم)[1].

فما ادعاه المستشرقون والمبشرون يتساقط أمام هذه الأقوال من علماء الأمة ، فلا سند صحيح يعتمد ، ولا قول لعالم يستند عليه ، وإنما اعتمادهم على أقوال فرغ علماء الأمة من تحقيقها وبيان صحتها .

ثانياً :

إن القانون الذي يتحدث عنه هيكل ما عرفه رسول الله ﷺ ولا الأنبياء من قبله، إنه قانون البشر الذي صاغوه بأيديهم، وأخذوه من المشرق والمغرب، فالقانون عند الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شرع الله الموحى إليهم لا يعرفون غيره قال تعالى (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ)الشورى 13.

إذن الأنبياء يتلقون الأوامر والنواهي (والتي يطلق عليها جزافا القوانين) من الله عزوجل.

ولا يمكن أن يكون الأنبياء فوق شرع الله عز وجل فهم مأمورون بتطبيق الشرع الموكل إليهم بإبلاغه للناس.

أما ما ذكره أن موسى عليه الصلاة والسلام قتل شخصاً من قوم فرعون ولم يجر القانون عليه، ولا انتقص من مقام نبوته ورسالته فالجواب فيها على النحو التالي:

---

[1] القرطبي الجامع لأحكام القران 191/14 وينظر ابن كثير تفسير القران العظيم 425/6

أ- لم يكن موسى عليه السلام وقتها رسول يوحى إليه، إذ أن الوحي جاءه بعد ذلك، ومع ذلك كان شديد الخوف من الله عز وجل وعنده مراقبة لله وذلك بسبب فطرته السليمة، قال الله حكاية عن موسى في سورة القصص (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (15) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (16) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ (17)، فقد طلب المغفرة من الله عزوجل بعد أن قتل فغفر الله له ذلك، إذن هو تحت الأوامر والنواهي وليس فوقها.

ب- كان القانون الذي في مصر في وقته يعاقب القاتل ويقتص منه قال الله تعالى في سورة القصص (وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لك مِنَ النَّاصِحِينَ (20) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(21).

ومعنى يأتمرون بك: يتشاورون في قتلك وهذا المعنى الأول.

الثاني: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك ومنه قوله (وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِالْمَعْرُوفِ) " [الطلاق: 6] أي ليأمر بعضكم بعضاً.[1]

والثالث: يَهُمُّون بك.[2]

وكل هذه المعاني تدل على إيقاع العقوبة عليه لأنه قتل إذن لم يكن في قومه فوق قوانينهم وإلا لما رحل من مصر إلى مدين.

---

[1] الماوردي النكت والعيون 244/4

[2] ابن الجوزي زاد المسير في علم التفسير 44/5

ولما رجع نبي الله موسى عليه السلام إلى مصر بعد أن أوحى الله إليه بالرسالة وأعلن أن الله أوحى إليه ذكره فرعون بذنبه وانه لم يأخذ العقوبة فقال الله عزوجل حكاية عن فرعون في سورة الشعراء (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) والفعلة التي فعلها هي قتل النفس.[1]

ج- تذكير الله له بهذا الذنب وأنه غفره له يدل على أنه ليس فوق الشرائع قال الله تعالى (إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى) (طه40) وَقَتَلْتَ نَفْساً (يعني القبطي)(فَنَجَّينَاكَ مِنَ الْغَمِّ) يحتمل وجهين:

أحدهما: سلمناك من القَوَد.

الثاني: أمناك من الخوف.[2]

وكذلك ذكره لهذا الذنب يدل على انه لم يأخذ العقوبة المطلوبة قال الله تعالى(وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (الشعراء14).

وبناء على ما مضى يتبين أنّ نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام كان يجري عليه شرع الله سبحانه وتعالى ولم يكن فوقه، ولم يكن فوق قوانين أهل بلده لولا فضل الله عليه، وعصمة الله له من القتل.

أما نبي الله عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فكان حمله وولادته خرقا لنواميس وقوانين الكون، فحمله معجزة من معجزات الله في هذا الكون، إذ أنه جاء بدون أب وكل المواليد الذين جاء إلى هذه الأرض عن طريق الزواج أب وأم إلا نبي الله عيسى جاء بأَم دون الأب ، وآدم

---

[1] المرجع السابق 488/4

[2] الماوردي النكت والعين 403/3

جاء بدون أب ولا أم. ولكن لو افترضنا سؤالاً ما هو وجه الشبه بين حمل سيدنا عيسى وبين زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش أو زواجه من أكثر من أربع زوجات؟

أما وجه الشبه بين حمل سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وزواج النبي ﷺ من أكثر من أربع زوجات أنهما خرقا القوانين المعتادة فإنه تشبيه مغلوط وفهم سقيم، إذ أن حمل سيدنا عيسى عليه السلام معجزة ربانية، وفيها خرق لنواميس الكون، وزواج النبي- ﷺ- من أكثر من زوجه بموافقة الله عز وجل وأمره ولو كان فيه خرق القوانين لما أمره سبحانه وتعالى أن يتوقف عن الزواج ولأمره أن يطلقهن قال الله تعالى في سورة الأحزاب:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (50) تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (51) لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا)(52).

ثالثاً :

ثم ذكر هيكل أسباب زواج النبي- ﷺ- أكثر من أربع زوجات، وأحسن في تحقيق كثير من المسائل في هذا الفصل، وأبدى حماساً في دفاعه عن رسول الله - ﷺ- ناقلاً ذلك عن أئمة التفسير والمحققين منهم مما يحسب له.

ولكن لا بد من مناقشة هذه القضية لبيان حقيقتها وتجلية صورتها، فأما زواج النبي ﷺ من أكثر من أربع زوجات فهو من خصائص النبي ﷺ قال ابن كثير (قال الشافعي: وقد دلَّت سنة

رسول الله صلى الله عليه وسلم المبينة عن الله أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله ﷺ أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة.

وهذا الذي قاله الشافعي، رحمه الله، مجمع عليه بين العلماء، إلا ما حُكي عن طائفة من الشيعة أنه يجوز الجمع بين أكثر من أربع إلى تسع. وقال بعضهم: بلا حصر. وقد يتمسك بعضهم بفعل النبي ﷺ في جمعه بين أكثر من أربع إلى تسع كما ثبت في الصحيحين، وإما إحدى عشرة كما جاء في بعض ألفاظ البخاري. وقد علقه البخاري، وقد روينا عن أنس أن رسول الله ﷺ تزوج بخمس عشرة امرأة، ودخل منهن بثلاث عشرة، واجتمع عنده إحدى عشرة ومات عن تسع. وهذا عند العلماء من خصائص رسول الله ﷺ دون غيره من الأمة)[1]

وهناك حِكَمٌ وراء تزوج النبي– ﷺ– من أكثر من أربع زوجات غير الذي ذكره هيكل انه خرق لقوانين الكون وتفسيره هذا لسبب تزوج النبي ﷺ من أكثر من أربع زوجات غير صحيح، إذ أن ابن حجر ذكر ثمانية حكم لزواجه أكثر من زوجة قال ابن حجر: (والّذي تحصّل من كلام أهل العلم في الحكمة في استكثاره من النّساء عدّة أوجه: أحدها: أن يكثر من يشاهد أحواله الباطنة فينتفي عنه ما يظنّ به المشركون من أنّه ساحر أو غير ذلك.

ثانيها: لتتشرّف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم.

ثالثها: للزّيادة في تآلفهم بذلك.

رابعها: للزّيادة في التّكليف حيث كلّف أن لا يشغله ما حبّب إليه منهنّ عن المبالغة في التّبليغ.

خامسها: لتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على من يحاربه.

سادسها: نقل الأحكام الشّرعيّة الّتي لا يطّلع عليها الرّجال، لأنّ أكثر ما يقع مع الزّوجة ممّا شأنه أن يختفي مثله.

---

[1] ابن كثير تفسير القران العظيم 209/2

سابعها: الاطّلاع على محاسن أخلاقه الباطنة، فقد تزوّج أمّ حبيبة وأبوها إذ ذاك يعاديه، وصفيّة بعد قتل أبيها وعمّها وزوجها، فلو لم يكن أكمل الخلق في خلقه لنفرن منه، بل الّذي وقع أنّه كان أحبّ إليهنّ من جميع أهلهنّ.

ثامنها: تحصينهنّ والقيام بحقوقهنّ)[1]

لم يكن السبب الذي دعى النبي – ﷺ– إلى زواجه أكثر من أربع زوجات أنه عظيم ولا يجري عليه قوانين البشر، ولا شبه بين قصة حمل نبي الله عيسى عليه السلام وبين زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها، إلاّ إذا كان يقر بما قاله المستشرقون أنه أحبها وهي زوجة لزيد بن حارثة رضي الله عنه، فيكون النبي عليه الصلاة والسلام بهذا فوق القوانين ويجوز له أن يحب من يشاء من النساء وبهذا المعنى يكون قد انتقص من مقام النبي ﷺ.

رابعاً :

ولكن في تحقيقه لهذه المسائل أشار إلى الآية الثالثة التي في سورة النساء في قوله تعالى (فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَواحِدَةً أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ) إن هذه الآية نزلت في أواخر العام الثامن للهجرة بعد أن دخل بأزواجه جميعا، وهذه الآية نزلت لتحدّد عدد الزوجات بأربع و قد كان إلى حين نزولها لا حدّ له، مما يسقط قول القائلين بأن محمدا أباح لنفسه ما حرّم على الناس.[2]

وهذا خطأ بحسب علمي وبحثي في هذه المسألة، ولا يوجد جزم بوقت نزول السورة إلا آية منها إذ أن القرطبي قال(إن هذه السورة مدنية إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح في عثمان بن طلحة الحجبي وهي قوله: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا }.

---

[1] ابن حجر فتح الباري 115/9

[2] محمد حسين هيكل حياة محمد ص 332

وقيل: نزلت عند هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة. وقد قال بعض الناس: إن قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ } حيث وقع إنما هو مكي ؛ وقاله علقمة وغيره، فيشبه أن يكون صدر السورة مكيا، وما نزل بعد الهجرة فإنما هو مدني. وقال النحاس: هذه السورة مكية.

قلت أي القرطبي: والصحيح الأول).[1]

وأطال العلامة محمد الطاهر ابن عاشور الكلام في تحديد وقت نزولها قال (فالذي يظهر أن نزول سورة النساء كان في حدود سنة سبع وطالت مدة نزولها، ويؤيد ذلك أن كثيرا من الأحكام التي جاءت فيها مفصلة تقدمت مجملة في سورة البقرة من أحكام الأيتام والنساء والمواريث، فمعظم ما في سورة النساء شرائع تفصيلية في معظم نواحي حياة المسلمين الاجتماعية من نظم الموال والمعاشرة والحكم وغير ذلك، على أنه قد قيل: إن آخر آية منها، آية الكلالة، هي آخر آية نزلت من القرآن، على أنه يجوز أن يكون بين نزول سائر سورة النساء وبين نزول آية الكلالة، التي في آخرها مدة طويلة، وأنه لما نزلت آية الكلالة الأخيرة أمروا بإلحاقها بسورة النساء التي فيها الآية الأولى. ووردت في السنة تسمية آية الكلالة الأولى آية الشتاء، وآية الكلالة الأخيرة آية الصيف. ويتعين ابتداء نزولها قبل فتح مكة لقوله تعالى {وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا} [النساء:75] يعني مكة. وفيها آية {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء:58] نزلت يوم فتح مكة في قصة عثمان بن طلحة الشيبي، صاحب مفتاح الكعبة، وليس فيها جدال مع المشركين سوى تحقير دينهم، نحو قوله {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً}[2]، لكنه لم يذكر ما ذكره هيكل وربما اطلع هيكل على ما لم اطلع عليه.

---

[1] القرطبي الجامع لأحكام القران 1/5

[2] محمد الطاهر ابن عاشور التحرير والتنوير 7/4

المطلب الثاني: موقف هيكل من الاشتراكية والفهم الصحيح لها.

يدعي هيكل أن في الإسلام اشتراكية وخاصة في القران الكريم لم تبحث من قبل فهو صاحب الاكتشاف فيها، على الرغم من إن أجيالاً من العلماء في تاريخ الإسلام لم تكتشف هذه الاشتراكية، ويقسم الاشتراكية إلى قسمين هما:

1- الاشتراكية القرآنية التي أساسها الخلق السامي الذي يكفل إخاء الطوائف وتكافلها وتعاونها على البر والتقوى لا على الإثم و العدوان،وهذه اشتراكية لا تقوم على أساس من حرب رأس المال و نضال الطوائف، ومن السهل أن يرى الإنسان قيام هذه الاشتراكية على الإخاء فيما فرضه القرآن من زكاة و من صدقة، و أن يقدر أنها ليست اشتراكية تسود فيها طائفة طائفة أو تتحكم بها جماعة في جماعة.[1]

هذه الاشتراكية كما صورها القران لا تعرف سيادة و لا تحكما، بل أساسها الإخاء الصادق عن إيمان ثابت بهذا الإخاء؛ إيمان يجعل من التحدّث بنعمة اللّه إعطاء الفقير والبائس و المحروم ما يحتاجون إليه من غذاء و مأوى و دواء و تعليم و تهذيب، وإعطاءهم ذلك من غير منّ و لا أذى. بذلك يزول الشقاء و يتمّ اللّه نعمته على الناس و تسودهم السعادة.

والاشتراكية الإسلامية لا تقتضي إلغاء التملك إطلاقاً، كما تقتضيه الاشتراكية الروسية الماركسية، وقد أثبت الواقع في روسيا البلشفية و في كل بلاد سادتها الاشتراكية، أن إلغاء التملك أمر غير ممكن. لكن المرافق العامّة يجب أن تكون ملكاً عاماً مشاعاً بين الناس جميعاً، و تحديد المرافق العامة متروك أمره للدولة.

ثم يعمل مقارنة بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في موقفهم من الاشتراكية فمنهم غلاة في الاشتراكية يجعلون كل ما خلق اللّه ملكاً مشاعاً و مرفقاً عاماً و لذلك يجعلون شأن

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص541

الأرض و ما تحتويه شأن الماء و الهواء، لا يجوز تملك شي ء منه.،و إنما يقع التملك على الثمرات ينال منها كلّ على قدر سعيه و مجهوده، و كان منهم من لا يرون هذا الرأي، و يقولون بجواز تملك الأرض، و يعتبرونها من العروض التي يقع عليها التبادل.[1]

ثم يشير إلى أن كل أصحاب رسول الله ﷺ اتفقوا على قاعدة اشتراكية واحدة مقررة في أوروبا اليوم وذلك يقتضي بأنه يجب على كل إنسان أن يبذل للجماعة كل كفاياته، و يجب على الجماعة أن تبذل لكل فرد منها ما يسدّ حاجاته فلكل مسلم حق في أن ينال من بيت مال المسلمين ما يكفل حاجاته و حاجات من يعول ما دام لا يجد عملا يرتزق منه، أو ما دام العمل الذي يزاوله غير كاف لرزقه و رزق عياله. [2]

فهذه الاشتراكية التي صورها هيكل والتي كانت من اكتشافه هو ولم يسبقه احد إليها، هي اشتراكية المال والملكية القائمة على أساس الأخلاق السامية.

2- الاشتراكية في الإخاء في الحياة الروحية وفي الحياة الخلقية و في الحياة الاقتصادية والتي قوامها أن تحب للناس ما تحبه لنفسك، فالمرء لا يكمل إيمانه إذا لم يحضّ على طعام المسكين و لم ينفق للخير العام ممّا رزقه اللّه سرّا و علانية، و كلما ازداد المرء إيثارا على نفسه كان أقرب إلى اللّه و أدنى إلى رضاه، و كانت نفسه أكثر طمأنينة و قلبه أشدّ غبطة، و إذا كان اللّه قد جعل الناس بعضهم فوق بعض درجات، و كان يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر فإن الناس لا صلاح لهم إلا إذا وقّر صغيرهم كبيرهم، و رحم كبيرهم صغيرهم، و أعطى غنيّهم فقيرهم، ابتغاء وجه اللّه و شكرا للّه و تحدّثا بنعمته.

---

[1] المرجع السابق حياة محمد ص542

[2] المرجع السابق نفس الصفحة

هذا القسم الثاني من الاشتراكية التي لا تقوم على أساس توزيع المال وكسبه، إنما اشتراكية روحية وخلقية واقتصادية أساسها أن تحب لنفسك ما تحبه لغيرك وهذه الاشتراكية تؤلف القلوب فيما بينها، وتجعل الشخص الاشتراكي قريباً من الله عزوجل.[1]

ويمكنني أن انقد ما قاله على النحو التالي:

أولا: لم يكن محمد حسين هيكل فقط يقول إن في الإسلام اشتراكية بل قالها غيره كجمال الدين الأفغاني حيث يقول :(أول من عمل بالاشتراكية بعد التدين بالإسلام، هم أكابر الخلفاء من الصحابة، وأعظم المحرضين على العمل بالاشتراكية كذلك من أكابر الصحابة أيضا)[2]

ويقول أيضا :(الاشتراكية في الإسلام.. ملتصقة في خلق أهله عندما كانوا أهل بداوة وجاهلية)[3].

فلم يكن هيكل صاحب هذه الفكرة ومهندسها بل سبقه جمال الدين الأفغاني بها، ويتحفظ الأفغاني على الاشتراكية الغربية كما يتحفظ هيكل لأن فيها مبادئ ليست صحيحة وتختلف مع الإشتركية الإسلامية. [4]

وأدخل الشيخ الغزالي الاشتراكية وجعلها لصيقة لبعض مبادئ الإسلام قال الشيخ الغزالي :(فلنصرخ في وجوههم بالحق المر: إن الإسلام أخوة في الدين، واشتراكية في الدنيا)[5]

ويقول أيضا: (وأرى أن بلوغ هذه الأهداف يستلزم أن نقتبس من التفاصيل التي وضعتها الاشتراكية الحديثة مثلما اقتبسنا صورا لا تزال مقتضبة – من الديمقراطية الحديثة – ما دام ذلك في

---

[1] ينظر محمد حسين هيكل حياة محمد ص541- 543

[2] محمد عمارة الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني 107/1

[3] محمد باشا المخزومي خاطرات جمال الدين الأفغاني ص234

[4] حسن حنفي جمال الدين الأفغاني ص113

[5] محمد الغزالي الإسلام والمناهج الاشتراكية 176

نطاق ما يعرف من عقائد وقواعد، وفي مقدمة ما نرى الإسراع بتطبيقه في هذه الميادين تقييد الملكيات الكبرى وتأميم المرافق العامة)[1].

وأشار إلى أن الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري كان اشتراكياً قال الغزالي:

(أما إن " أبا ذر " استقى نزعته الاشتراكية عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فيدل على ذلك ما رواه هو عن نفسه كنت أمشى مع النبي في حرة بالمدينة، فاستقبلنا جبل أحد فقال: ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهبا، تمضى عليه ثلاث ليال وعندي منه دينار إلا دينارا أرصده لدين على إلا أن أقول في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا.. مشيرا بيده عن يمينه وعن شماله وعن خلفه، ثم سار فقال: إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا، عن يمينه وعن شماله وعن خلفه، وقليل ما هم)[32].

وألف الشيخ مصطفى السباعي كتاباً عنونه ب "اشتراكية الإسلام" و يحدد خصائص اشتراكية الإسلام بالإشارة إلى أن اشتراكية الإسلام تحارب الفقر والجهل والمرض والخوف والمهانة...وان اشتراكية الإسلام تحارب الترف والبذخ واللهو... وان اشتراكية الإسلام توسّع دائرة التكافل الاجتماعي... وان اشتراكية الإسلام ليست نظرية ولا عاطفية، بل هي عملية.

كما يقارن بين اشتراكية الإسلام وبين الرأسمالية فيرى إنهما يتفقان في إعطاء الفرد حق التملك، والتنافس في الإنتاج. ويختلفان في أن حق التملك في اشتراكية الإسلام يخضع لمصلحة الجماعة، وفي الرأسمالية تخضع الجماعة لمصلحة رأس المال. كما يختلفان في أن التنافس في الاشتراكية الإسلامية يشيع الحب والتعاون في المجتمع، وفي الرأسمالية يشيع العداء والخلاف

[1] محمد الغزالي الإسلام المفترى عليه ص62

[2] المرجع السابق ص70

[3] البخاري الصحيح 74/8 باب من أجاب بلبيك وسعديك.

والاضطراب. وان الرأسمالية ملطخة بدماء الشعوب، والاستعمار، والاستعباد، واللصوصية، والاستغلال. ولاشيء من هذا في اشتراكية الإسلام.[1]

إلاّ أنه نقد نفسه بعد ذلك وندم على إلصاق الاشتراكية بالإسلام قال الشيخ الغزالي:(ومن الصعب أن نوجه للكتاب نقداً يستحق التسجيل إلا أن الشيخ نقد نفسه بمنتهى الشجاعة ورفض تسمية " الاشتراكية " وسجل ندم الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله على استخدامه لفظ الاشتراكية، والسبب أن الاشتراكيين الشيوعيين تركوا رأى الإسلام ومنهجه الاعتدالي واعتبروه دليل مشروعية لمناهجهم الاشتراكية)[2].

لم يكن هيكل صاحب السبق في ادخال مفهوم الاشتراكية بمفاهيم الإسلام ، واستبدال المفاهيم النقية الواردة عن الله عز وجل بمفاهيم غربية ، بل سبقه غيره إلى هذا.

إن استخدام مصطلح الاشتراكية وإدخالها بدل بعض المصطلحات الشرعية كالزكاة والصدقة والتملك والكسب والتعاون وغيرها غير صحيح، إذ أن هذه المصطلحات قرآنية بحتة بينما الاشتراكية ليست إسلامية بمعناها الشمولي الذي وضعه غير المسلمين، فالإسلام أسمى مبادئاً من الاشتراكية، واشمل في التعاملات، والنظام الذي وضعه الإسلام أرقى من الاشتراكية، والنظام الإسلامي نظام أخلاقي بينما النظام الاشتراكي نظام قائم على مص دماء الناس وإلغاء الملكيات العامة،

ويذكر عن الشيخ محمد أبو زهرة أنه حضر مؤتمراً وافتتحه رئيس الدولة بقوله: إنه دعا إلى هذه الندوة ليقرر العلماء أن الاشتراكية هي المذهب الإسلامي، وأن يدافعوا عن هذا الرأي.

---

[1] ينظر مصطفى السباعي اشتراكية الإسلام من 21–70

[2] محمد الغزالي الإسلام المفترى عليه ص177

بعد كلمة الرئيس عبست الوجوه، وتكدرت النفوس، ولم يتقدم أحد ليعلق على ما قاله هذا الرئيس، ولكن الشيخ أبا زهرة طلب الكلمة، واتجه إلى المنبر وقال بشجاعة منقطعة النظير: نحن علماء الإسلام وفقهاؤه، وقد جئنا إلى هذه الندوة، لنقول كلمة الإسلام كما نراها نحن لا كما يراها السياسيون، ومن واجب رجال السياسة أن يستمعوا للعلماء، وأن يعرفوا أنهم متخصصون فاهمون، لا تخدعهم البوارق المضرية، وقد درسوا ما يسمى بالاشتراكية، فرأوا الإسلام أعلى قدراً، وأسمى اتجاهاً من أن ينحصر في نطاقها، وسيصدر المجتمعون رأيهم كما يعتقدون، لا كما يريد رجال السياسة، فهم أولُو الأمر في هذا المجال، ثم توجه الشيخ إلى زملائه قائلاً: هل فيكم من يخالف ؟ ".فرأى الإجماع منعقداً على تأييده، فقال: الحمد لله أن وفق علماء المسلمين إلى ما يرضي الله ورسوله.

وبعد موقف الشيخ محمد أبو زهرة، لم تستمر الندوة في انعقادها أسبوعاً كما كان من المقرر لها من قبل، بل كان حفل الاستقبال هو حفل الختام.[1]

فلو أن الدكتور هيكل ترك مصطلح الاشتراكية من كلامه الذي تحدث به وجعل مكانها النظام الاقتصادي الإسلامي أو المبادئ الشرعية أو غيرها مما يدل عليه بنظرة شرعية، فان كلامه يكون حينها صحيحا مستقيما ليس فيه خطأ.

ثانياً: إن إطلاق الاشتراكية على بعض الصحابة ووصفهم غلاة في الاشتراكية، وغلوهم يرجع إلى أن هؤلاء الصحابة كانوا يرون أنه لا يجوز التملك بشيء مما خلقه الله عز وجل، ولا يجوز أن يدخر الإنسان عنده شيئا إلا قوت يومه وقوت عياله، وكثير من الصحابة لا يرون هذا.

[1] ينظر محمد رجب البيومي النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين 272/2 وما بعدها

فأقول لا يجوز إسقاط المصطلحات الأيدلوجية والمفاهيم الغربية والشرقية الحديثة على الإسلام ورجاله، لأن هذه المصلحات والمفاهيم لا تعبر عن واقع النظام الإسلامي وجوهره وآلياته في التعامل مع المال والملكية وغيرها، فالاشتراكية مغايرة في الأُسس والمبادئ للإسلام.

وإطلاق مثل هذه الأوصاف على صحابة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- انتقاص من قدرهم، وهم فيما هم فيه من درجة رفيعة ومنزلة عظيمة في الدنيا والآخرة وعند الله وعند خلقه، فالمهاجرون منهم صادقون، والأنصار مفلحون، وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، ثم بعد ذلك يقال عنهم إنهم اشتراكيون فكيف يستقيم ذلك؟.

والاشتراكيون يشيرون بكلامهم وأقلامهم بهذه التهمة إلى الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وأنه كان متشدداً بالاشتراكية،وتناسوا أن هذا الصحابي الجليل كان رأساً في الزهد، والصدق، والعلم، والعمل، قوالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، على حدة فيه[1]. لا يحب الزيادة في الترف والغنى الفاحش في مقابل أن شخصاً فقيراً لا يجد قوت اليوم.

لم تكن نظرة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه إلى المال نظرة اشتراكية كما هو مفهوم الاشتراكية، وهي أن كل شيء ملك للجميع، بل كانت نظرته أن يكتفي الإنسان بقوت لنفسه ولعياله في يوم واحد دون إسراف أو بذخ شديد، وكان يصرح بهذا دون خوف من أحد أو اعتبار لمكانة سياسية كيف وهو قد قال عنه ﷺ (مَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ، وَلاَ أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ)[2].

---

[1] الذهبي سير أعلام النبلاء 35/3

[2] مسند احمد 163/2 تعليق شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره ، وابن ماجه السنن 108/1 فضل ابي ذر

ويتضح منهجه رضي الله عنه في التعامل مع المال من خلال كلامه الذي ذكره الذهبي قال: (وكان يقول: لا يبيتن عند أحدكم دينار، ولا درهم، ولا تبر، ولا فضة، إلا شيء ينفقه في سبيل الله، أو يعده لغريم)[1].

فهذا الزهد بعينه ولم يكن ذلك سجية طبع وخلق عليها وإنما كان ذلك بتوجيه النبي ﷺ فهو الذي علمه مثل هذا قال أبو ذر رضي الله عنه (كنت مع النبي ﷺ فلما أبصر، يعني أحداً– قال ما أحب أنه يحول لي ذهباً يمكث عندي منه دينار فوق ثلاث إلا دينارا أرصده لدين ثم قال إن الأكثرين هم الأقلون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وأشار أبو شهاب[2] بين يديه وعن يمينه وعن شماله – وقليل ما هم..)[3].

ورى مثل هذا أبو هريرة، رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(لو كان لي مثل أحد ذهبا ما يسرني أن لا يمر علي ثلاث وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين).[4]

وهذا الحديث السالف ذكره ليس يحرم أن يدخر الإنسان المال وإنما يرغب بالإنفاق في سبيل الله عز وجل قال ابن حجر :

(ويحتمل أن يكون على ظاهره والمراد بالكراهة الإنفاق في خاصة نفسه لا في سبيل الله فهو محبوب قوله إلا أن أقول به في عباد الله هو استثناء بعد استثناء فيفيد الإثبات فيؤخذ منه أن نفي محبة المال مقيدة بعدم الإنفاق فيلزم محبة وجوده مع الإنفاق فما دام الإنفاق مستمرا لا يكره وجود المال وإذا انتفى الإنفاق ثبتت كراهية وجود المال ولا يلزم من ذلك كراهية حصول شيء آخر ولو كان قدر أحد أو أكثر مع استمرار الإنفاق قوله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن

---

[1] الذهبي سير أعلام الن 54/3

[2] أحد رجال الإسناد وهو عبد ربه بن نافع الكناني أبو شهاب الخياط الكوفي نزيل المدائن /ابن حجر فتح الباري 416/1

[3] البخاري الصحيح 152/3 باب أداء الديون ، مسلم الصحيح باب فضل الصدقة 75/3

[4] البخاري الصحيح 152/3 باب أداء الديون ،واحمد المسند 399/2 مسند أبي هريرة

خلفه، هكذا اقتصر على ثلاث وحمل على المبالغة لأن العطية لمن بين يديه هي الأصل والذي يظهر لي أن ذلك من تصرفات الرواة وأن أصل الحديث مشتمل على الجهات الأربع)[1].

قال التبريزي : (وفي الحديث الحث على الإنفاق في وجوه الخيرات وأنه صلى الله عليه وسلم كان في أعلى درجات الزهد في الدنيا بحيث إنه لا يحب أن يبقى في يده شيء من الدنيا إلا لإنفاقه فيمن يستحقه. وأما لإرصاده لمن له حق، وأما لتعذر من يقبل ذلك لتقييده في رواية بقوله أجد من يقبله)[2].

إذن ما كان أبو ذر رضي الله عنه صاحب فكر مستقل في موضوع الزهد وإنما تلقى هذه المبادئ من معلمه سيدنا محمد ﷺ، وقد أخطأ من قال إن صاحب الفكرة الاشتراكية الأُولى رسول الله ﷺ، لأن النبي ﷺ يتلقى من الله عزوجل، والله سبحانه وتعالى هو الذي علم نبيه صلوات الله وسلامه عليه كل هذا فلم يطلق سبحانه على الصدقة والزهد والزكاة اشتراكية،

وأختم بقول شداد بن أوس رضي الله عنه في تعليل تصرفات الصحابي الجليل سيدنا أبي ذر رضي الله عنه حول المال والإنفاق وهذا المنهج الذي اتبعه فقال: (كان أبو ذر يسمع الحديث من رسول الله فيه الشدة، ثم يخرج إلى قومه، فيسلم عليهم، ثم إن رسول الله يرخص فيه بعد، فلم يسمعه أبو ذر، فتعلق أبو ذر بالأمر الشديد).[3]

فلا يستقيم كلام هيكل فما ادعاه أن الصحابة كانوا على قدر واحد في الاشتراكية ، وأن بعضهم كان متشدداً في هذا المفهوم ، بل كانوا أحبة فيما بينهم يرحم كبيرهم صغيرهم ، ويحترم صغيرهم كبيرهم ، همهم رضاء الله عز وجل ، فلا اعتبار للمال في حياتهم وإنما الفوز بالجنة والنجاة من النار .

---

[1] ابن حجر فتح الباري 265/11

[2] التبريزي والمباركفوري مشكاة المصابيح مع مرعاة المفاتيح 563/6

[3] الذهبي سير أعلام النبلاء 57/3

المبحث الخامس

الأخطاء في تفسير بعض القضايا في كتاب حياة محمد، والتفسيرات الغريبة التي نسبت إليه، وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: موقف هيكل من النصرانية.

المطلب الثاني: إدعاء هيكل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينسى نفسه.

المطلب الثالث: إدعاء هيكل أن النبي صلى الله عليه وسلم تعلم من الرهبان في الشام النصرانية.

المطلب الرابع: نقد عبدالله القصيمي لكتاب "حياة محمد" والتفسيرات الغريبة التي نسبها لهذا الكتاب.

المطلب الأول: موقف هيكل من النصرانية

ادعى الدكتور هيكل أن النصرانية تقول بالتثليث، وأن النصرانية لا تؤمن بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما يقر الإسلام بنبوة سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام يقول هيكل (إنّ بين الإسلام و النصرانية خلافا على مسائل أساسية كانت موضع جدل شديد في عهد النبيّ، و إن لم يتعدّ الأمر الجدل إلى العداوة و البغضاء. فالنصرانية لا تقرّ بنبوّة محمد كما يقرّ الإسلام بنبوّة عيسى، و النصرانية تقول بالتثليث، و الإسلام ينكر كل ما سوى التوحيد أشد الإنكار)[1]

ويقول أيضا (تقول المسيحيّة بالتثليث و بأن عيسى ابن اللّه، و الإسلام ينكر إنكارا صريحا باتّا أن يكون للّه ولد)[2].

نقد كلامه.

أولاً: يجب أن نفرق بين النصرانية أو المسيحية والنصارى أو المسيحيين، ذلك أن النصارى شيء والنصرانية شيء آخر، فما تقول به النصارى لا تقره النصرانية كدين فمثلا قوله تعالى:(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)التوبة.

فالنصارى يقولون إن عيسى ابن الله، وقسم من النصارى اتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله عزوجل، لكن النصرانية التي جاء بها عيسى لا تقر هذا لأن عقيدة جميع الأنبياء التوحيد

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص25
[2] المرجع السابق ص27

قال الله تعالى (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (111المائدة).

إذن أوحى الله إلى الحواريين على لسان عيسى أن يؤمنوا بالله وبرسوله فقال الحواريون آمنا واشهد بأنا مسلمون.

وقال الله تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (72) لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (74)المائدة

وقال تعالى (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118)المائدة

فهذه العقيدة التي جاء بها عيسى عليه السلام وهي أن الله هو خالق الكون ولا إله معه سبحانه وتعالى،عقيدة صافية نقية لا انحراف فيها ولا زيغ ولكن حرفت وبدلت.

ومثل هذا ما جاء في السنة النبوية الشريفة فعن أبي هريرة قال☹ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات[1] أمهاتهم شتى ودينهم واحد).[2]

ثانياً: المسيحية تقر بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بينما غالبية المسيحيين اليوم لا يقرون بهذا بخلاف ما ذكر الدكتور هيكل قال الله تعالى (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (الصف6).

وعن عرباض بن سارية قال:(قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إني عبد الله لخاتم النبيين وان آدم عليه السلام لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين ترين) [3].

إن من يعتنقون النصرانية (المسيحية)اليوم تختلف عقيدتهم في نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عما جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام، فانه عليه الصلاة والسلام بشُر بسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه، وهذه عقيدة النصرانية التي هي عقيدة الإسلام دين الله الواحد لا عقيدة النصارى المحرفة التي يدينون بها اليوم.

---

[1] والعلات بفتح المهملة الضرائر وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عل منها والعلل الشرب بعد الشرب وأولاد العلات الأخوة من الأب.ابن حجر فتح الباري 492/6

[2] صحيح البخاري 203/4 باب {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها}.احمد المسند 406/2 مسند ابي هريرة.

[3] احمد المسند 127/4 تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره دون قوله: " وكذلك أمهات النبيين ترين "

المطلب الثاني: إدعاء هيكل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينسى نفسه

ادعى هيكل أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم من شدة تفكره وتأمله وهو في غار حراء كان ينسى نفسه وينسى ما حوله قال هيكل:(و لقد كان يشتد به التأمل ابتغاء الحقيقة حتى لقد كان ينسى نفسه و ينسى طعامه و ينسى كل ما في الحياة؛ لأن هذا الذي يرى في حياة الناس مما حوله ليس حقّا. و هناك كان يقلّب في صحف ذهنه كل ما وعى فيزداد عما يزاول الناس من ألوان الظن رغبة و أزورارا)[1].

هذا الكلام فيه إساءة لمقام النبي ﷺ لأن الذي ينسى نفسه وينسى طعامه وينسى كل ما في الحياة يكون في حالة استثنائية من مرض أو جنون أو صرع أو (جذب)، وليس حال من هو عاقل رزين متوازن ثابت في كل يصدر عنه[2] وهو سيد للعالمين، ورسول رب العالمين، وكيف يمكن للمتفكر والمتأمل في هذا الكون وصانعه أن يغيب عن نفسه وما حوله؟.

إن ما يكتبه هيكل يخرج عن كونه سيرة نبوية لأنه يبالغ في هذا الوصف ويخرج الأمور عن حدها إلى درجة التهويل والمبالغة، وفيه انتقاص من درجة ومقام النبي ﷺ، ولو كان يكتب نثراً أو شعراً لما جاز له يبالغ في هذا الوصف.

وقد قال- ﷺ- :(إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني)[3].

إن موضوع النسيان عند النبي صلى الله عليه وسلم له قواعده عند العلماء، فقد قعد ابن حجر العسقلاني لهذه المسألة تقعيداً علميا دقيقا:

فقال: النسيان من النبي ﷺ لشيء من القرآن يكون على قسمين:

---

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص146

[2] ينظر عبدالله القصيمي نقد كتاب حياة محمد ص51

[3] البخاري الصحيح 111/1 باب التوجه نحو القبلة حيث كان.ومسلم الصحيح 84/2 باب السهو في الصلاة والسجود

أحدهما: نسيانه الذي يتذكره عن قرب وذلك قائم بالطباع البشرية وعليه يدل قوله ﷺ في حديث ابن مسعود في السهو إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون.

والثاني: أن يرفعه الله عن قلبه على إرادة نسخ تلاوته وهو المشار إليه بالاستثناء في قوله تعالى في سورة الأعلى (سَنُقْرِؤُكَ فَلا تَنسَى (6) إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (7).

فأما القسم الأول فعارض سريع الزوال لظاهر قوله تعالى في سورة الحجر (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)، وأما الثاني فداخل في قوله تعالى في سورة البقرة (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106)، "وننسها"على قراءة من قرأ بضم أوله من غير همزة.

وفي الحديث حجة لمن أجاز النسيان على النبيﷺ فيما ليس طريقه البلاغ مطلقاً وكذا فيما طريقه البلاغ لكن بشرطين أحدهما أنه بعد ما يقع منه تبليغه والآخر أنه لا يستمر على نسيانه بل يحصل له تذكرة أما بنفسه وأما بغيره وهل يشترط في هذا الفور؟ قولان فأما قبل تبليغه فلا يجوز عليه فيه النسيان أصلا وزعم بعض الأصوليين وبعض الصوفية أنه لا يقع منه نسيان أصلا وإنما يقع منه صورته ليسن.[1]

ما كان نسيان رسول الله ﷺ يوصله إلى ما قاله هيكل إنما كان طبيعياً من اجل أن يسن، وكان عارضاً يزول بالتذكير أو التذكر.

[1] ابن حجر فتح الباري 86/9

المطلب الثالث: إدعاء هيكل أن النبي ﷺ تعلم النصرانية من الرهبان في الشام.

ادعى هيكل أن النبي ﷺ وهو في الثانية عشرة من عمره في رحلته إلى الشام عرف أخبار الروح وعلم تعاليم النصرانية ولا يكون هذا إلاّ من خلال الرهبان والأحبار، وهذا في رحلته الأُولى له إلى الشام، قال هيكل:

(و في الشام كذلك عرف محمد أخبار الروح و نصرانيتهم، و سمع عن كتابهم و عن مناوأة الفرس من عبّاد النار لهم و انتظارهم الوقيعة بهم. و لئن كان بعد في الثانية عشرة من سنه لقد كان له من عظمة الروح و ذكاء القلب و رجحان العقل و دقة الملاحظة و قوّة الذاكرة و ما إلى ذلك من صفات حباه القدر [1] بها تمهيدا للرسالة العظيمة التي أعدّه لها ما جعله ينظر إلى ما حوله نظرة الفاحص المحقق، فلا يستريح إلى كل ما يسمع و يرى، فيرجع إلى نفسه يسائلها: أين الحقّ من ذلك كله؟)[2].

أما في الرحلة الثانية إلى الشام فزاد تأمله وتفكيره بدين النصارى والتقى في هذه الرحلة الراهب نسطوري وجادله النبي– ﷺ– في دين عيسى قال هيكل:

(و أحيت هذه الرحلة في نفسه ذكريات الرحلة الأولى، كما زادته تأملا و تفكيرا في كل ما رأى و سمع من قبل عن العبادات و العقائد بالشام أو بالأسواق المحيطة بمكة. فلما بلغ بصرى اتّصل بنصرانية الشام و تحدّث إلى رهبانها و أحبارها و تحدّث إليه راهب نسطوريّ و سمع منه. و لعلّه أو لعلّ غيره من الرهبان قد جادل محمدا في دين عيسى، هذا الدين الذي كان قد انقسم يومئذ شيعا و أحزابا)[3].

---

[1] ليس القدر إنما الله عز وجل

[2] محمد حسين هيكل حياة محمد ص131

[3] المرجع السابق ص137

هذا كلام ليس له سند إلا أخبار مقطوعة مروية في كتب السيرة لا تصح، وكيف لغلام بلغ التاسعة من عمره أن يعرف عن الروح والنصرانية والكتب المقدسة والديانة الفارسية وعباد النار وغير ذلك ؟ وكأنه في سفره هذا ذهب في رحلة علمية.

إن هذا الإدعاء يجزم به المستشرقون ليصلوا إلى أن الإسلام أصله من النصرانية، وقد صرح كتاب الله عز وجل أن هذا كلام باطل قال الله تعالى(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ)النحل 113، وقال تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (5) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (6)الفرقان.

وما كان يعلم النبي ﷺ شيئاً عن هذا الدين، ولا الروح ولو كان يعلم عن الروح شيئاً لأجاب يوم أن سُئل دون أن يرجع إلى الوحي قال الله تعالى (تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)هود 49، وقال تعالى (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)العنكبوت 48-51،وقال تعالى (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)الشورى 52.

هذا هو القول الفصل فلم يتعلم رسول الله ﷺ من قبل أن ينزل عليه الوحي شيئاً عن الإيمان والروح، وما كان يدري ما هو الكتاب وما هو الإيمان ولا يعلم ما هي أخبار النصارى وغيرها من الأمور التي ادعاها الدكتور هيكل.

وقد قال ابن إسحاق: فزعموا فيما روى الناس أن زريرا، وتماما ودريسا – وهم نفر من أهل الكتاب – قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلما رأى بحيرى في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب، فأرادوه فردهم عنه بحيرى، فذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إن أجمعوا لما أردوا به لم يخلصوا إليه. حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه، هكذا ذكر ابن إسحاق هذا السياق من غير إسناد منه على نحو ما ذكر ابن كثير منتقداً له[1].

إذن كل الروايات التي جاءت تتحدث أن بحيرى لقي النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره ولم يذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم تعلم منه شيئاً أو التقى بغيره.

ولكن هذه الروايات التي جاءت تتحدث أن النبي ﷺ التقى بحيرى في الشام وتعلم منه فيها عند مقال عن العلماء ،وأقوى هذه الروايات ما أورده الترمذي[2] في جامعه وقال عنها (حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وأخرجها الحاكم في مستدركه[3]، وقال عن هذه الرواية: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، ثم تعقبه الذهبي فقال (أظنه موضوعا فبعضه باطل).

قال أكرم ضياء العمري:(وكان ابن سيد الناس (ت 734 هـ) قد تعقب رواية الترمذي ونبّه على ما في متنها من نكارة، لكنه حصر النكارة في إرسال أبي بكر مع النبي ﷺ بلالًا الذي ورد

---

[1] ابن كثير السيرة النبوية 245/1

[2] الترمذي الجامع 590/5 باب بدء نبوة النبي صلى الله عليه وسلم

[3] الحاكم المستدرك على الصحيحين 672/2

في آخر الرواية. ولعل الحافظ الذهبي (ت748 هـ) استفاد منه في نقده لمتن الرواية، وكذلك فإن ابن القيِّم (ت 751 هـ) أفاد منه فيما يبدو حين بيَّن أن ذكر بلال في الرواية خطأ فاحش. بل يمكن اعتبار ابن إسحاق أول من شكك بالرواية باستعماله صيغة التمريض (يزعمون) ثلاث مرات!!)[1].

ثم أطال القول في ذكر أقوال العلماء في ضعف هذه الرواية سنداً ومتناً ولكنه قال في نهاية كلامه (ويمكن أن تطمئن النفس إلى إثبات سفره ﷺ مع عمه إلى بُصرى، وتحذير الراهب بحيرى لعمه من يهود والروم بالاعتماد على رواية الترمذي، والاستئناس بالروايات الضعيفة الأخرى)[2]، لكنه أراد أن يعمل قواعد الجرح والتعديل في كل هذه الروايات ليثبت خطأ كثير من الأقوال التي وردت خلالها ويثبت ما يمكن أن يكون صحيحا.

ويقول أيضا:(وقد حاول بعض المستشرقين أن يبني على هذه القصة اتهامات فيها مجازفة علمية حيث زعموا أن النبي تلقى علم التوراة عن بحيرى إذ كيف يعقل أن يتلقى النبي في سن الثانية عشرة علم التوراة في ساعة الطعام التي التقى خلالها ببحيرى، وهو أمي لا يحسن القراءة والكتابة؟! فضلًا عن حاجز اللغة إذ لم يكن قد وجد في ذلك الوقت توراة ولا إنجيل باللغة العربية. وإذا كان المقصود رد أصول الإسلام إلى التوراة، فأين أثر تعاليم التوراة تلك في حياة الرسول ﷺ وما بين لقائه ببحيرى وبعثته ثمانية وعشرين سنة!!)[3]

[1] أكرم ضياء العمري السيرة النبوية 108/1
[2] المرجع السابق 109/1
[3] المرجع السابق110/1

المطلب الرابع: نقد عبدالله القصيمي لكتاب "حياة محمد" والتفسيرات الغريبة التي نسبها لهذا الكتاب.

نقد عبدالله القصيمي كتاب "حياة محمد" للدكتور هيكل ولم يكن نقده شاملاً لكل ما يستحق النقد بل كان في موضوعات دون موضوعات، وهذا النقد كان ينشر في جريدة الكوكب ثم جمع بكتيب صغير وذلك في عام 1935م–1354هـ، ولم يكن نقده على طريقة المحدثين إنما كان نقداً عاماً جامعاً بين النقد العقلي و الشرعي ، ولكنه نسب للدكتور هيكل ما لا يوجد في كتابه في الطبعة الأولى وما بعدها، وما استقر عليه الكتاب، وربما أن القصيمي أطلع على أول ما كتب الدكتور هيكل ثم قام الدكتور هيكل بتغييره ويبقى هذا مجرد احتمال، وربما أن يكون بعض ما نسب للدكتور هيكل دس عليه.

قال القصيمي في عنوان مستقل (لم يقدح المسلمون في عيسى)

ثم قال (قال هيكل في صفحه 3 واستمر القتال بين أتباع عيسى و أتباع محمد قرونا متتالية. و لم يقف القتال عند حرب الأسنّة و المدافع، بل تعدّاها إلى ميادين الجدل و النضال الكلامي، جاء المقاتلون فيها بأسماء محمد و عيسى، و جعل كل فريق من انتقاص رسول الفريق الأخر وسيلة لتأليب السواد و استثارة حماسة الجماهير و تعصّبها)[1].

ثم أخذ ينقد هذا الكلام مبيناً أنّ المسلمين لم ينتقصوا يوما من الأيام نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، وكانوا وما زالوا يرون لنبي الله عيسى مكانة كأي نبي من الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى الخلق، ولكن هذا الذي ذكره غير موجود في كل الطبعات التي اطلعت عليها من الأُولى إلى الثانية التي كانت في عام 1934م وإلى الخامسة والنص المثبت فيها: (و استمر القتال بين أتباع عيسى و أتباع محمد قرونا متتالية. و لم يقف القتال عند حرب الأسنّة و المدافع، بل تعدّاها

[1] عبدالله القصيمي نقد كتاب حياة محمد ص15

إلى ميادين الجدل و النضال الكلامي، جاء المقاتلون فيها بأسماء محمد و عيسى، و جعل كل فريق يلتمس الوسيلة لتأليب السواد و استثارة حماسة الجماهير و تعصّبها)[1].

وإذا كان هيكل قد كتب هذا الكلام فقد تراجع عنه فهذا الكلام لم يقله أحد من هذه الأمة، فكل الأمة تعتقد بعيسى عليه الصلاة والسلام أنه عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، ولم نسمع أن أحدا انتقص من قدره، فإذا قال هيكل ذلك فهي زلة قلم ثم عدلها.

وقال القصيمي تحت عنوان" قصة الفداء والذبح " وقال هيكل في ص 48 في قصة الذبح في القران:" و قصة الذبح و الفداء أن إبراهيم رأى في منامه أن اللّه يأمره بأن يقدّم ابنه قربانا فيذبحه ويحرقه؛ فسار و ابنه في الصباح، (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ. وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) سورة الصافات الآيات من 102 إلى 107، ثم انتقده كيف له مع ما هو فيه من التحري والدقة والألمعية أن يخطئ في آية من كتاب الله عزوجل، ثم اعتذر له أن ذلك ربما يكون سهوا.

ولكن النص الذي في الطبعات المشار إليها سابقا لا يوجد فيها الذبح مع الحرق إنما الذبح فقط ولا أظن هيكل يقول مثل هذا إلاّ أن يكون سهوا قال هيكل في النسخ التي اعتمدت عليها:

(و قصة الذبح و الفداء أن إبراهيم رأى في منامه أن اللّه يأمره بأن يقدّم ابنه قربانا فيذبحه؛ فسار و ابنه في الصباح، (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ.

[1] محمد حسين هيكل حياة محمد ص22 تقديم الطبعة الأولى

وَ نادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ. وَ فَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)الصافات102-107.

وهذا ما استقر عليه في الكتاب من الطبعة الأولى إلى الطبعة الثانية إلى الآن، وربما كان أخطأ فيها ثم عدلها ولكنه قال إنّ الله افتدى إسماعيل بكبش عظيم ذبحه ثم حرقه،فربما يكون قول القصيمي صحيحا.

ذكر القصيمي أن هيكل قال إن سارة زوجة نبي الله إبراهيم حملت من الغيرة، وأنّ الغيرة أذهبت عنها العقم، ثم انتقده على ذلك وساق الأدلة على بطلان هذا الفهم.[1]

ولكن هذا غير مثبت في كتاب حياة محمد في الطبعات التي أشرت إليها.

[1] ينظر عبدالله القصيمي نقد كتاب حياة محمد ص44

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته سبحانه تكمل الطاعات، وتتزل الرحمات، وتطيب الحياة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، صاحب السيرة العطرة والذكرى الطيبة.

وبعد:

فإن هذه الدراسة التحليلية لكتاب "حياة محمد" للدكتور محمد حسين هيكل والذي عني بسيرة النبي ﷺ، والتي عشت من خلالها مع سيرة رسول الله ﷺ، ومع اهتمام الأُمة بهذه السيرة العطرة قديما وحديثا، وتبين لي حجم ما يحاك من أعداء الأمة حول هذه السيرة العطرة لتشويه صورة صاحبها عليه الصلاة والسلام، وقد توصلت فيها إلى النتائج الآتية:

أولاً: مر الدكتور محمد حسين هيكل بثلاث مراحل فكرية، ابتدأت أولاً بالانبهار بحضارة الغرب وقيمهم، ثم انتقل إلى الانبهار بحضارة الفراعنة وكيفية رقيها، ثم ما لبث أن أدرك أن كلتا الحضارتين لا تصلحان لاتخاذهما أنموذجا للنهضة، فاتجه إلى المرحلة الثالثة وهي البحث في سيرة النبي ﷺ وعوامل النهضة التي من خلالها سادت هذه الأمة، ولكنه ما استطاع أن يتخلص من كل ما علق في فكره من الحضارة الغربية والفرعونية، والتي كانت واضحة في كتابته.

ثانيا: لم يكن كتاب "حياة محمد" كما أدعى بعضهم أن كل صفحة وسطر فيها خطأ واضح، بل في هذا الكتاب الإيجابيات الواضحة من دفاع عن هذا الدين، وعن رسول الله ﷺ، ويظهر جلياً موقفه من المستشرقين من خلال رده طعنهم في شخصية النبي ﷺ ورده عليهم.

ثالثاً: لم يكن هيكل متخصصاً في العلم الشرعي ولذلك ظهر واضحاً حجم الأخطاء المنهجية في كتابته، وعدم تمييزه أحياناً بين المصطلحات العلمية الشرعية، والتخبط في تقديم الأصح من الروايات، وعدم التمييز بين السند والمتن.

رابعاً : من أسباب ظهور المدرسة الذاتية الضعف في البناء الديني لأعلام هذه المدرسة، فلا يوجد من أعلام هذه المدرسة متخصص في أي مجال من المجالات الشرعية.

خامساً: كان لانتشار العلمانية والشيوعية الدور المهم في انتشار المدرسة الذاتية وخاصة في مصر، فقد انتشرت المدارس العلمانية في كل محافظة والتي كانت تدعو إلى تقويض دعائم الدين، والفصل بين الدين والسياسة، وجعل كل مقررات الدين خاضعة للبحث العلمي.

سادساً: ومن أسباب ظهور المدرسة الذاتية قوة حركة الاستشراق والتبشير في المجتمع الإسلامي، وانتشار كتبهم مدعوماً بالمال ومباركة السلطة تحت شعار حرية الأديان وحوارها، فتجد أن كثيرا مما عند هذه المدرسة مأخوذ من المستشرقين.

سابعاً: اتضح أن هذه المدرسة تدعي أنها تؤمن بالقران الكريم كمصدر وحيد للشرائع الإسلامية، فمن وراء الأستار أنكروا السنة النبوية والأحاديث الشريفة، مدعين أنها وردت بطرق الآحاد، وأن كثير منها متناقض ومختلف، ولم يعرض على القران الكريم، ومنها ما يتعارض مع العقل والحس والمنطق.

ثامناً: اعتمد محمد حسين هيكل في كتابه على بعض أقوال المستشرقين أمثال درمنجم وموير وغيرهما، وأنكر في بعض المواضع عليهما، ولكن كان يقول بكثير مما يقول به المستشرقون من الأفكار المغرضة والأقوال المعادية لهذا الدين.

تاسعاً: كان منهج هيكل في الأخذ من كتاب تاريخ الطبري وتفسيره، وكتاب السيرة النبوية لابن إسحاق، وابن هشام ،والمغازي للواقدي انتقائيا يأخذ بالرواية المناسبة لمنهجه الذي اعتمده في

كتابه (عرض الروايات على المنهج الغربي الحديث) فما وافق هذا المنهج يأخذ به وإن كان موضوعا أو ضعيفاً، وما خالف هذا المنهج يرده وإن كان في أعلى درجات الصحة.

عاشراً : تباينت مواقف العلماء من ابن إسحاق، فمنهم من جرحه وطعن فيه وجعله من الكذبة، ومنهم من جعله إماما في العلم وعمدة في النقل، وكان كتابه السيرة النبوية حظي باهتمام كبير من العلماء المحققين، وغالب رواياته في هذا الجزء مروية بالسند ولكن جزءاً من هذه الروايات مقطوعة السند أو مروية بالبلاغ، وهذه الروايات فيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع، فكل رواية مقطوعة ضعيفة، وكل رواية مسندة تحتاج إلى نقد علمي على طريقة المحدثين، ومن المحدثين من صححه في الجملة دون نقد كل رواية، فهو يجمع بين طريقة المحدثين وطريقة الإخباريين.

الحادي عشر: اعتمد هيكل الرواية التي تتحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه الوحي في غار حراء وهو نائم، ليتوصل من خلالها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعيش الحياة الطبيعية ليس فيها شيء غير عادي.

الثاني عشر: أنكر هيكل حادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم لملابسات دارت حول هذه الحادثة اعتمدها واعتقدها، رامياً بعرض الحائط كل الروايات الصحيحة التي تتحدث عن ذلك.

الثالث عشر: ادعى هيكل أن هلاك أبرهة وجنوده كان بمرض الجدري لا غيره، غير ملتفت إلى الصريح من كلام الله عزوجل وتواتر القصة، معتمدا على أقوال المدرسة العقلية والمستشرقين.

الرابع عشر: يرى هيكل أن الإسراء والمعراج كان بالمنام فقط، لا بالجسم والروح، ويكتشف أن من فوائد الإسراء والمعراج أن الوجود كله قد انطوى بروح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فعلم ما في الوجود كله، وهذا لا يقره الإسلام.

الخامس عشر: ادعى هيكل أن في القران الكريم اشتراكية لم يكتشفها احد من قبله، فالزكاة والصدقة والتكافل الاجتماعي وغيرها من الاشتراكية، ومحبة الإنسان الخير لغيره كما يحب لنفسه من الاشتراكية الإيمانية، وهذا لا يقره الإسلام ، وقد سبقه بعض العلماء إلى إدخال مثل هذه المصطلحات في مفاهيم الإسلام .

السادس عشر : يرى هيكل أن الأنبياء والعظماء والمتميزين فوق القوانين البشرية والسماوية، فلا يحاسبون بما يقترفون من أخطاء عند البشر وعند الله عزوجل.

السابع عشر: ادعى هيكل أن النبي ﷺ كان ينسى نفسه وينسى ما حوله وقت التأمل والتفكر وهو في غار حراء.

الثامن عشر: ادعى هيكل أن النبي صلى الله عليه وسلم تعلم وهو في صغره من الرهبان في الشام، وكذلك تعلم وهو شاب من الأحبار: النصرانية وعلوم الروح والديانات وغيرها وناقشهم ورد عليهم، مع أن كلام الله عز وجل ينقض ما قاله.

التاسع عشر: نقد عبدالله القصيمي كتاب هيكل "حياة محمد " نقداً ليس مطولا تناول فيه عدة تحليلات من الكتاب وكان نقده ليس شاملاً، وقد اعتمد في النقد على الطريقة المنطقية العقلية غالبا، ورد أحياناً من خلال بعض الآيات وتفسيرها، ولكنه جاء ببعض القضايا التي لا توجد في الكتاب من الطبعة الثانية والتي كانت في سنة 1934م إلى الآن، وكتاب القصيمي كانت طباعته في سنة 1935، فربما كان ما أورده القصيمي صحيحاً ثم عدل عنه هيكل فيما بعد، أو أن ما وصل إلى القصيمي كان غير صحيح.

قائمة المصادر والمراجع مرتبة على الترتيب الألفبائي لشهرة المؤلفين

1. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت630 هـ)، النهاية في غريب الأثر، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.
2. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري(ت370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – 2001م الطبعة الأولى.
3. الأفغاني، جمال الدين (ت1897م)، الأعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني، تحقيق محمد عمارة.المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
4. الأفغاني، جمال الدين، العروة الوثقى، تحقيق محمد عمارة، القاهرة.
5. ابن اسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني (ت 151هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت.
6. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم (ت402 هـ)،البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات، تحقيق: مكارثي، المكتبة الشرقية، بيروت، 1958م.
7. الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تعليق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث.
8. البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي ابو عبدالله (ت256 هـ)، الجامع الصحيح المختصر المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 – 1987، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

9. البخاري، الأدب المفرد، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة، 1409 – 1989، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

10. البزار، َبُو بَكْرٍ أَحْمَد بن عَمْرِو بنِ عَبْدِ الخَالِقِ البَصْرِيُّ (ت292 هـ)، مسند البزار، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18)، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م)

11. البُستي، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي،(ت354 هـ)، صحيح ابن حبان،مؤسسة الرسالة – بيروت،الطبعة الثانية، 1414 – 1993، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

12. البُستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم،السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1417 هـ.

13. ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، (ت449 هـ) شرح صحيح البخاري، مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – 1423هـ – 2003م، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

14. البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب (ت463 هـ)، تاريخ بغداد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

15. البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، المحقق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف – الرياض.

16. البوطي، محمد سعيد رمضان (ت2013 هـ)، فقة السيرة، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثامنة.

17. البيهقي، أحمد بن الحسين (ت458 هـ)، معرفة السنن والآثار، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار النشر :جامعة الدراسات الإسلامية + دار الوعي + دار قتيبة البلد: كراتشي باكستان + حلب + دمشق الطبعة: الأولى سنة الطبع: 1412هـ، 1991م.

18. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (المتوفى: 458هـ)، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد،أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند،الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م. و تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى 1410هـ-1990م.

19. البيهقي، دلائل النبوة، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: الدكتور / عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية . ودار الريان للتراث، الطبعة: الأولى 1408 هـ / 1988 م.

20. بيهم، محمد جميل (ت1978م)، تاريخ فلسفة محمد، تقديم حسان حلاق، الدار الجامعية – بيروت.

21. البيومي، محمد رجب (ت 2011م)، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت،ط1، 1999.

22. التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب (ت502 هـ)، مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1405 – 1985، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.

23. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك،(ت279 هـ)، سنن الترمذي، ار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

24. التفتزانـي، سـعد الـدين بـن مسـعود بـن عمـر (ت792 هـ)، شـرح المقاصـد، دار المعـارف النعمانية، ط الأولى، باكستان 1981م.

25. تمام، أحمد (معاصر)، محمد حسين هيكل، بحث بدون تاريخ او طبعة.

26. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد (ت728 هـ)، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1490هـ/ 1980م.

27. الجبري، عبدالمتعال الصعيدي (معاصر)، السيرة النبوية واوهام المستشرقين، مكتبة وهبة – القاهرة.

28. جدعان، فهمي(معاصر)، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، دار الشروق عمان الاردن1988، ط3.

29. الجرجاني، أبو أحمد عبد الله بن عدي (365 هـ)، الكامل في الضعفاء، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997 م.

30. الجرجـاني، علـي بـن محمـد بـن علـي الجرجـاني(ت816 هـ)، التعريفـات، تحقيـق: إبـراهيم الأبياري الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، 1405.

31. الجندي،أحمـد أنـور سـيد أحمـد (ت1997م)، تطـور الصـحافة العربيـة فـي مصـر، مطبعـة الرسالة، القاهرة، بدون تاريخ.

32. __________، محاكمة فكر طه حسين، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع.

33. __________، تقويم ما تقدمه الرواد، مع كتاب ومقالات انور الجندي.

34. __________،الاستشراق، مع كتاب ومقالات أنور الجندي،

35. __________، في سبيل إعادة كتابة تاريخ الإسلام،ط دار الاعتصام 1979م.

36. ـــــــــــــــــ، جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام، دار الاعتصام.

37. الجندي، عبدالحليم (معاصر)، الإمام محمد عبده، مكتبة مدبولي،1994.

38. الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيوه (ت476 هـ)، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الدين، تحقيق: د. محمد يوسف موسى، د. علي عبدالمنعم، مكتبة الخانجي، 1369هـ- 1950م.

39. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.الجندي، عبدالحليم (معاصر)، الإمام محمد عبده، مكتبة مدبولي،1994.

40. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفرابي(ت339 هـ)،الصحاح في اللغة، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين 1990، الطبعة:4.

41. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (ت1067 هـ)، كشف الظنون عن اسماء الكتب والفنون، مكتبة المثنى – بغداد 1991م.

42. الحبيب، مصطفى بن قحطان (معاصر)، الأوهَام الواقعة في أسماء العلماء والأعلام، بحث منشور في مجلة الحكمة - جمادي الثانية 1416 - العدد 7.

43. ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، طبعة دار العاصمة الطبعة الأولى 1416 هـ.

44. ابن حجر، الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة،المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، 1392هـ/ 1972م.

45. ابن حجر،أحمد بن علي أبو الفضل(ت852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة – بيروت، 1379.

46. ابن حجر، تهذيب التهذيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1984.

47. حسين، طه، مرآة الإسلام، مكتبة الأسرة – القاهرة، الطبعة الأولى،1994.

48. حسين، طه، (ت1973م)، على هامش السيرة، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط الأولى 1973.

49. الحسيني،ابوالمحاسن محمد بن علي بن الحسن(ت765 هـ)، ذيل تذكرة الحفاظ،دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1419هـ – 1998م.

50. الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: 1044هـ)، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الثانية – 1427هـ.

51. حمادة، فاروق (معاصر)، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، دار القلم دمشق، ط3 2003.

52. الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت626 هـ)، معجم البلدان، دار الفكر بيروت.

53. الحنفي، حسن (معاصر)، جمال الدين الأفغاني، الهيئة المصرية العمة للكتاب 1997.

54. حوى، سعيد بن محمد ديب (ت1989م) الرسول ﷺ، مكتبة وهبة – القاهرة.

55. الخراشي، سليمان بن صالح (معاصر)، نظرات شرعية في فكر منحرف، المجموعة الخامسة.

56. الخطيب، محب الدين (معاصر)، منهجية الامام الطبري في تاريخه، بحث منشور على شبكة الانترنت.

57. الخطيب، محمد حسام الدين (معاصر)، هل كان محمد ﷺ رحيما، رابطة العالم الاسلامي.

58. ابن خلكان، بو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت681هـ)، وفيات الأعيان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

59. خليل، عماد الدين،(معاصر)، المستشرقون والسيرة النبوية،دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق، بيروت،الطبعة: الأولى – 1426 هـ.

60. خليل، أحمد خليل (معاصر)، موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات بيروت،2001.

61. الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد(ت255 هـ)، سنن الدارمي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 1407، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي.

62. دراز، محمد بن عبدالله (المتوفى: 1377هـ)، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، 1426هـ– 2005م.

63. ______________، المختار من كنوز السنة النبوية، عني بنشره عبدالله ابراهيم الأنصاري، مطبعة الشؤون الدينية قطر.

64. دروزة، محمد عزة (معاصر)، سيرة الرسول صور مقتبسة من القران الكريم، المكتبة العصرية.

65. الدسوقي، عمر (معاصر)، في الأدب الحديث، دار الفكر العربي 2000م، ط1.

66. الدسوقي، محمد (معاصر)، طه حسين يتحدث عن أعلام عصره، دار المعارف، القاهرة،1992.

67. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم (ت503 هـ)، المفردات في غريب القرآن ، دار العلم الدار الشامية، : دمشق . بيروت، 1412 هـ، تحقيق: صفوان عدنان داودى.
68. الذهبي، شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت748 هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان
69. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م.
70. الذهبي، محمد السيد حسين (المتوفى: 1398هـ)، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة.
71. الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري(ت 606)، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، راجعه: طه عبدالرؤوف، دار الكتاب العربي، ط الأولى، 1404هـ-1984م.
72. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (توفي بعد 666 هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة، 1415 – 1995.
73. رضا، محمد رشيد علي (ت 1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
74. رضا، محمد رشيد علي، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، دار الفضيلة القاهرة، الطبعة الثانية 1935.
75. رضا، محمد رشيد رضا، مجلة المنار من 1-30.

76. رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.

77. الرومي، فهد بن عبدالرحمن بن سليمان (معاصر)، منهج المدرسة العقلية في التفسير، الطبعة الثانية 1983.

78. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى،(ت1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

79. الزرقاني، محمد عبدالعظيم (ت1367 هـ)، مناهل العرفان في علوم القران، دار الفكر

80. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس(المتوفى: 1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.

81. الزمخشري، أبو قاسم جار الله محمود بن عمر(ت538 هـ)،المنهاج في اصول الدين، تحقيق عباس حسين عيسى شرف الدين، مكتبة مركز بدر لعلمي والثقافي صنعاء.

82. الساموك، سعدون محمود (معاصر)، السيرة النبوية، دار وائل، عمان: 2004.

83. السباعي، مصطفى بن حسني (ت 1964م)، اشتراكية الإسلام.

84. ابن سلام، أبوعبيد القاسم (ت224 هـ)، غريب الحديث، تحقيق: الدكتور محمد عبدالمعيد خان أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية، الطبعة: الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند سنة 1384 هـ / 1964 م.

85. السلومي، عبدالعزيز بن سليمان بن ناصر (معاصر)، الواقدي وكتابه المغازي منهجه ومصادره، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1424هـ.

86. ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله بن يحي (ت734 هـ)، السيرة النبوية المسمى عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، هـ - 1986 م، بيروت – لبنان.

87. السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911هـ)، بغية الوعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان / صيدا.

88. السيوطي، الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية - بيروت - 1405هـ - 1985م.

89. السيوطي، الإسراء والمعراج، خرّج أحاديثه: أبو عبدالله القاضي، دار الحديث القاهرة، 1409.

90. السيوطي، الإتقان في علوم القران، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة: 1394هـ/ 1974 م.

91. السيوطي، ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: الشيخ زكريا عميرات.

92. الشامي، محمد بن يوسف الصالحي (ت942 هـ)، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1414 هـ - 1993 م.

93. الشرقاوي، عبدالرحمن (1987) محمد رسول الحرية، دار الشروق، الطبعة الثانية.

94. الشيباني،أحمد بن حنبل أبو عبدالله (ت 241هـ)، المسند، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

95. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي الكوفي (159 . 235 هـ)،مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة.

96. الصالح، صبحي (ت1986م)، مباحث في علوم القران، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير 2000.

97. صبري، مصطفى (ت1954م)، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين،المكتبة العصرية صيدا –بيروت ، اعتنى به : هيثم طعيمي ط1

98. الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت211هـ)، مصنف عبدالرزاق، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، 1403، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

99. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي(المتوفى: 360هـ)، المعجم الكبير، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

100. الطبراني، المعجم الأوسط، دار الحرمين – القاهرة، 1415، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني

101. الطبري، ابوجعفر محمد بن جرير (ت310هـ)، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة الأولى، 1407.

102. الطبري، تهذيب الآثار، المحقق: محمود محمد شاكر الناشر: مطبعة المدني – القاهرة.

103. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت310هـ)، جامع البيان في تأويل القران، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م.

104. الطيالسي، سليمان بن داود أبو داود الطيالسي (ت: 204)، مسند الطيالسي، طبعة دار هجر – مصر.

105. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: 1393هـ)، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م.

106. ابن عباد، الصاحب إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس القزويني، الطالقاني، الأصفهاني(ت385هـ)، المحيط في اللغة، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين.

107. عباس، فضل حسن (2012م)، الإتقان في علوم القران، دار النفائس عمان،الطبعة الثانية 2010م.

108. عبد التواب، احمد (معاصر) عرض نقدى لكتاب: "الإسلام و النصرانية مع العلم و المدنية، بحث منشور على شبكة الانترنت.

109. عبد الكريم، احمد عزت (معاصر)، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، مكتبة النهضة المصرية،ط 1938م.

110. عبده، محمد (ت1905هـ)، تفسير جزء عم، الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة، ط. الثانية، بمطبعة مجلة المنار.

111. عبده، محمد، رسالة التوحيد، مطابع دار الكتاب العربي، 1966.

112. عبده، محمد، الإسلام والنصرانية، دار الحداثة – بيروت 1983.

113. عبده، محمد، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، تحقيق وتقديم محمد عمارة، دار الشروق بيروت، الطبعة الأولى 1993م

114. ابن أبي عز، صَدرُ الدين أبو الحسن عليُّ بن علاءِ الدين الدمشقي الصالحيّ (791هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: د. عبدالله التركي، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة، 1412هـ- 1991م.

115. ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى: 1421هـ)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، المحقق: فتاوى العقيدة جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن – دار الثريا.

116. ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، أحكام القران، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.

117. ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف (المتوفى: 571هـ)، تاريخ دمشق، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1415 هـ - 1995 م.

118. عطية، صلاح (معاصر)، الاسلام والغرب مقالات لطه حسين، بدون طبعة او مكان النشر.

119. العفاني، أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله (معاصر)، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة – السعودية، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م.

120. العقاد، عباس محمود (ت1964م)، موسوعة عباس العقاد الاسلامية، عبقرية محمد، دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة الاولى 1971.

121. العقل، ناصر بن عبدالكريم (معاصر)، الاتجاهات العقلية الحديثة، دار الفضيلة الرياض، الطبعة الاولى 2001 م.

122. العكري،عبد الحي بن أحمد بن محمد (ابن عماد الحنبلي) (ت1089هـ)، شذرات الذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير دمشق، 1406هـ.

123. علام، محمد مهدي (معاصر)، المجمعيون في ثلاثين عاماً، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة: 1966.

124. علي، جواد (معاصر)، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار الساقي، الطبعة الرابعة 1422هـ/ 2001م.

125. العمري، اكرم ضياء احمد (معاصر)، السيرة النبوية الصحيحة، مَكتَبة العُلوم وَالحِكَمَ المدَينَة المُنَوَّرة، ط6 1994.

126. أبو عوانة، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (المتوفى: 316هـ)، مستخرج ابي عوانة، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ- 1998م.

127. العيني، ابو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين (المتوفى: 855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

128. الغزالي، محمد(ت1997م)، الإسلام المفتري عليه بين الشيوعيين والرأسماليين، دار نهضة مصر، الطبعة: الأولي.

129. الغزالي، الإسلام والمناهج الاشتراكية،دار نهضة مصر، الطبعة: الأولى.

130. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت732هـ)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية الطبعة: الأولى.

131. فكير، محمد احمد (معاصر)، من مصادر السيرة النبوية:كتب دلائل النبوة.

132. الفيروزآبادي، أبو طاهر محمّد بن يعقوب(ت817هـ)، رسالة في بيان ما لم يثبت فيه حديث من الأبواب، تحقيق وتعليق: أبي عبد الرحمن يحي بن علي الحجوري.

133. الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

134. القرطبي، أبو العبَّاس أحمَدُ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ الأنصاريُّ(ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م.

135. القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، دار ابن كثير دمشق، تحقيق: الدكتور محيي الدين مستو ويوسف بديوي ومحمود البزال وأحمد السيد.

136. القزويني، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد (المتوفى: 273هـ)، سنن ابن ماجه، كتب حواشيه: محمود خليل، مكتبة أبي المعاطي.

137. القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)،المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المكتبة التوفيقية، القاهرة– مصر.

138. القصاص، محمد جلال (معاصر)، عبقريات العقاد 1انكارا للوحي، بحث منشور على موقع طريق الإسلام.

139. القطان، مناع خليل (ت1999م)، مباحث في علوم القران، كتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1421هـ – 2000م.

140. قطب، محمد(معاصر)، واقعنا المعاصر،الطبعة الأولى.

141.ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت751هـ)، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دار الكتب العلمية – بيروت.

142.ابن قيم، زاد المعاد في هدي خير العباد،مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، 1415هـ /1994م.

143.ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت774 هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد 1396 هـ – 1971 م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت – لبنان.

144.ابن كثير، البداية والنهاية، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي،الطبعة الأولى 1408 هـ – 1988 م .

145.ابن كثير، تفسير القران العظيم، لمحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ – 1999 م.

146.كحالة، عمر رضا (معاصر)، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى – بيروت ، دار إحياء التراث العربي.

147.كريم، سامح (معاصر)، قمم وأفكار إسلامية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة: 1999.

148.الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى الأندلسي(ت634هـ)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب – بيروت – 1417هـ،الطبعة: الأولى.

149.اللقاني، إبراهيم بن إبراهيم بن حسن بن علي بن عبد القدوس بن الولي الشهير محمد بن هارون (1041هـ)، شرح جوهرة التوحيد(هداية المريد لشرح جوهرة التوحيد)، دار البصائر – القاهرة.

150.ماجد، عبدالمنعم (معاصر)، التاريخ السياسي للدول العربية، ط1982،7.

151.مال الله وهادي، نضال مؤيد و رياض هاشم (معاصران)، منهجية ابن اسحاق في تدوين السيرة النبوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد السادس العدد الثاني عشر 1433 هـ - 2012 م.

152.الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت450هـ)، النكت والعيون ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

153.المباركفوري، و الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني (المتوفى: 1414هـ)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، الطبعة: الثالثة - 1404 هـ، 1984 م.

154.محب الدين الطبري، محب الدين أحمد بن عبد الله (ت694هـ)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي بباب الخلق بحارة الجداوي بدرب سعادة بالقاهرة.

155.المخزومي، محمد باشا (معاصر)، خاطرات جمال الدين الأفغاني، الأهلية للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى.

156.المراغي، احمد مصطفى (1945م)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر.

157.معوض، وائل عزت(معاصر) تطور كتابة السيرة النبوية، موقع الالوكة

158.المقدسي، انيس الخوري (1977م)، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت لبنان،ط 6،2000.

159. المقريزي، تقى الدين أحمد بن على المقريزى (ت 845هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، دار الكتب العلمية، ط الأولى، 1420/1999 بيروت، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسى.

160. المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (المتوفى: 1031هـ) فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الاولى 1415 هـ - 1994 م.

161. منجم، إميل در (معاصر)، حياة محمد،المحقق والمقدم زعيتر عادل مؤلف، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات بيروت، 1988.

162. ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.

163. الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة (ت1425هـ)، أجنحة المكر الثلاثي التبشير – الاستِشراق – الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، دار القلم – دمشق الطبعة: الثامنة، 1420 هـ - 2000 م.

164. النجار، محمد الطيب، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان.

165. ابن نديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج (ت438هـ)، الفهرست، دار المعرفة - بيروت، 1398 - 1978.

166. النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن(ت313هـ)،،سنن النسائي الكبرى، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1411 – 1991، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن.

167. نصار، عمار عبودى محمد حسين (معاصر)، تطور كتابة السيرة النبوية، الثقافية العامة – بغداد، الطبعة: الأولى – 1418 هـ.

168. النعيم، وعبدالله محمد الأمين (معاصر)، الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى 1997.

169. النووي، ابو زكريا يحيى بن شرف بن مري(ت676هـ)، المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الطبعة الثانية، 1392.

170. النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري،(ت261هـ)، صحيح مسلم،دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت.

171. النيسابوري، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم، (ت405ه)، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1411 – 1990، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مذيل بأحكام الذهبي.

172. ابن هشام،عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد(ت213هـ)، السيرة النبوية،المحقق: طه عبد الرءوف سعد،الناشر: دار الجيل – بيروت،ط الأولى، 1411هـ.

173. الهمذاني، عبدالجبار أحمد بن عبدالجبار(ت415هـ) ،المغني في أبواب العدل والتوحيد القاضي عبد الجبار حققه أمين الخولي.

174. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت 807ه)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت – 1412 هـ.

175. هيكل، محمد حسين (ت1956م)، حياة محمد،الهيئة المصرية العامة للكتاب 2005، ط5.

176. هيكل، في منزل الوحي، دار المعارف القاهرة، ط8،

177.الواقدي، مُحَمَّد بن عُمَر بن واقد الأَسْلَمِيُّ (ت207هـ)، المغازي، دار الأعلمي – بيروت الطبعة: الثالثة – 1409/ 1989.

178.وجدي، محمد فريد (ت 1954م)، المصحف الميسر، مطبعة محمد علي صبيح مصر 1372-1953.

179.وجدي، السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة، جمعها الدكتور محمد رجب البيومي، دار المصرية اللبنانية – القاهرة، الطبعة الاولى 1993.

180.اليحصبي، العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي (ت544 هـ)، إكمال المعلم شرح صحيح مسلم.

181.أبو يعلى، حمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي (ت307 هـ)، مسند أبي يعلى، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى، 1404 – 1984، تحقيق: حسين سليم أسد.

Abstract

Alsulyman, Ahmed Ismail Abdu, the book of " the life of Mohammad" for the doctor Mohammad Hussein heikal a critical study from perspective of the writings of the narrators for the prophet's biography, thesis international(PhD), Yarmouk university,2014, the supervisor: (Dr Mohammad Abdel Rahman Tawalbeh)>

This study comes to reveal the approach of Dr. Mohammad Hussein Heikal in his book " life of Mohammad", and to show the size of the mistakes during his study of the biography of the prophet peace be upon him, as well as stand on the school to which he belongs in the structure of the book, the biography of the prophet, as well as the opinions of the narrators from mistakes in the book of life of Mohammad .

The researcher has used in his study the analytical method to extrapolate completely for the book Mohammad's life to find out the pros and evening scientific, methodological and intellectual in this book, and to clarify the sources, who drew the structure of which his ideas, and he has brought the curriculum cash for a comparison between the curriculum Heikel wrote the biography of the Prophet and the approach of the narrators in writing the biography prophetic .

This study comes focused on the life of Mohammad Hussein Heikal scientific and stages experienced by, and the school to which he belongs in the writing of the biography on the Prophet, and stand on the fact that the school self in his biography of the Prophet, and the most important principles and results in the study of curriculum, offered as sources of structure in his life of Mohammad, and this study showed the position of the narrators from the mistakes cited by his book.

This study revealed for attention of narrators for the biography of the prophet past and present in the novel and know-how, and revealed interesting orientalists and rationalists and followed them in the biography of the prophet.

The back of the researcher clearly impact the school self and projections on the biography of the prophet, and the size of falsehoods and mistakes by Heikel in his above- mentioned, it also reflected the attention of the narrators of Prophetic biography, past and present, correction and weak, and in response to the denied and redeemed on the biography of the Messenger of Allah peace be upon him.

Keywords: biography of the Prophet, Mohammad's life, orientalists, self-curriculum, narrators.